الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen Algérie

جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان الجزائر

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة العربية و آدابها

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في البلاغة و الأسلوبية

بعنـــوان:

التوجيه البلاغي في كتاب معاني القرآن للفراء (ت207هـ)

من إعداد الطالبـة:

فايزة رازي

إشراف الأستــاذ:

أ. د. موسوني

لجنـــــة المناقشـــــة:

أ. د. محمد طول	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
أ. د. محمد موسوني	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا و مقررا
أ. د. بلبشير لحسن	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا
د. ناصر بلخيتر	أستاذ محاضر "أ"	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا
د. محمد ورنيقي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الأغواط	عضوا مناقشا
د. أمينة طيبي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2015-2016

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـداء

أهدي هذا الجهد المتواضع في ميدان البحث العلمي

إلى الذين يمثلون الكثير في حياتي:

أمي الحبيبة والغالية .

إلى كل أفراد عائلتي

وإلى كل من مدّ لي يد العون والمساعدة

إلى كلّ الغيورين على اللغة العربية.

فايزة رازي

إهداء خاص

أهدي هذا العمل المتواضع:

إلى أعزّ إنسان فقدته، وأرقني غيابه فرحل قبل أن يرى هذا العمل النور

أقف لك يا أبي وقفة اعتراف وامتنان وشكر وأهديك ثمرة جهدي هذا.

إليك يا أبي العزيز -رحمك الله-

فايزة رازي

مدخل: عصر الفراء

أولا:مولده ونشأته

ثانيا:الحياة السياسية

ثالثا: الحياة الاجتماعية

رابعا: الحياة العقلية

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم حمدا لمن علمّ بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم وصلاة وسلاما على من أرشد جميع الأمم إلى الاختراع والابتداع وبعد:

فإن دراسة الكلام المختار وتحليله واستجلاء معانيه هي الهدف الأسمى الذي تسعى إليه مختلف الدراسات اللغوية بمختلف فروعها ومذاهبها، فانبرى لهذه المهمة الجليلة أقلام محيّرة، عمل أصحابها على استخراج مكنونات هذا الكتاب العظيم فأحكموا وسائلهم البلاغية واللغوية، ولا شك في أن النحاة هم أصحاب الفضل الأول في نشأة علم البلاغة والتأصيل له علما أنها كانت في بداية الأمر ملاحظات متناثرة ضمن مباحثهم النحوية واللغوية.

وثمة شخصيات نحوية نافذة، كان لها الأثر البالغ في تعميق البلاغة والكشف عن دقائقها والإفصاح عن أسرارها.

والفراء من أبرز هذه الشخصيات التاريخية التي سطع نجمها في سماء علوم العربية عامة وعلم النحو بخاصة، باعتباره من أئمة مدرسة الكوفة النحوية، فجاء هذا البحث للنظر في كتابه (معاني القرآن) الذي يعد مادة أصيلة وثمينة تزخر بها مكتباتنا العربية.

من هنا جاء هذا البحث محاولة جادّة لتسليط الضوء على الجانب البلاغي في كتاب معاني القرآن الذي يغلب عليه التعليلات والتخريجات النحوية كما عملت على تتبع توجيهات الفراء البلاغية في كتابه.

ومن أهم الأسباب الدافعة لإنجاز هذا البحث الميل للدراسات القرآنية ، حيث استقر في ذهني خوض غمار هذا المجال الواسع. ولكم، كان الاتصال بالموضوع شيّقا وشاقا، شيقا لأنه يتصل بكلام الله عز و جل، وشاقا من حيث الإلمام بجميع جوانب الموضوع ولكني سعيت جاهدة للوصول إلى غاية الإفادة.

إن كتاب معاني القرآن للفراء فتح مجالات التفكير في حركة التفسير النحوي واللغوي، و في القراءات القرآنية وغيرها من المجالات العلمية، بين عهوده الأولى فكانت للفراء تجربة رائدة في ميدان التفسير القرآني.

وشد الفراء انتباه الباحثين، واسترعى كتابه اهتمامهم في مختلف فروع العربية التي اشتمل عليها الكتاب من نحو، و صرف، ودلالة وبلاغة، وقراءات، وغيرها فكان له التأثير الكبير في رقي هذه العلوم.

أمّا الإشكالية التي دار حولها موضوع البحث فتتمثل في محاولة الكشف عن مصطلح علم المعاني الذي عرف تطورات عبر الزمن، وكان اسما لعدّة مؤلفات في تفسير القرآن الكريم، فما كان المقصود بعلم المعاني في الدراسات السابقة، وعند الفراء

خصوصا، وما مدى إعمال الرجل لوجوه البلاغة في مختلف أجزاء كتابه وأثناء تحليلاته النحوية وكيف عمل على توجيه هذه التفسيرات والتحليلات بلاغيا.

و اقتضت طبيعة الموضوع أن يفيد هذا البحث من حقول معرفية مختلفة ومتداخلة كان أبرزها البلاغة، وعلم النحو، وعلوم القرآن. فقد أفدت كثيرا في إعداد القسم الخاص بحياة الفراء وعصره بكتاب معاني القرآن للفراء، وكتاب الفهرست لابن النديم ومعجم الأدباء لياقوت الحموي، واعتمدت في إنجاز القسم الخاص بعصر الفراء بكتب تاريخ العصر العباسي الذي عاش فيه.

أمّا الحديث عن التوجيه البلاغي في الكتاب فاستعنت فيه بكتب التفاسير.

و ساد هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، فالوصف كان مناسبا للتعريف بحياة الفراء وعصره، أمّا المنهج التحليلي المدعم باستقراء النصوص القرآنية كان ضروريا للتحليل والمناقشة والشرح والتعليل.

كما اقتضت طبيعة البحث أن بتوزع على مدخل وثلاث فصول، فالمدخل كان عرضا موجزا لحياة الفراء مولده، ونشأته وآثاره، وأبرز معالم العصر العباسي الذي عاشه.

وعقدت في الفصل الأول الحديث عن علم المعاني ونشأته، وتتبع هذا المصطلح وتطوّره .

أمّا الفصل الثاني فقد بسطت الحديث في مباحثه عن التعريف بكتاب معاني القرآن للفراء بالتركيز على علاقة التفسير بالبلاغة، و في زاوية أخرى من هذا الفصل قمت بعملية تصنيف لمظاهر البلاغة في كتاب معاني القرآن، فمنها ما هو في علم البيان ومنها ما هو في علم المعاني ثم علم البديع.

و الفصل الثالث من هذا البحث خصصته لرصد مختلف التوجيهات البلاغية الموجودة في كتاب المعاني وأرفقتها بآراء وتوجيهات الفراء، وغيره من المفسرين .

وإذا كان لابدّ من الإشارة إلى الصعوبات التي اعترضت هذا العمل فأقول إن الموضوع كان دقيقا يتطلب معرفة كبيرة بجمال الكلام عامة وجمال القرآن خاصة، بالإضافة إلى سعة موضوع التفسير وتشعبّ جوانبه وقد حاولت جاهدة وبإخلاص أن أناقش الموضوع حسب الخطة التي رسمتها.

في الأخير أقف وقفة ثناء وشكر للأستاذ المشرف الدكتور محمد موسوني الذي مثل لي المعلم و الموجّه بآرائه السديدة فكان نعم المعين وكان راعيا لهذا البحث منذ بدايته حتى نهايته فله مني بالغ الشكر والعرفان.

كما أتقدم للسادة أعضاء لجنة المناقشة العلمية الموقرة الذين تجشموا عناء قراءة هذه الرسالة والذين اعتزّ بالامتثال أمامهم للمناقشة. كما أشكر كل من مدّلي يد المساعدة لإنجاز هذه الرسالة.

وآمل في الأخير أن أكون قد وفقت في إنجاز هذا العمل وتحقيق رغبتي العلمية في الإقبال على هذا الموضوع كما أعتذر بشدة لأساتذتي الأفاضل إن كان ثمة تقصير أو أخطاء فجل من تفرّد بالكمال واتصف بالجلال وهو الأولى بكل شكر وحمد وإجلال.

والله من وراء القصد

فايزة رازي

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب واللغات

جامعة تلمسان

تلمسان في 26 شعبان 1437 هـ الموافق لـ

15 جوان 2015م

الفصل الأول

علم المعاني

أولا: نشأة علم المعاني

ثانيا: مظاهر و صور علم المعاني

مدخل: عصر الفراء

أولا: مولده و نشأته

ثانيا: الحياة السياسية

ثالثا: الحياة الاجتماعية

رابعا: الحياة العقلية

أولا : مولده ونشأته:

عاصر الإمام الفراء فترة زمنية هامة من حكم الدولة العباسية،ولا يخفى على أحد منا ما كان من عظم شأن العلوم و التصنيف آنذاك في شتى أبواب المعرفة إذ تبلورت معالم النشاط اللغوي عبر جميع العصور و زادت حدة هذا التطور في عصر بني العباس، فانبرى لهذه العلوم رجال من الدارسين و الباحثين، وكان لكل عصر رجالاته و الفراء(ت207ه) واحد ممن فتح الله عليهم فتوح العارفين، إذ خاض غمار التفسير اللغوي وكان الأسبق فيه.

أجمعت مصادرنا على علو مكانة الرجل العلمية و عظم ما خلفه من آثار نفيسة، ساهمت بعمق في تطوير الدرس اللغوي بصفة عامة و الدرس النحوي بصفة خاصة، فكانت كتبه بمثابة وثائق نادرة تجلى على ضروب التفكير النحوي، لتكشف عن آرائه و توجهاته.

اشتهر الإمام بلقب ميزه عن غيره هو "الفراء"، و اسمه الكامل، كما أوردته كتب التراجم و الطبقات هو أبو زكريا يحي بن زياد الفراء، صاحب المؤلفات العديدة والآراء السديدة و صار أمير

المؤمنين في اللغة و النحو[1]، أديب و عالم قضى حياته يبحث و يدرس و يؤلف، فحوى في صدره

ثقافات الشعوب القديمة من أعاجم و عرب، نظرا للاختلاط الواقع آنذاك بين مختلف الأجناس في

عصر الدولة العباسية، و هو ما سأفصل فيه لاحقا.

من الأخبار الواردة عن الفراء، ما جاء على لسان ابن النديم(ت380ه) في كتابه الفهرست إذ

قال:(هو زكريا يحي بن زياد الفراء، مولى بني منقر ولد بالكوفة)[2]، و كانت سنة ولادته قد قدرت بأربع و أربعين و مائة للهجرة، من أسرة دخلت الإسلام مبكرا أول دخول الديلم و الفرس في الإسلام، و عرف الفراء بكنية واحدة هي "أبو زكريا"و الفراء لقبه لا اسمه و معنى لقبه هذا (هو من يخيط الفراء أو يبيعها أو يشتغل بها كما يتبادر للسامع النسب كما يقال عطار، بزاز[3] و هو بائع القماش و الثياب).[4]

من جهة أخرى، نجد كتب التراجم رجحت فرضية مفادها، أن سبب هذا اللقب يرجع إلى

[1]- ينظر البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري، د. رابح دوب، دار الفجر للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 1997، ص 68.

[2]- الفهرست لابن النديم، تأليف محمد ابن اسحاق النديم المعروف بأبي يعقوب الوراق، دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط1، 1427 هـ 2006 م، ج1، ص 73.

[3]- معجم المحيط، مادة (بز)، للفيروز بادي، طبع بولاق، شركة الطباعة، مصر، 1272 هـ 1954 م.

[4]- ينظر المرجع نفسه، ص 13.

فصاحة الشيخ و تمكنه من الكلام و الجدال و الإقناع، و قيل أيضا (إنما سمي الفراء فراء لأنه كان يحسن نظم المسائل، فشبه بالخارز الذي يخرز الأديم و ما عرف ببيع الفراء و لا شرائها قط).[1]

و في السياق نفسه،وردت لفظة (الفري) في بيت شعري لزهير بن أبي سلمى[2] يقول فيه:

لأنت تفري ما خلقت و بعـــ ض من القوم يخلق ثم لا يفري

و المقصود هنا: تخرز ما قدرت إذ قدرت إذ الخلق التقدير هنا. و لم يعرف زمنه إطلاق هذا اللقب عليه و قد قال الفراء في تفسير قوله عزو جل: ﴿**لقد جئت شيئا فريا**﴾[3](الفري الأمر العظيم و العرب تقول: يفري الفري، إذ هو أجاد العمل أو السقي ففضل الناس قول هذا فيه).[4]

وتجدر الإشارة إلى أن مدينة الكوفة مسقط رأس الفراء ، أحد أهم المدن بعد البصرة، فلا تذكر إحداهما إلا و تذكر الأخرى باعتبارهما مقر العلم و مربى العلماء، و كانت الكوفة حافلة بالشيوخ في ذلك العصر ممن تتلمذ الفراء على يدهم، على رأس هؤلاء أبو جعفر الرؤاسي (ت 178 هـــ)، ثم قصد الفراء البصرة كما فعل الكسائي (ت 189 هـــ)، و لقي فيها يونس بن حبيب (ت 182 هـــ)،

1- ينظر: الأضداد، أبو بكر الأنباري تحققي محمد أبو الفضل، ابراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان،ط1 ، 1987م.
2- ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان، ط1 ، 1408هـــ، 1988م، ص 98.
3- سورة مريم، من الآية 27.
4- معاني القرآن، الفراء، ج2، تحقيق محمد علي النجار و آخرون، الهيئة العامة للكتاب، دط، 1966-1980، ص 166.

البصري البارع في النحو، و أخذ عنه شيئا من العلم ثم توجه إلى بغداد حاضرة البلاد و لقي الكسائي

هناك، فصاحبه و أخذ عنه[1]، ليلتقي في بغداد عالمها الجليل سيبويه (ت 180 هــ)، و ناظره المناظرة

المشهورة قبل حضور شيخه الكسائي[2].

تحلى الفراء بمناقب كثيرة ذكرها العلماء، فهو رجل قوي الحفظ لا يكتب ما يتلقاه من الشيوخ شديد طلب المعاش لا يستريح في بيته، بل يجمع طول السنة فإذا كان في آخرها خرج إلى الكوفة و أقام بها أربعين يوما في أهله يفرق عليهم ما جمعه و يبرهم[3].

تستوقفنا هنا بعض الأقوال التي تشهد بثقافة الشيخ و مكانته العلمية يقول أبو العباس أحمد بن يحي ثعلب (ت 141 هــ): (لولا الفراء ما كانت عربية، لأنه حصنها و ضبطها ، و لولا الفراء لسقطت العربية لأنها كانت تتنازع و يدعيها كل من أراد)[4].

وقال عنه السيوطي (ت911ه)(الفراء من أئمة الكوفيين،و هو من أوائل واضعي علم النحو).[5]

كما كان الشيخ بارعا في علم الأدلة، إذ تروي كتب التراجم أنه كان جالسا يوما فقال:

(قل رجل أمعن النظر في باب من العلم، فأراد غيره إلا سهل عليه، فقال له محمد بن الحسن

---

[1] - ينظر: طبقات النحويين و اللغويين، الزبيدي، تحقيق عبد السلام هارون، الخانجي، القاهرة، ط3، 14 هــ1983م،ص 132.

[2] - الفهرست لابن النديم، ص 98.

[3] - ينظر: المصدر نفسه ، ص 66-77.

[4] -طبقات النحويين و اللغويين، الزبيدي، ص 131.

[5] - الاقتراح في علم أصول النحو، جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، تحقيق أحمد قاسم، القاهرة، ط1، 1976م،ص 206.

الفقيه[1]: يا أبا زكريا أنت الآن قد أمعنت النظر في العربية فنسألك عن باب من الفقه، قال: هات

على بركة الله تعالى قال: ما تقول في رجل صلى فسها فسجد سجدتين للسهو فسها فيهما؟ ففكر

الفراء ساعة ثم قال: لا شيء عليه قال له محمد: و لم؟ قال: لأن التصغير عندنا لا تصغير له، و إنما

السجدتان إتمام الصلاة فليس لتمام تمام، فقال محمد بن الحسن: ما ظننت آدميا يلد مثلك)[2].

إذن، هي براعة الفراء بشهادة محمد بن الحسن و قوله ما ظننت آدميا يلد مثلك، و أبو العباس ثعلب و الإمام السيوطي و غيرهم.

و لعل الملمح الآخر الذي يجب الإشارة إليه في حياة الشيخ، هو شاعريته التي وردت عند أصحاب معاجم الشعر و الشعراء، يقول الدكتور سامي العاني في كتابه"معجم ألقاب الشعراء":

(الفراء شاعر عباسي و نحوي معروف من القرن الثاني اسمه أبو زكريا يحي بن زياد بن عبد الله

الأسلمي، لقب بذلك لأنه كان يفري الكلام).[3]

---

[1]- هو محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة ابن خالة الفراء.

[2]- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، مطبعة الخانجي، القاهرة، ط1، د.ت، ج14،ص 96.

[3]- معجم ألقاب الشعراء، د. سامي مكي العاني، مكتبة الفلاح، ط1، 1982، ص 166.

و في السياق نفسه، نجد كتاب معاني القرآن للفراء مليئا بأشعار العرب، فلا تكاد تخلو صفحة

أو صفحتان من قول الفراء: أنشدني فلان أو أنشدتني فلانة،كقوله مثلا: أنشدني يونس بن النحوي:

رب حلم أضاعه عـدم المـــال ❋ و جهل غطى عليه النعيم

أما عن قوله الشعر، فإنه لم ينقل من شعره غير هذه الأبيات، و قد رواها أبو حنيفة الدينوري عن

أبي بكر الطوال و هي:

يا أميرا على جـريـب الأر ❋ ض له تسعة من الحجـاب

يا أميرا على جـريـب الأر ❋ ما سمعنا بحاجب في خـراب

لن تراني لك العيـون ببـاب ❋ ليس مثلي يطيق رد الحجاب

وفي بعض الروايات وردت كلمة "الجواب" بدلا من الحجاب[1].

و خصص الدكتور "زياد أحمد أبو شريعة" كتابه الموسوم "أغراض الشعر و خصائصه في التفسير"، لرصد الأشعار الواردة في كتاب "معاني القرآن للفراء"و الأغراض المقصودة من استخداماتها.

مما يروى عن الفراء، إطلاعه الواسع على مختلف العلوم، عارف بالفقه و اختلاف المذاهب

[1] – ينظر: وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق محمد محي الدين، مطبعة السعادة، ط$_1$، 1948 م و تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط$_1$، د ت، ج$_6$، ص 180.

الفقهية، خبير بالطب، حاذق بأيام العرب و أشعارها، بحر في اللغة، أما النحو فهو نسيج وحده، بالإضافة إلى جمعه علم الكوفيين و علم البصريين[1].

أما عن توجهه المذهبي،فيروي عنه الأزهري أنه كان سنيا[2]،غير أن ياقوت الحموي (ت 626ه)

في كتابه معجم الأدباء، يذكر أن الفراء من المتكلمين و يميل إلى الاعتزال.وكان يتفلسف في

تصانيفه و يستعمل ألفاظ الفلاسفة[3]، و الأرجح أن اعتزاله واضح و وارد في كتابه معاني القرآن، فهو كثيرا ما يتوقف للرد على الجبرية.

هذا عن مكانة الفراء عند الناس و أهل الفضل عامة، أما مترلته عند أمراء الدولة العباسية و بلاط حكامها، ترويها كتب التاريخ و التراجم، ففي عهد الخليفة العباسي الأمين لم يكن له دور، حتى جاء المأمون و جعله مؤدبا لابنيه، فلما أراد الفراء يوما أن ينهض لبعض حوائجه (ابتدرا إلى نعل

الفراء يقدمانه له فتنازعا أيهما يقدمانه له، فاصطلحا على أن يقدم كل منهما فردا، فلما علم الخليفة

المأمون بالخبر استدعى الفراء و سأله عن ذلك فقال: لقد أردت منعهما عن ذلك و لكني خشيت

1 – ينظر: الفهرست لابن النديم، ص 99.

2 – ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب، القاهرة، ط$_1$، 1967م، ج$_1$، ص 19.

3 – ينظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج$_7$، ص 276.

أن أدفعهما عن مكرمة سبقا إليها).[1]

و استشهد الفراء برواية عن ابن عباس أنه أمسك الحسن و الحسين –رضي الله عنهما– ركابيهما حين خرجا من عنده فرد المأمون قائلا: (أما لو منعتهما عن ذلك لأوجعتك لوما و عتبا...)[2] إلى آخر القصة حيث أمر له بعشرة آلاف درهم عن حسن تأديب الفراء لهما.

إضافة إلى هذا، أمر المأمون الفراء أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو و ما سمع من العربية، و أمر له بحجرة منفردة تخدمه الجواري حتى لا يشتغل بأمر آخر غير التأليف، و صير له الوراقين و ألزمه الأمناء و المنفقين، و كان من القضاة الذين حضروا الإملاء و التأليف ثمانين قاضيا[3].

وفـــــــاته:

بدأت حياة الفراء عام أربعة و أربعين و مئة للهجرة و انتهت عام سبعة و مائتين[4] في طريق

عودته من مكة، و قيل كانت وفاته ببغداد، لكن آثار الشيخ التي خلفها وراءه كفيلة بتخليد ذكراه،

فقد عاش الفراء ثلاثا و ستين عاما كلها عمل وعطاء.

ختاما، أذكر كلمة ألقاها العلامة "البشير الإبراهيمي" في ذكرى وفاة الإمام "عبد الحميد بن

1– وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج6، ص 179

2– المصدر نفسه، ص 179

3–ينظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج20، ص13.

4– جاء في بعض المصادر، أنه توفي عام تسعة و مائتين للهجرة، ينظر: وفيات الأعيان، ج6، ص 181 و تاريخ بغداد، ج4 ص 155.

باديس" —رحمه الله–يمجد العظماء مفادها: (... يموت العظماء فلا يندثر منهم إلا العنصر الترابي الذي يرجع إلى أصله أما معانيهم، فتبقى في الأرض قوة تحرك و رابطة تجمع، و نورا يهدي... و هذا هو معنى العظمة، و هذا هو معنى كون العظمة خلودا)[1].

انطلاقا مما سبق، يتبين لنا أن الفراء عالم لغة و نحو و تفسير، ألف عديد الكتب القيمة التي كانت و لا زالت محل بحث و تحقيق، عاش زمن الدولة العباسية الزاهر.

و فيما يلي عرض للحياة السياسية و الاجتماعية و الفكرية التي واكبها الفراء آنذاك لمعرفة مختلف العوامل التي ساهمت في بناء توجهه الفكري.

ثانيا :الحياة السياسية:

إن قراءة متقدمة لتاريخ العرب الممتد عبر العصور الزمنية، تجعلنا نتنبه إلى قضية مهمة تتمثل في مدى مساهمة الأوضاع السياسية و الاجتماعية و الفكرية في صناعة الأدب و تأثيرها في عقول و نفوس العلماء. فما حال الأوضاع السياسية في عصر الفراء؟

تخبرنا كتب التاريخ و الأدب، أن العصر العباسي امتد على مدار أكثر من خمسة قرون، إذ بدأ

---

[1]– عيون البصائر، محمد البشير الابراهيمي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط1، د ت، ص 683.

بسقوط الدولة الأموية و انتهى باستيلاء التتار على بغداد. و خلال هذه المدة الزمنية، قسم العصر

العباسي إلى العصر العباسي الأول و العصر العباسي الثاني.

يعد العصر العباسي الأول، شاهدا قويا على عظمة الخلافة العباسية، سلطانا و نفوذا و حضارة،

سمي بعهد الاستقرار و الازدهار نظرا لما بذله الخلفاء العباسيون آنذاك من جهود كريمة في إحياء

البلاد و إعمارها، بعد صراعهم الدامي مع بني أمية واغتصابهم الملك و الخلافة.

لا جرم إذن، أن العصر العباسي الأول هو أقوى العصور، إذ ثبتت قواعد الدولة على يد الخليفة "المنصور أبو جعفر (136 هــ - 158 هــ)" ،عباس عبد الله السفاح (132 هــ - 136 هــ)" لكن المنصور يعد ثاني خلفائهم و المؤسس الحقيقي لدولتهم، عمل على تصفية منافسيهم و أولهم "أبو مسلم الخرساني" ليتعقب بعدها العلويين الذين طالبوه بالخلافة، فالمنصور أرسى قواعد الدولة العباسية

و المهدي وسع بقعة نفوذها في كل مكان، و الرشيد و المأمون جعلا دولة بني العباس في أيامهما

أيقونة تشع حضارة وهيبة و قوة، أما في خلافة المعتصم فتوالت انتصاراتها العسكرية و حافظت على

تلك القوة و على ذلك الازدهار في عصر الواثق[1].

وتجدر الإشارة إلى مدى اهتمام هؤلاء الخلفاء بالعلوم و مجالس العلماء، فقد كان المهدي (158هـ - 169 هـ) حليما عادلا، عربيا فصيحا، تلقى علوم اللغة و الأدب، و موسى الهادي (180 هـ) فقد روي عنه حبه للأدب، يجزل العطاء للشعراء، أما هارون الرشيد (180 هـ - 193 هـ) فقد كانت أيامه أيام نعمة و ازدهار حضاري، اشتهر بحبه للأدب و الفنون مقربا للأدباء و العلماء و الشعراء في مجالسه مقبلا على الموسيقيين و المغنيين رافعا مراتبهم، و كان من أحب و أقرب جلسائه (إسحاق بن إبراهيم الموصلي)، عرف عنه أنه كان يجمع بين الحزم و الميل إلى التمتع بملذات الدنيا، و قاد الجيوش إلى بلاد الروم، فزاد سلطان الدولة في عهده و هيبتها و قوي اقتصادها و أحكمت إدارة شؤونها بفضل الجمع من وزراءه البرامكة و على رأسهم "يحي بن خالد و الفضل بن يحي".[2]

و من ثم انتقل الحكم من الرشيد إلى ابنه محمد الأمين (193 هـ - 198 هـ) الذي كان مسرفا في ملذاته، ضعيف التدبير في مجلسه، المليء بالشعراء و المغنيين من أمثال أبي نواس و إسحاق الموصلي، و كانت الفرصة سانحة للفضل بن الربيع لإغراء المأمون فخلع أخاه و نصب ابنه "موسى" لولاية

---

[1]- ينظر: تاريخ الأدب في العصر العباسي الأول، محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط2، 1401 هـ- 1981 م، ص 12،13.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 30.

العهد، فدار صراع دموي بين الأخوين راح ضحيته أبرياء لا ذنب لهم، و خرجت بغداد و قد آلت

إلى حطام، دمر فيه معالم حضارتها الزاهرة التي أسسها "أبو جعفر المنصور" و أرسى قواعدها الخلفاء

المهدي والهادي[1].

و هنا جاء المأمون بجيوشه يقودها أكبر قادته و هما "طاهر بن الحسن و هرثمة بن أعين"، و حاصروا

بغداد عاما كاملا، نصب فيه المنجنيقات و دارت معارك طاحنة في الشوارع، و قد صور الشعر تلك

المأساة الدامية و قتل الأمين شر قتلة و أعطي رأسه لأخيه المأمون.

من جهة أخرى، ازدهرت الحضارة و الثقافة و الفكر في عهده، و مع ذلك لم تخل تلك الفترة من النزاعات و الصراعات على النفوذ و السلطان، و أولها – في عهد المأمون- صراعات بين العرب و الفرس ثم بين العلويين و العباسيين، و قد كان "الفضل بن سهل" وزير المأمون و المتولي على كثير من أمره، فارسي الأصل يميل إلى قومه، و أخمدت ثورات العلويين في الكوفة و البصرة و الحجاز بعد مشاركته في إسقاط الأمين و دخول بغداد.

و نستوحي مما ثبت في كتبنا المؤرخة لعصر الدولة العباسية، أن المملكة الإسلامية تلونت بألوان من

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص 31.

جنسيات مختلفة، و كان من أبرزها عنصران عظيمان هما الفرس و العرب إلى جانب الأتراك و هو أول حديثنا.

كان الأتراك جزءا لا يستهان به في تكوين جيوش الخليفة المعتصم، الذي عمد آنذاك إلى شراء الرقيق التركي بكثرة و تجنيده في الجيش، حيث بلغ عدده ثمانية عشر ألفا، و نظرا لما سببه هذا الرقيق من إزعاج لبغداد، بنى لهم المعتصم مدينة أسماها "سامراء" و أصبح لهم منذ ذلك الحين تأثير كبير على السياسة[1].

و من التحديات الأخرى التي واجهها العباسيون أيضا، نفوذ رجال الفرس في الحكم على رأسهم "أبو مسلم الخرساني"، لكنهم نجحوا في التخلص من هذا النفوذ ليظهر لهم بعد ذلك تحد آخر، يتمثل في طمع الروم في أراضي الدولة الإسلامية فكانوا يغيرون على الثغور كلم رأوا ضعفا في خلافة العباسيين، و المسلمون لهم بالمرصاد لا يتوانون عن تأديبهم[2].

استشرى النفوذ السياسي للعنصر الفارسي في العصر العباسي الأول، و قد ساعد كثيرا على قيام

[1] - ينظر: المرجع السابق، ص 32.

[2] - ينظر: ضحى الإسلام، أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1961 م، ص 18،19

الدولة و نشر دعوتها و كان التسيير و الحكم بأيدي الوزراء و القواد الفرس، و إن كان للخليفة العباسي الرأي الأعلى و الكلمة النافذة بالإضافة إلى بطشهم بمعاونيهم من الفرس كما فعل المنصور بأبي مسلم و كما فعل الرشيد بالبرامكة و المأمون بالفضل بن سهل.

و في عصر الرشيد زاد نفوذ الفرس بفضل البرامكة فاحتلوا منصب الوزارة و ازداد نفوذهم بتوالي السنين[1].

و يمكننا القول إن سيطرة الأعاجم على زمام الحكم كانت أكثر من العرب، و قد عمل الفرس آنذاك على زرع نزعة التجديد في كل أمور الحياة بدءا بقصور الخلفاء و جعلوا قصور الخلفاء في بغداد أشبه بقصور الأكاسرة في المدائن، كما قاموا بتنسيق الدواوين و وضعوا أساليب العرب و نظم الحكم.

لقد تغيرت الأمور كثيرا، فبعد أن كان العرب قوة لا يستهان بها في عهد بني أمية، ضعفت قوتهم و انهار سلطانهم في عصر الدولة العباسية لتطغى بذلك العصبيات الثلاث التركية و الفارسية و العربية، فانقسمت المملكة الإسلامية و خاصة الحروب و الفتن[2].

[1]- ينظر:المرجع السابق، ص19.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص20.

كذلك نجد من الأجناس الأخرى التي كثرت في هذا العصر هم السود أو كما يسمون "الزنج" هم من أصل إفريقي و تحديدا إفريقيا الشرقية وشكلوا خطرا كبيرا على الدولة العباسية إذ قاموا بثورة قرب مدينة البصرة و هددوا بها استقرار دولة بني العباس لمدة أربعة عشر عاما و أربعة أشهر، لكن الخليفة المعتضد استطاع هزيمتهم.

و إذا كنا قد أقررنا سلفا بوجود صراعات و عصبيات هددت استقرار الدولة العباسية، فإنه لا بد من ذكر نوع آخر من العصبيات المذهبية التي سادت العالم الإسلامي آنذاك، و من هذه المذاهب السنية و الشيعية، فقد اشتهرت البصرة بالتسنن و الكوفة بالتشيع، و بلغ الصراع بينهما حد الاقتتال هذا عدا ما قامت به جماعة الشيعة من مؤامرات لقلب الحكم و الاستيلاء عليه.

أيضا نجد نزاعا آخر بين المذاهب الفقهية كالإمام "أبي حنيفة النعمان و مالك بن أنس و أحمد بن حنبل" خلافا في الرأي و البرهان. و بلغت هذه الفرق أوج عدائها فحدثت ثورات بينها في القرنين الثالث و الرابع هجري، ثورات قام بها الحنابلة، ثم حدث خلاف شديد بين الحنفية

و الشافعية حتى بلغ الأمر خراب البلاد[1].هذا عن المذاهب و صراعاتها فيما بينها.

نتحدث عن عنصرين آخرين من الأجناس هما اليهود و النصارى، فقد عرف عن الدولة العباسية

تسامحها مع مخالفيها في الأديان بسبب كثرة الاتصال و التبادل التجاري و الحربي و العلمي، و قد

احتلوا رقعة جغرافية هامة من المملكة الإسلامية توزعوا فيها على مناطق شاطئ دجلة و الفرات و الموصل و الكوفة والبصرة ليصل توسعهم هذا إلى ديوان الجيش العباسي آنذاك، فقد تولى قيادته في إحدى فترات الحكم نصراني مثلما كان "للخليفة عضد الدولة البويهي"وزير نصراني اسمه نصربن هارون".

وخلاصة لما سبق ، نقول إنه انقضى القرن الثالث هجري و الدولة العباسية تقريبا تكون كتلة واحدة يحكمها الخليفة خاضعة له على أيدي ثلة من أقوى الخلفاء و أقدرهم على أمور السياسة و الدين و الفكر، لينتهي القرن بعد منتصفه بجماعة من الخلفاء لم يكن لهم تأثير كبير في التوجه الفكري و الثقافي[2]، بعد أن عادت مقاليد لأمور إلى غيرهم من القادة و الوزراء و كبار رجال الدولة

و كبار العلماء و أصحاب الدعاوي من الإمامة و المهدية و غيرها[3].

[1]-ينظر: مظاهر المجتمع وملامح التجديد من خلال الشعر في العصل العباسي الأول(132ه 232ه)،د.مصطفى بيطام ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية الجزائر 1995م،ص03.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص09.

[3]– ينظر: المرجع نفسه، ص10.

و هكذا انتهى القرن الثالث و انتهى معه في حقيقة الأمر قوة الخلافة العباسية و هيبتها، لتؤول في السنوات الأخيرة حتى سقوطها في القرن السابع هجري رمزا تحتمي خلفه القوى الإسلامية العديدة.

إن صخب الحياة السياسية من رقي الدولة العباسية و ازدهارها و غناها و تألق حضارتها و تنوع أجناسها و الاحتكاك بشعوب و عقليات مختلفة و الصراعات العديدة السياسية و المذهبية و العرقية و غيرها مما سبق ذكره، لا بد و أنها عوامل أثرت في نفس الإمام الفراء و بناء عقله و تفكيره ، و حفزته ليكون علما بارزا داع صيته آنذاك و عملت على نبوغه و تفوقه في مجال الأدب.

لقد شهد العصر العباسي تجربة واسعة في مجال الحكم و الثورات و المعارك مع أعدائه داخلا و خارجا، مما أعطى للأدب مجالات واسعة و متعددة للقول و التعبير، فقد كان الأدباء يواكبون الخط السياسي في كل تحركاته، فكانوا سباقين يتنافسون في تسجيل انطباعهم أو انطباع الآخرين و يجتهدون في التحصيل العلمي و النبوغ فيه.

هذا بإجمال ما جاء عن الحياة السياسيةِ في العصر العباسي الذي لم أعمل على التفصيل فيه

بدقة و استعراض كل تفاصيل كل التفاصيل تلك الحقبة الزمنية ذلك لأن مصادرنا الأدبية تحوي مؤلفات قيمة تناولت مسار الدولة العباسية منذ نشوئها إلى غاية سقوطها ملمة بكل أحداثها إجمالا و تفصيلا.

ثالثا :الحياة الاجتماعية:

مما لا شك فيه أن الأحداث السياسية لها تأثير بالغ في حياة المجتمعات، فمجالات السياسة و المجتمع و الفكر تمثل ركائز أساسية لقيام الدول و الأمم و مقياس تقدمها أو تخلفها.

و نحن إذ نذكر بغداد حاضرة المدن بمكانتها خلال فترة طويلة من حكم العباسيين حيث أصبحت قبلة البشرية في العصور الوسطى و مركز إشعاع للثقافة الحضارة، و ظل الناس على اختلاف أجناسهم و دياناهم و مذاهبهم و مراتبهم يشدون الرحال إليها رغبة في الانتفاع من علومها و ثقافتها و كذلك بضروب اللهو و المجون و ألوان البذخ و الترف الشائعة آنذاك إلى جانب نشر مللهم و عاداهم و تقاليدهم.

جاء فيما سبق أن المملكة الإسلامية في العهد العباسي كانت تعج – إلى جانب الفرس

و العرب- بالأتراك الذين أثروا بشكل كبير في تغيير مسار الأمة الإسلامية سياسيا و اجتماعيا و فكريا. وقد عرف عن الأتراك حبهم للجمال و النظافة فكان ذلك سببا لاستجلابهم الحواري و كثرتهم في قصور الخلفاء و العظماء حتى إن بعض الخلفاء من كانت أمه جارية تركية كالمعتصم و المتوكل و غيرهم[1].

تعد الدولة العباسية موقعا يضم أهم المدن الكبرى التي أثرت في حياة الناس و في توجه نشاطهم الحضاري من مدن قديمة في حضارات ما قبل الإسلام أو مدن محدثة أنشئت مع بدايات الفتح الإسلامي للعراق و فارس كالبصرة أو أنشئت في العصر العباسي كبغداد و سامراء[2].

و قد اختلفت مواقع هذه المدن و غيرها، فمنها ما هو قريب من النهر أو بعيد عنه، و منها ما يطل على البحر و يعتبره مرفأ لمختلف التجارات و معها ألوان من حضارات الأمم البعيدة في الشرق كالهند و الصين، و منها ما يقع في الداخل تظاهره الصحراء و تحيط به الأديرة النصرانية كالكوفة و منها القريب من الجزيرة يرتاده الأعراب كالبصرة و غيرها من كبريات المدن و للناس فيها نشاطات مختلفة من زراعة و صناعة و تجارة و رعي[3].

---

[1]-ينظر: موسوعة الحضارة، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1969م، مجلد5،ص 32.
[2]-ينظر: تاريخ الأدب في العصر العباسي، محمد عبد المنعم خفاجي، ص53.
[3]- ينظر: المرجع السابق، ص59.

و في منتصف القرن الثاني الهجري، بلغت بغداد من التألق ذروتها و (أصبحت سيدة البلاد و مدينة السلام و قبة الإسلام و مجمع الرافدين و معدن الطوائف و مست أرباب الغايات)[1] بناها المنصور سنة أربعين و مئة للهجرة، لتصبح في فترة وجيزة قبلة كل الناس ذات محاسن جليلة، ماؤها عذب، موقعها حسن، و ملتقى أثرياء بني العباس و قادتها رجال الصناعة و التجارة[2]. و بلغ اهتمام الخلفاء بها حد تشييد القصور الضخمة و المباني الشاهقة.

من جهة أخرى، لم تكن بغداد وحدها هي الزاخرة بمثل هذه الموجات البشرية، فقد ظلت كل من البصرة و الكوفة آهلتين بالناس على اختلاف أجناسهم، و ظلت كل من البصرة و الكوفة مركز إشعاع لأهل الأدب و العلم و الشعر و ضروب المعرفة.

و مما لا شك فيه، أن أساس الحياة الاجتماعية هو الحالة الاقتصادية في أي مجتمع من المجتمعات أو أمة من الأمم. فاقتصاد دولة بني العباس آنذاك لا يكاد يستقر على أساس متين إذ انتشر نظام إقطاع الأرض مكافأة أو هبة للمقربين لدى الخلفاء و الوزراء، و كان كبار الملاك يستقلون

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص 61.
[2]- ينظر: تاريخ بغداد، البغدادي،ص 373 ، 374.

بإقطاعيتهم دون الاهتمام بتحسين أحوال العامة من الناس، و انتشرت الرشوة بين طبقات الموظفين جميعا، و عمت المصادرة و صارت مصدرا من مصادر بيت المال، و أنشئ لها ديوان مخصوص، و كانت ضرائب الأطيان أساس دخل الخلافة[1]، و بالتالي كثرت ثروة الخلفاء و الوزراء، و تنافسوا في تشييد القصور و الترف، و زادت الهوة بين طبقة العامة و طبقة الخاصة كثيرا، و كان الفقر و الشقاء

للعامة و ه م أغلبية الناس.

و لما كانت بغداد عاصمة "أبي جعفر المنصور"، فقد بناها على نهر دجلة، و ضم حي الرصافة بها قصور الخلفاء و الأمراء و الوزراء[2]، و كان الكرخ الحي الشعبي التجاري تسكنه الطبقة الوسطى من أصحاب الوظائف و التجار و أصحاب الحرف توجد به مختلف الدكاكين و دور اللهو التي تعمر

بالقيان و بيوت الخمر[3].

إن وفرة الأموال و كثرتها ببغداد و غيرها من الأمصار الأخرى كالبصرة و الكوفة أثر على حياة

الترف فيها فأنفقت الأموال في كل أنواع الملذات بغير حساب، و انتشر في هذا العصر أيضا الرقيق

و تجارتهم من الصقليين و الترك و غيرهم و امتلأت به القصور، فكثر نسل الجواري و اختلطت

---

[1]- ينظر: تاريخ الأدب في العصر العباسي الأوّل، محمد عبد المنعم خفاجي، ص07.
[2]- ينظر:المرجع نفسه ص 59.
[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص60.

الدماء و شاع الغناء و اللهو و المجون بين مختلف طبقات المجتمع مما آثر كثيرا اقتصاد البلاد الواسعة و عدم العدالة في توزيعها بين الناس.

و نظرا لضيق العيش و أبواب الرزق وكثرة الشعب و قلة وسائل الكسب التي لم تعد تؤدي احتياجات الناس ليتخذ بعضهم تكفف الناس حرفة و قعدوا للسؤال، و قد وصف أبو العتاهية حياة الفقراء و الشعب في شعره تصويرا رائعا، و في أبيات له يصف غلاء المعيشة في بغداد منشدا[1] بقوله:

من مبلغ عني الامـــــا ❋ م نصائحا متوالية

التي أرى الأسعار أســـ ❋ عار الرعية غالية

و أرى غموم الدهر را ❋ ئحة تمر و غادية

و أرى اليتامى و الأرا ❋ مل في البيوت الخالية

من بين راج لم يـــزل ❋ يسمو إليك و راجية

سيكون مجهدة بأص ❋ وات ضعاف عالية

من للبطون الجائعات ❋ و للجسوم العارية

و كان أبو العتاهية ممن نذروا أنفسهم لإيصال أوجاع الناس من أبناء المجتمع العباسي إلى الخلفاء.

ما يمكننا قوله، إن الحياة الاقتصادية ظلت مضطربة لأسباب عديدة، حيث كان العنف سائدا وزاد

الخراج و خيانة العمال و ارتشاؤهم و هدر الأموال فيما لا ينفع، بالإضافة إلى صراع المأمون و الأمة

[1] - ديوان أبو العتاهية.

من أجل توحيد الدولة، مما استترف أموال أبناء المجتمع العباسي.

وانتشر الفقر المذقع المنتشر في أوساط العامة مما أدى إلى ظهور فئات معنية من الناس فظهرت

فئة من الشعراء الفقراء الذين عاشوا في هذا العصر و صوروا في شعرهم معاناقم مع الفقر و الحرمان، كما ظهرت فئة أخرى هي فئة "الطفيليين" كانت فئة منبوذة همها الوحيد كثرة الأكل و الشرب و البحث عن الولائم و قد ورد الكثير عن أشعارهم و طرائفهم، كل ذلك بسبب الظلم في توزيع الدولة العباسية لثرواقا على طبقات المجتمع، لذا لم يترددوا أبدا في انتهاج أكثر من سبيل و حيلة للحصول

على قوقم[1].

كذلك، ظهرت في بغداد فئة تسمى بفئة "الشطار" نهاية القرن الثاني للهجرة و هؤلاء أناس فقراء

عرفوا باللصوصية و أذية الناس أذى شديدا، كما اشتهروا بالفسق و أخذ النساء و الغلمان علانية

منهم (إسحاق بن خلف (ت 230 هــ) و المعروف بابن الصليب)، و هذا ما يؤكد حقا تدهور

الأوضاع الاقتصادية و السياسية و سوء تدبير أمور الرعية، إلى جانب فئة أخرى تدعى فئة "العيارين"

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص166.

ظهرت في أواخر القرن الثاني هجري و التي لعبت دورا خطيرا أثناء الصراع الدامي بين الأخوين الأمين و المأمون، و هم من الأفارقة و الأحباش قصدوا بغداد للعمل في القصور و الدور و المزارع، و لما تقطعت بهم السبل و ضاقت عليهم الدنيا و ضنك العيش اتجهوا إلى السرقة و لولا تدهور الأحوال و اختلال الموازين و شدة وطأة الفقر في المجتمع العباسي لما تجرأ هذا الصنف من الناس ركوب هذا المركب الخطير الذي يحط من قيمة صاحبه[1].

و في زاوية أخرى من زوايا هذا المجتمع المضطرب، نجد فئة الشباب الذين انعكست رفاهية العيش و مظاهر الحضارة على سلوكاتهم، فعرفوا آنذاك بميلهم إلى التخنث و المجون و التشبه بالنساء، و كثرت الملاهي و تنوعت الفنون من رقص و غناء، و استفحلت ظاهرة جديدة بالذكر و هي مجالس الخمر و الشراب أو النبيذ و انعكست على آداب العصر و على شعره خاصة.

لعل مرد انتشار الشراب في العصر العباسي، الأثر الفارسي و التساهل الديني إلى حد ما و الرغبة الملحة في الاستمتاع بملذات الحياة في كنف الحضارة المتدفقة وقتها.

و نستطيع أن نختم هذا الجزء من البحث قائلين: إن مظاهر الحضارة التي شاعت في ربوع بغداد

---

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص167.

و غيرها من كبريات المدن خلال هذا العصر، تعد معالم ثابتة و شواهد حية على مدى التطور و التحضر الذي بلغته الدولة العباسية في أقل مدة من الزمن، و إن مبالغة الخلفاء و الأمراء و حواشيتهم و أثرياء العصر في تشييد القصور و الدور و التفنن في بناء أشكالها و إسرافهم في ضروب الترف و البدخ و كذا إقامة الحفلات و الإفراط في الملبس و أنواع الحلي و الزينة و في المأكل و المشرب، فإنما تدل على ثراء الدولة العباسية و اتساع ممتلكاتها و ازدهار اقتصادها و رغبة الناس في مسايرة الركب الحضاري.

و هكذا كانت الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في العصر العباسي الأول، زاخرة بالثراء و ألوان المتع و الملذات و على الرغم من هذا الثراء، فقد عانت طبقة العامة من الفقر و الحرمان و اقتصر الثراء على طبقة الخاصة، و مع ذلك فلا أحد ينكر هذا المد الحضاري المزدهر آنذاك في شتى مجالات الحياة، و انفتاح الدولة على مختلف الفنون و العلوم و التي سنخصص لها فيما يلي حديثا نتناول خلاله الحياة الفكرية في العصر العباسي.

رابعا :الحياة العقليـــــة:

في خضم مجريات الحياة السياسية و الاجتماعية كانت الحياة العقلية و الفكرية وجها آخر

لازدهار البلاد، فقد انتعشت الحياة الفكرية في هذا العصر انتعاشا كبيرا، و تلاقت في الحواضر

الإسلامية شتى الثقافات التي تمثل حضارات الأمم العريقة في العلم و الثقافة و اجتهد الخلفاء في

تشجيع الحركة العلمية في جميع جوانبها و أسبلوا عليها كامل رعايتهم و تشجيعهم، حتى أنهم كانوا

يبالغون في إكرام الأدباء و العلماء و جزل العطاء لهم بل و يجالسونهم و يقربونهم إليهم

و اتخذ بعض الخلفاء من العلماء مؤدبين و معلمين لأبنائهم كما هو الحال مع شيخنا الفراء

عندما اتخذه المأمون مؤدبا لولديه و غيره كثيرون ليصبح الأدب و القلم وسيلة إلى المناصب العليا و النفوذ و الجاه و كان كل عالم نابغ في مجاله العلمي ترفع مترلته و يتنافس العظماء في تكريمه، كما يتنافسون في إنشاء دور العلم و ترجمة الكتب إلى العربية من مختلف اللغات،كترجمة كتب الطب و النجوم و الفلسفة و غيرها من العلوم، و كانت حركة الترجمة التي نقلت ذخائر الأمم المختلفة و خصوصا الأمة اليونانية قد وضعت أمام أعين المسلمين ثروة علمية هائلة باللسان العربي، عملت العقول العربية على فهمها و شرحها و الابتكار فيها[1] و فيما يلي بيان لذلك.

لا يختلف اثنان على أن مدينة بغداد المركز الأول و المعقل الأساسي لكل العلوم و الآداب الآتية

[1] - ينظر: موسوعة الحضارة الإسلامية0، أحمد أمين، مجلد5، ص77.

من كل حدب و صوب فيما بعد. بل كانت يد الخليفة تحرك أهم مركز علمي و أدبي وحيد في تلك الفترة من الحكم، فكل نابغة تفوق في علم أو أدب، لا أمل في شهرته و ذيوع صيــتـه و نبوغه إلا إذا وطأت قدماه مدينة بغداد و تقرب بعلمه و أدبه إلى خلفائها و أمرائها الذين يجزلون العطاء لهم كما تعددت مراكز العلم و الأدب فيما بعد و أصبح علماء مصر مثلا يفاخرون أدباء و علماء بغداد و أنحاء الشام يتباهون على أدباء العراق و هذا مما شجع الحركة العلمـــيـة و الأدبية.

يقول "البجكم التركي":(أنا إنسان و إن كنت لا أحسن العلوم و الآداب أحب أن يكون في الأرض أديب و لا عالم و لا رائس في صناعة الاكان في جنبتي و تحت اصطناعي و بين يدي لا يفارقني)[1].

بذلك وقو في نفوس الخلفاء حرمة العلماء متى لم يتعرضوا للسياسة من قريب و لا بعيد و هذا يمكنهم من البحث العلمي في هدوء و طمأنينة.

لقد كان العصر العباسي أزهى العصور في البلاد الإسلامية وفي خضم مجريات الحياة السياسية و الاجتماعية نسلط الضوء على عنصر هام و جزء لا يتجزأ من حياة الناس في تلك الفترة و هي

[1]- المرجع السابق، ص77.

الحياة العقلية و حياة العلم و الأدب آنذاك فما مدى تأثيرها في تلك البيئة؟

ازدهرت الحياة العقلية في هذا العصر ازدهارا كبيرا و تلاقت في الحواضر الإسلامية شتى الثقافات التي تمثل حضارات الأمم العريقة في العلم و الثقافة و أخذ الخلفاء يشجعون الحركة العلمية في شتى جوانبها و يضفون عليها ظلال رعايتهم و تشجيعهم و كانوا يبالغون في إكرام الأدباء و العلماء و يجالسونهم و يقربونهم إليهم و صار الأدب و العلم وسيلة إلى المناصب العالية و النفوذ و الجاه و

كان كل من نبغ في العلم أو شهر بالأدب ترفع منزلته و يتنافس العظماء في تكريمه كما يتنافسون

في انشاء دور العلم و ترجمة الكتب إلى العربية من مختلف اللغات و إذا كانت الدولة مزيجا من

شعوب كثيرة كانت عقلية العربي آنذاك مدى لامتزاج الثقافات و تلاقي الحضارات،لكن الثقافة

العربية الإسلامية هي الذائعة. وذخائر الأمم المختلفة و خصوصا الأمة اليونانية وضعت أمام أعين

المسلمين ثروة علمية هائلة باللسان العربي فكانت الخطوة الثانية أن تتوجه إليها الأفكار العربية تفهمها و تشرحها و تبتكر فيها و تزيد عليها و هذا ما فعله عصرنا كما يأتي بيانه.

كانت بغداد آنذاك المعقل الأساسي لكل العلوم و الأداب الآتية فيما بعد بل كانت يد الخليفة

تحرك أهم مركز علمي أو العلمي الأدبي الوحيد في تلك الفترة من الحكم فكان من تفوق في علم أو

أدب فلا أمل في شهرته و نبوغه و ثروته إلا إذا رحل إلى بغداد و تقرب بعلمه و أدبه إلى خلفائها و أمرائها و الذين يجزلون العطاء لكل نابغ فذ، و تنافست الأقطار على بغداد في استجلاب العلماء و الأدباء و يفاخرون بهم كما يتفاخرون بعظمة الخبر و عظمة المباني فبدل أن كان للعلم و الأدب

مركز واحد هام أصبحت لهما مراكز هامة متعددة و أصبح علماء مصر –مثلا– يباهون علماء

بغداد و أدباء الشام يفاخرون أدباء العراق و هذا من غير شك يشجع الحركة العلمية و الأدبية و

يقويها و يرقيها.

و إذا كان (خالد بن يزيد 89 هــ) أول من ترجم له كتب النجوم و الطب و الكيمياء[1] فقد عني

المنصور (158 هــ) بترجمة كتب النجوم و الطب و الفلسفة و ترجمت الكتب من اليونانية و الرومية و السريانية و الفهلوية[2]، كذلك فعل الرشيد الذي أنشأ بيت الحكمة في بغداد و نقل إليه ما وجده من كتب في أنقرة و عمورية و بلاد الروم التي غزاها المسلمون و أوفد المأمون الرسل إلى ملك الروم في استخراج علوم اليونانيين و نسخها بالخط العربي و بعث المترجمين لذلك[3]، كذلك اتصلت الثقافة الهندية بالفكر العربي مباشرة و بواسطة الفرس أيضا تجمعت هذه الثقافات في العراق في هذا العصر

[1] – البيان و التبيين ، أبو عثمان عمرو بن الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ط3 ، 1968، ج1 ،ص 212.

[2] –ينظر تاريخ الأدب في العصر العباسي الاول عبد المنعم خفاجي، ص 14.

[3] – ينظر المرجع نفسه ، ص 18.

وأحدثت أثرها الضخم في العقول و الأفكار و كان المتكلمون أكبر عامل في امتزاج هذه الثقافات.

كذلك وجود أديرة في ذلك العهد، و هي تختلف باختلاف مواضعها فمنها القريب من المدن و

الأرياف و منها المشرد في البراري و الأقفار، و قد كان لكل دير كنيسة يصلى فيها و مكتبة فيها

الديرانيون من الرهبان و الراهبات، و بالمكتبة مؤلفات تتناول موضوعات شتى كالكتب المقدسة و

تفاسيرها و الفلسفة و اللاهوت و العبادات و الطقوس الدينية و المعارف الأخرى كالأدب و الشعر

و غيرها.

و كان من أشهر شعراء هذه الأديرة من الكوفة و هما "محمد بن عبد الرحمن الثرواني" و (بكر بن خارجة) فالحاجة الأدبية قد أذكت الأديرة قرائح الشعراء و شحذت مداركهم و حملتهم على تصوير الحياة بتفاصيلها تصويرا رائعا.

كما ظهر تيار الزهد وخاصة بالعراق الذي يعتبر بعد الفتح الإسلامي و صدر الخلافة الأموية

من أبرز المواطن التي ظهر فيها هذا التيار و عد معقلا لما كانوا يسمون العباد لتفرغهم للعبادة و

من أمثالهم أو ما أوردته الكتب "معضد بن يزيد العجلي من العراق" المشهور بكثرة تردده على

المقابر و (الربيع بن خيثم الكوفي) و هو من كبار الزهاد.

و من الزهاد الذين كانوا يدعون إليه عمر بن عبيد و هو من بني تميم144 هــ (ت144ه)من

مؤلفاته "العدل و التوحيد" و "موسى بن سيار الأسواري" و غيرهم.

و ظهرت من النساء الزاهدات رابعة العدوية (ت 135 هــ) و "ميمونة السوداء و شعوانة و ريحانة" و هي من زاهدات القرن الثاني الهجري ، كما ظهر الشعراء المتزهدون و إلى جانبهم أيضا قصاص و نساك كثيرون ظلوا منتشرين في سائر الأمصار (و كانوا يحبون حياة زهدية خالصة كلها تبتل و عبادة و تقشف و انقباض عن الاستمتاع بالحياة و ملذاها و انصراف عن كل نعيم)[1] و من أشهر هؤلاء (سفيان الثوري و عبد الله بن المبارك و الفضل بن عياض...) و غيرهم ممن كثرت أسماؤهم في

مصادر كالبيان و التبيين، و عيون الأخبار، و العقد الفريد،..الخ اتسعت رقعة الشعر و إنشاده

بصفة ملحوظة في العصر العباسي و تنوعت و تطورت أغراضه بل و استحدثت أغراض أخرى

خضعت لأحوال المجتمع و ظواهره فمن الشعر الزهدي –كما ذكرنا– إلى نشأة شعر التدين في مدينة العراق و الكوفة و عرف رواجا كبيرا فيها على يد شعراء و عباد و أصحاب البيان مثل (أبو العلاء

[1] – تاريخ الأدب في العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، ص 85.

في القرن الثاني الهجر و الدؤلي فقيه، و شاعر و نحوي) كما عرف عن فقهاء ذلك العصر مبالغتهم في الزهد.

إلى جانب الزهاد ظهرت طائفة أخرى تسمى "المجانين" في القرن الثاني الهجر فهم ليسوا مختلي العقول و إنما هم (مجانين ينطقون بالحكمة) و الموعظة، لأن جنونهم كان في طاعة المولى عز و جل و التعلق به[1]، و ظهرت أيضا نزعات محلية مثل النزعة المانوية و النزعة البوذية في الكوفة و بالتالي نقول إن ألوان الزهد كانت عديدة في ذلك العصر.

أيضا انتشر في الكوفة الرواية الشعرية و من روادها (حماد الراوية الكوفي ت155 ه) و من جمع المعلقات السبع الطوال و المفضل الضبي له كتاب المفضليات و هو أوثق من رواة الشعر من الكوفيين ت 168 هـــ) و غيرهما ممن حافظوا على تراث الجاهلية شعرا و نثرا[2].

بغداد ذات المنظر الجميل و المناخ المعتدل، كانت قابلة لاستيعاب كل من يفد عليها و في علم الكلام ظهر من المعتزلة (بشر بن المعتمر 210 هـــ) و النظام (180-223 هـــ) و الجاحظ (ت 255 هـــ)

[1] - المرجع السابق ، ص 87.
[2] - مظاهر المجتمع وملامح التجديد في العصر العباسي د مصطفى بيطام ، ص 243.

و هكذا حفل هذا العصر بأفذاذ العلماء و المفكرين و رجال الدين.

تلك هي معالم الحياة العقلية في هذا العصر بما فيها من مؤثرات وبما اشتملت عليه من تطورات ونهضات.

الفصل الأول
علم المعاني

أولا: نشأة علم المعاني

ثانيا: مظاهر و صور علم المعاني

نشأة علم المعاني:

المعاني مصطلح يحمل من القيمة العلمية و العمق ما جعل من الباحثين و العلماء يهتمون بدراسته منذ القدم ، فهو علم قائم بنفسه و أحد علوم البلاغة الثلاثة المعروفة الآن، و عنوان لعديد أمهات الكتب اللغوية القديمة، فالمعنى روح اللفظ و محركه فلا شك أن الإنسان قد أدرك منذ الأزل أن الوسيلة الوحيدة و الفعالة لإفهام الآخرين و التعبير عما يدور في خلده لا يكون إلا بالربط بين المعنى الذي يريد التعبير عنه و الرموز و العلامات المعبرة عنه.

و قد استرعت قضية المعنى اهتمام العلماء و الباحثين في مختلف فروع المعرفة فتناولها بالدرس والتحليل اللغويون و النحويون و البلاغيون و حتى الفلاسفة و غيرهم. و كان لنزول القرآن الكريم بآياته المحكمة و لغته الفصيحة و نظمه المعجز و أساليبه البليغة الدافع الأول لبدء حركة لغوية عظيمة استمرت عقدا من الزمن.

لقد أفاض لفيف من الدارسين اللغويين في الدفاع عن القرآن الكريم و بحثوا بعمق واجبهم نحوه فعقدوا العزم يؤلفون في مجازه و معانيه و لغته و غريبه و البحث في وجوه إعجازه و سخروا لذلك كل طاقاتهم و قدراتهم العلمية فكان أن ظهرت إلى الوجود علوم كالتفسير و الفقه و القراءات و علم النحو و البلاغة، كما عملوا حثيثا للكشف عن صياغة مفرداته و طرائق بناء تراكيبه و كيفية إسناد عمد و فضلاته و معرفة مراتب الألفاظ في الكلام و منازل الحروف سعيا لإدراك معانيه و فهم

مضامينه الهادية لسواء السبيل[1]، و ما علم النحو إلا أكبر دليل على تلك الدراسات الضخمة لنظم القرآن، كان أساسها فهم معاني القرآن الكريم و معرفة أساليب التعبير من تلك المعاني و الكشف عن بلاغته و وجوه إعجازه، ليخط النحو العربي بذلك خطوات جليلة لإنضاج الفكر النحوي والارتقاء به إلى مستويات الرقي العقلي و ذلك بتنويع مجالات البحث فيه و تطوير وسائل الكشف عن وجوه معاني الكلام.

إذن يمكننا القول إن عناية علماء العربية بالمعنى و دلالاته كانت مبكرة تخبر بذلك و بشكل واضح المؤلفات اللغوية المصنفة ككتب معاني القرآن[2] و مجازه و و إعرابهو مشكله، بالإضافة إلى ما وصفوه من معجمات لتفسير معاني الألفاظ، و كتب تفسير القرآن و بيان وجوه معاني القراءات ودراسة الوجوه و النظائر[3].

أيضا تجلى هذا الاهتمام بالدراسات اللغوية في بحثهم في الإفراد و التثنية و الجمع أو التأنيث والتذكير أو التعريف و التنكير أو في بحثهم في دلالات الأحوال الإعرابية المختلفة من رفع و نصب

وجر و جزم، أو تفريقهم بين مواقع الكلمة المتشابهة كـحالات النصب أو حالات الرفع و تمييزه بين معاني الجمل الاسمية و الفعلية و كذا أساليب الكلام و تمحيصها بما تشتمل عليه من معان دقيقة[1].

---

[1] -ينظر: نظرية المعنى في الدراسات النحوية، .د كريم حسن ناصح الخالدي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1 ، 1427هـ ، 2006 م، ص 07.

[2] - ينظر: الفهرست ابن نديم، ج1، ص37.

[3] - ينظر: نظرية المعني في الدراسات النحوية،.د كريم حسن ناصح الخالدي،ص16.

و من المناسب القول أن هذا الاهتمام الكبير تطور و نما بمرور الزمن بازدهار وتطور الحضارات ورقيها في شتى المجالات، و أن المعنى كان ماثلا أمام علمائنا منذ قيام أبي الأسود الدؤلي (ت 64 هـــ) بوضع نقط المصحف الشريف حيث جعل تلك النقط دلالات على رفع الكلمة أو نصبها أو جرها و ما يتبع ذلك من معان وظيفية[2].

و قبل أن أبدأ في الحديث عن جذور علم المعاني و نشأته ارتأيت أن أذكر ما ورد من مفاهيم عن

المعنى عند العلماء القدماء و كيف كانوا يعرفونه قبل أن يظهر مصطلح علمي يدعى علم المعاني.

جاء في معجمنا العربي الوسيط مادة "عني"[3] أن المعنى و جمعه معان هو الدلالات أو المدلولات التي يتفاهم بها الناس عن طريق اللغة و قد شغلت هذه الظاهرة اللغوية الإنسان أمدا طويلا، فاللغويون و غيرهم ممن عنوا بالفكر و تحليل النصوص الدينية و الأدبية وعكفوا على بحث مسألة المعنى[4]. فالمعنى أمر ذهني مجرد ينطبع في عقل الإنسان من خلال موقف التعليم و الخبرة التي يمر بها.

و قد وردت إشارة هامة للإمام الجوهري (ت 393 هـــ) تفيد بأن المعنى هو الدلالة إذ يقول: (الدليل ما يستدل به و الدليل الدال، و قد دله على الطريق يدله دلالة و دلالة و دلولة و الفتح

---

[1]- ينظر : المرجع السابق، ص16

[2]- ينظر : المرجع نفسه ، ص16

[3]- معجم لسان العرب، ابن منظور، عالم الكتب، بيروت، ط1، 2000م، مادة عني،

[4]- ينظر: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، صالح يسلم، عبد القادر الفاخري، مؤسسة الثقافة الجامعية، ط1، د.ت، ص 28.

أعلى)[1] فالدلالة إشارات و علامات حية و معنوية تهدي إلى المعنى و توحي به و قد تكون الدلالة حركة أو حرف ، كلمة أو صيغة ، تركيبا أو سياقا أو غير ذلك مما يدل على المعنى.

إن من ينظر في أمهات كتب تراثنا اللغوي العربي القديم، يرى ثمة أثرا لوجود مفاهيم أو تعاريف للمعنى وردت على لسان أصحابها.فقد كان الخلاف قائما آنذاك حول رجوع الفصاحة و البلاغة إلى اللفظ أو المعنى فتشعبت آراء الناس و اختلفت مذاهبهم، فمنهم من ينتصر للفظ على حساب المعنى فيجعله غايته ،وهناك من يذهب إلى فخامة الكلام و جزالته على مذهب العرب من غير تصنع و منهم من ذهب إلى سهولة اللفظ فعني بها و اغتفر له فيها الركاكة و اللين المفرط كأبي العتاهية و العباس بن الأحرف و من تابعهما، و منهم فريق يؤثر المعنى على اللفظ، فيطلب صحة المعنى و لا يبالي سواء كان اللفظ المعتبر به مستهجنا قبيحا خشنا كابن الرومي و المتنبي و غيرهما، و لكن أكثر الناس تفضل اللفظ على المعنى لأن المعاني –حسبهم- موجودة في طباع الناس يستوي الجاهل و الحاذق فيها، و يؤكدون على ضرورة جودة اللفظ و حسن السبك و صحة التأليف و منهم من توسط و منهم من غالى في الأمر.

فالجاحظ (ت 225 هـ) مثلا يقول: (لا يكون الكلام بمستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه

[1] - ينظر : المرجع السابق، ص27.

لفظه فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك)[1].

و يقول ابن المقفع (لا خير في كلام لا يدل على معناك و لا يشير إلى مغزاك)[2]. أما بشر بن المعتمر(ت210ه) و هو أحد بلغاء المعتزلة و له صحيفة مشهورة يقول (و المعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة و كذلك ليس يتضح بأن يكون من معاني العامة و إنما مدار الشرف على الصواب و إحراز المنفعة مع موافقة الحال، و ما يجب لكل مقام من مقال)[3] ، و يضيف قائلا:

(ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني و يوازن بينهما و بين أقدار المستمعين و بين أقدار الحالات

حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، و يقسم أقدار المقامات و أقدار المستمعين على أقدار

تلك الحالات)[4].

من جهة أخرى يرى ابن رشيق القيرواني(ت 436 ه) في كتابه العمدة في محاسن الشعر و آدابه أنّ (اللفظ جسم و روحه المعنى و ارتباط به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه و يقوى

[1] - – البيان والتبيين ، ابو عثمان عمرو الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة الخانجي ، القاهرة ، مصر ،34 ، 960، ج1 ، ص 1155.

[2] - المصدر نفسه ، ج1 ، ص 116.

[3] - المصدر نفسه ، ج1 ، ص 136.

[4] - المصدر نفسه ، ج1 ، ص 138 ، 139.

بقوته، فإذا سلم المعنى و اختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر و هجنته عليه و كذلك إن ضعف المعنى و اختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظا، فإن اختل المعنى كله و فسد، بقي اللفظ موات لا فائدة منه و إن كان حسن الطلاوة في السمع، و إن اختل اللفظ جملة و تلاشى لم يصح له معنى)[1].

أما ابن جني (ت 392 هـــ) فقد تطرق لموضوع المعنى من خلال ثنائية اللفظ و المعنى و ألبسهما ثوبا جديدا خالف فيه السابقين، فهو يقرر بأن الألفاظ خدم للمعاني و المخدوم لا شك أشرف من الخادم، إلا أنه يقر بحتمية العناية باللفظ فبدون الألفاظ لا يمكن إبراز المعنى و توضيحه، و بما أن الألفاظ عنوان للمعاني فيجب بالضرورة إصلاح الألفاظ و تهذيبها و مراعاتها و نشير هنا إلى أن العالم الجليل (عبد القاهر الجرجاني ت 471 هـــ) قد استفاد كثيرا من دراسات ابن جني[2].

و نواصل رصد مختلف الآراء الواردة حول موضوع "المعنى" و ذكره لدى العلماء منذ القدم، فهذا أبو هلال العسكري (ت 395 هـــ) يذكر أيضا المعنى و يحدده بقوله (و ليس الشأن في إيراد المعاني لأن المعاني يعرفها العجمي و العربي) و يقول (إن صاحب البلاغة يحتاج إلى إصابة المعنى كحاجته

[1] - العمدة في محاسن الشعر وادابه ، ابن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد القرقزاني ، دار المعرفة ، بيروت ، ط1 ، د.ت ، ج1، ص80.
[2] - المختصر في تاريخ البلاغة، د.عبد القادر حسين،دار الشروق، بيروت، ط1 ، 1402هـــ، 1982م، ص73.

إلى تحسين اللفظ لأن المدار بعد على إصابة المعنى، فالمعاني بمنزلة الأبدان و الألفاظ بمثابة الكسوة و

مرتبة أحدهما على الآخر معروفة)[1] ثم يقسم المعاني إلى قسمين: قسم مبتكر يبتكر فيه العسكري و قسم آخر غير مبتكر و يحتذي فيه على مثال سابق[2].

و نشير أيضا إلى أن المعنى ورد مفهومه من خلال تعريف الامام علي كرم الله وجهه للبلاغة، فهو يرى أنها الكشف عن المعنى و ايضاح الغامض و سهولة العبارة في قوله (البلاغة ايضاح الملتبسات و كشف عوار الجهالات بأسهل ما يكون من العبارات)[3].

أما عن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ) عرف البلاغة بقوله –ذاكرا المعنى- (كل ما

أدى إلى قضاء الحاجة فهو بلاغة، فإن استطعت أن يكون لفظك لمعناك طبقا و لتلك الحال وفقا و

آخر كلامك لأوله مشابها و موارده لمصادره موازنا فافعل)[4].

من خلال ما سبق يتضح لأن مصطلح "المعنى" كان واردا منذ القدم على لسان العلماء في مفارقة دقيقة يتحدثون من خلالها عن ثنائية اللفظ و المعنى و أسبقية أحدهما على الآخر أو الاتفاق

[1]- الصناعتين، أبو هلال العسكري، دار النشر، الجزائر، ط1، د.ت، ص75.

[2]- ينظر: المختصر في تاريخ البلاغة،د عبد القادر حسين ص106-107

[3]- المرجع نفسه، ص52.

[4]- البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري، د.رابح دوب، ص19

على ضرورة الاعتناء بهما معا دون تفضيل أو تمييز، هذا رصد موجز لم نعرض فيه لكل أقوال العلماء الذاكرين لمصطلح المعاني فذلك أمر لا حصر له، و إنما أردت بذلك تبيان أن لفظ المعنى له جذور أصيلة مرد القدم و هو ركيزة كل الدراسات اللغوية.

يمكن القول إن علم المعاني أساس البلاغة، و أقوم علوم اللغة، لذا لابد من رعايته، فهو بالتالي ركن

من أركانها الثلاث المعروفة علم المعاني علم البيان وعلم البديع التي نعرفها اليوم.

و قد البلاغة أول أمر وحدة شاملة لمباحث هذه العلوم بلا تحديد ولا تمييز، وخير دليل على ذلك ما جاءت به كتب المتقدمين من علماء العربية والتي تضمنت مسائل علوم البلاغة واختلط بعضها ببعض من غير فصل أو تحديد.[1]

وشيئا فشيئا أخذت البلاغة منحى التخصص والاستقلال كما أخذت مسائلها تتبلور وتتلاحق وظل الأمر على حاله إلى أن جاء العالم عبد القاهر الجرجاني (ت.471 ه في القرن الخامس هجري

ووضع نظرية علم المعاني في كتاب سماه دلائل الاعجاز في علم المعاني. كما وضع نظرية ثانية في

علم البيان وذلك في كتابه أسرار البلاغة،كما سبق عبد الله ابن المعتز(ت292ه) إلى وضع أساس

[1] – علم المعاني، عبد العزيز عتيق، دار الأفاق العربية، القاهرةن مصر، د.ت،2004، ص19.

علم البديع.

إذن لا شك في أنّ عبد القاهر الجرجاني هو واضع أصول علمين المعاني والبيان، بعد أن عرفت البلاغة سابقا بعدم فصل بين فنونها لما في ذلك من خدمة الأدب وإمداده بأسباب القوة والجمال والوضوح وكان لهذا المنهاج أثره وقيمته في إيقاظ المواهب لصناعة الأدب واقدار أصحابها على التدوق الأدبي والتميز بين جيّد الكلام ورديئه.[1]

لا جرم إذن أن مختلف الأقوال التي وردت تعرف البلاغة العربية تتفق على أنها الكلام الذي يصيب معناه بوضوح و سلامة مع خلوه من التكلف و الفضول و مراعاته لمقتضى الحال[2]، فمنذ القدم و البلاغة عند العرب أمر جبلوا عليه أو أمدتهم إليه سلائقهم و أحبته نفوسهم و ألفته ألسنتهم و آذانهم أمر ولد معهم و ترعرع فيهم و أصبح جزءا لا يتجزأ منهم و من حياتهم، و مع ذلك كله، فإننا لم نلحظ لهم مطلقا كلاما فيه يبين عناصر البلاغة التي كانوا يتوخون[3] ثم جاءت بعد ذلك نزول معجزة القرآن الكريم الذي ملأ الدنيا و شغل الناس فراحوا بكل جدوى يبحثون فيه شارحين مفسرين و مستنبطين.

---

[1] ينظر: المرجع السابق، ص20.

[2]–ينظر: الموجز في تاريخ البلاغة، د.عبد القادر حسين، ص17.

[3]– ينظر المرجع نفسه، ص31.

لقد كانت الدراسات البلاغية قبل أبو يعقوب السكاكي (ت 626 هـــ) صاحب كتاب مفتاح العلوم مجرد تنبيه إلى مواطن الحسن و الجمال من الكلام و شحذ لملكات صناعه الفنية و محاولات للكشف عن العناصر الجمالية في البيان العربي و تربية لملكة الذوق و تمكين كل ذي موهبة أدبية من أن يقرأ و يفهم و يستحسن و يستنتج و يوازن و يفضل أو أن ينتقد العمل الأدبي[1].

هكذا أصبحت العناية الجمالية في البيان العربي غاية في حد ذاتها، كما كانت وسيلة لشحذ الملكات و تنمية الأذواق و إرهاف الحس و تكوين البلغاء[2].

يعد مفسرو القرآن الكريم أصحاب الفضل الأول في إبراز ما خفي من المعاني من أجل فهم

النص القرآني، و كان من هؤلاء المفسرين ثلة من أجل العلماء آنذاك كالفراء و أبو عبيدة، و

ابن فقيه و الجاحظ و غيرهم، حيث أنهم تناولوا جميعا سور القران الكريم و آيات و حللوها، كل

حسب مرجعيته الفكرية و رؤيته الخاصة به و بذلك ساهموا بقوة في تأصيل الدرس البلاغي من خلال

تفسيرهم للقرآن الكريم، فمثلا عنوان كتاب أبو عبيدة م ع بن المثنى "المجاز في القرآن الكريم" ذو مدلول

[1]- ينظر: علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص20.

[2]-ينظر المرجع نفسه، ص21

بلاغي واضح للعيان "المجاز" فهل قصد به المجاز الذي نعرفه نحن اليوم.

و جاء الكتاب لصاحبه سيبويه النحوي، و الذي سلط الضوء فيه أثناء البحوث التي أجريت عليه من أجل استنباط قواعد النحو و الصرف و اللغة دون الإشارة إلى آرائه البلاغية إشارة صريحة و هو زاخر بتلك الإشارات البلاغية التي بنى عليها اللاحقون نظرياتهم في المعاني و البيان[1].

لقد عكف النحاة العرب منذ سيبويه (ت 180 هــ) على دراسة الجملة و تحليلها و رصد ما قد يطرأ عليها من تقديم و تأخير أو حذف و كان هدفهم منوراء هذا العمل التعقيد لما سارت عليه العرب في كلامها و استخداماتها ليشهد التأصيل لعلم المعاني أن للنحاة دورا كبيرا لا ينبغي إهماله أو إنكاره.

و في السياق نفسه، نشيد بدور البلاغة في نشأة علم المعاني، فدورهم في هذا الأمر لم يكن مجرد التوقف عند بناء الجملة و التوصيف الأجوف لمحتواها، و إنما كان دورهم متوغلا في تلك الدواعي لما يطرأ على الجملة من تغيير و ما يعتوها من خروج على النمط التركيبي التقليدي في جمله. تلك الدواعي بلورت لنا فيما بعد ما يعرف عند عبد القاهر الجرجاني بنظرية النظم اللغوية أو معاني

[1]– ينظر: المباحث البلاغية في ضوء قضية الاعجاز القرآني، د.أحمد جمال العمري، ص31.

النحو التي قدم لها كثير من القدماء بإشارات موجزة نجد صداها عند ابن المقفع (ت 143 هـــ) و

الجاحظ (ت 255 هـــ) و الواسطي (ت 630 ه) و الرماني (ت386 هـــ) و

الخطابي(ت388ه(والباقلاني

(403 هـــ) و القاضي عبد الجبار (415 هـــ) (حتى استقرت هاته الاشارات و تمت و استوت على سوقها على يدي عبد القاهر الجرجاني (471 هـــ) حيث ضمها موضوعات علم المعاني و مباحثه و أطلق عليها معاني النحو أو النظم وكان يعني به تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها سبب بعض)[1].

ما يمكن قوله عن سيبويه أنه رغم وجود إشارات بلاغية في كتابه فإنه مع ذلك لم يكن يقصد علما غير علم النحو و لم يقصد علما خاصا هو علم البلاغة أو أحد فتونها فالرجل لم يكن يفرق بين النحو و البلاغة و لم يكن ينظر للنحو على أنه مجرد النظر في أواخر الكلمات من حيث الاعراب و البناء و ما فيها من حركات و سكنات لكن النحو عنده لكن النحو عنده يشمل كل هذه الأمور، كما يشمل أيضا تأليف الجملة و نظمها و سر تركيبها و بيان ما فيها من حسن و قبح

و لا شك أن هذا لا يشمل علم النحو فحسب و إنما يشمل البلاغة كما نعرفها اليوم، و سيبويه

1- دلائل الاعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود شاكر الخانجي، ط2، 1989 ، ص4.

أيضا نراه في الألوان البلاغية التي نبه إليها في علم لم يضع لشيء منها قاعدة و إنما كان يتمثل في الجزئيات ما تشرف به رتبة الكلام و يدخل في صميم البلاغة[1].

لقد حق القول على أن سيبويه كان حجر أساس في بناء البلاغة العربية لأنه ذكر مواضيع كثيرة تدخل في باب علم المعاني كالحذف و الزيادة و الذكر و الاخمال و التقديم و التأخير و الاستفهام و القصر، و كلام سيبويه عن السند و المسند قد أوحى إلى العلماء رصد علم المعاني في الأبواب

البلاغية المعروفة، و غير ذلك لا ينكر أثره و من ثم فإن لسيبويه في البلاغة جهدا مشكورا و بلاء

موفورا حيث ألقى بذورا طيبة في أرض خصبة نمت و ترعرعت بمرور الزمان على أيدي العلماء حتى

بلغت تمام النضج على يدي الجرجاني.

و بعد هذا نستطيع القول إن سيبويه قد ساهم مساهمة فعالة في وضع علم المعاني كما ساعد في وضع الأساس لعلم البيان و نبه على البديع[2].

أما عن المعتزلة و حضور علم المعاني عندهم، فقد كان لهم دور كبير في نشأة علوم البلاغة

[1]- ينظر: المختصر في تاريخ البلاغة، د عبد القادر حسين ، ص61.
[2]- ينظر المرجع نفسه ، ص60.

العربية، و اهتم رجالها بمسائل البيان و البلاغة لغرض الخطابة و المناظرة، فقد كان النظام لا يباري

في المناظرة و في ايراد الحجج و توليد المعاني كذلك مثامة بن الأشرس و واصل بن عطاء[1]، و كان الجاحظ من أهم أقطاب المعتزلة درس في كتابيه (البيان و التبيين، و الحيوان) العديد من القضايا البلاغية و البيان، تحدث الجاحظ عن صفات الألفاظ و المعاني و رأى أن الألفاظ الجيدة هي التي

تشف عن معانيها حتى لا يسابق المعنى اللفظ و متى كان المعنى شريفا و اللفظ بليغا، و كان صحيح الطبع بعيدا عن الاستكراه و منزلها من الاختلال مصونا عن التكلف صنع في القلوب صنع الغيث في التربة الكريمة[2]، و قد أرجع الجاحظ إعجاز القرآن الكريم إلى نظمه و تأليفه، و قد ألف كتابا سماه (نظم القرآن) لم يصل إلينا و لكنه ذكر في البيان و التبيين أن مرجع الاعجاز هو إلى نظمه و أسلوبه العجيب المباين لأساليب العرب في الشعر و النثر و ما ينطوي عليه من سجع[3] و ألف الرماني (ت 387 هـــ) رسالة النكت في إعجاز القرآن الكريم فرد فيها أوجه الاعجاز إلى سبع حالات، و وضع الخطابي رسالة (بيان إعجاز القرآن) رد فيها على القائلين بالصرفة و بأن القرآن

معجز بإخباره عن الغيب و أخبار الأمم وأنه معجز لأنه جاء بأفصح الألفاظ و أحسن نظوم

---

[1]- ينظر : البلاغة العالية عاطف فضل، ص14.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص60.

[3]- ينظر: البلاغة العربية، علم العاني،د.محمد احمد نحل، ص12 - 13

التأليف مضمنا أصح المعاني و قال: (و عندنا يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل و معنى به قائم، و رباط لهما ناظم و إذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور في غاية الشرف و الفضيلة... و أما المعنى فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها و صفاتها و قد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق في أنواع الكلام، فأما أن توجد مجموعة في نوع واحد منه، فلم توجد إلا في كلام العلي القدير)[1].

و الأرجح أن علم المعاني أدخل في النحو دلالة الجملة منه من مسائل البلاغة فليس يكفي في الجملة أن تستوفي شرائط الصحة النحوية، بل لا بد من ذلك مطابقتها متطلبات المناسبات و مقتضيات الأحوال، فعلم المعاني إذن مكمل للنحو و يجب أن يضم إليه لتكون للنحو صفة العلم المتكامل ذلك بأن النتائج التي توصلت إليها دراسة هذين العلمين هي نفسها ما انتهت إليه جهود المحدثين في دراسة الجملة برغم الفارق الزمني الكبير الذي كان ينبغي أن يكون ميزة للدراسات الحديثة على الدراسات القديمة[1].

---

[1]- الرسالة الشافية ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن الكريم، تحقيق محمد خلف الله و محمد ذغلول، سلام ، دار المعارف، مصر، ط2 ، 1968.، ص75.

و بالتالي نقول ان نشأة علم المعاني مرتبطة ارتباطا وثيقا بفكرة إعجاز القرآن الكريم بنظمه التي وضع (عبد الجبار أسد أبادي) أساسها و كان لعبد القاهر الجرجاني فضل إبرازها و إيضاح معالمها في إطار نظرية متكاملة الجوانب هي نظرية النظم، كما ذكرناها سابقا، ثم استطاع السكاكي أن يستخرج منها علما قائما برأسه هو علم المعاني[2]، فهذا العالم هو أول من قنن لمباحث هذا العلم في كتابه مفتاح العلوم بعد أن انحصر دور سابقيه في إبراز المصطلح ضمن دراساتهم القرآنية و الشعرية فيقولون (معاني القرآن أو معاني الشعر) و يتخذون من ذلك أسماء لكتبهم و هو ما سنذكر بعضا منها و ليس في هذه المصطلحات ما يتصل بالبلاغة أو أحد علومها، و لعل عبارة معاني النحو التي وردت في المناظرة التي جرت بين الحسن بن عبد الله بن لمرزبي المعروف بأبي سعيد السيرافي (268 هـ) و أبي شهر متى بن يونس في مجلس الوزير أبي الفتح بن جعفر بن الفرات كانت من أقدم الإشارات إلى هذا المصطلح بمعناه القريب من البلاغة[3]، و لعل أحد القدماء قد أومأ بإشارة إلى هذا

العلم بباب سماه "معاني الكلام" أورد من خلاله عشرة أنواع هي الخبر و الاستخبار و الأمر و النهي

والدعاء والطلب ،العرض و التخصيص ، التمني و التعجب و بذلك يكون ابن فارس(ت398ه)

---

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص16.

[2]- بنظر المرجع السابق، ص18.

[3]- أساليب بلاغية، أحمد مطلوب، دار غريب للطباعة،.ط1، 1980، ص67.

أول من أطلق معاني الكلام على مباحث الخبر و الانشاء التي أصبحت أهم أبواب علم المعاني[1].

إن الملفت للنظر وجود الكثير من الكتب اللغوية القديمة التي تحمل عناوينها لفظة "المعاني"، بالاضافة إلى عشرات الكتب المؤلفة في معاني القرآن و شكله و مجازه ذكرها ابن النديم الفهرست[2]

و هذا الفيض الغزير من الكتب التي ساعدت على نشأة البلاغة و تحديد بعض أبوابها.

لقد جاءت عديد من كتب الطبقات من مؤلفات حول لغة القرآن الكريم، و قد ذكر يحي

شحاتة علي في كتابه الدراسات اللغوية في القرآن الكريم (في أوائل القرن الثالث هجري بقسمات

واضحة لهذه المؤلفات و قسمها إلى: مؤلفات في إعراب القرآن و في غريبه و لغات القرآن و معاني القرآن و هذا ما يهمنا، فالكتب الحاملة لهذا المصطلح "المعاني" "ذكرها ابن النديم" كما يلي معاني القرآن لواصل بن عطاء (ت 131 هـــ)، معاني القرآن لغلب (ت 141 هـــ)، معاني

القرآن الكبير و معاني القرآن الصغير ليونس بن حبيب (ت 182 هـــ) معاني القرآن لأبي جعفر الرؤاسي (ت 178 هـــ)، معاني القرآن للكسائي (ت 189 هـــ)، معاني القرآن لأبي فيد مؤرخ

---

[1]- ينظر : احمد مطلوب معجم المصطلحات البلاغية، وتطورها، المجمع العلم، العراقي،ط1 ، 1987،ج3، ص277.

[2]- الفهرست ابن النديم، ص37.

السدسي (ت 200 هـــ)، معاني القرآن للنضر بن شميل (ت 207 هـــ)، معاني القرآن لأبي عبيدة

(ت 212 هـــ)، و معاني القرآن للأخفش (ت 213 هـــ)[1]، و كلها كتب لها صلة وثيقة بالظواهر اللغوية في القرآن الكريم.

أما المقصود بكلمة (المعاني) في كتاب الأخفش (ت 285 هـــ) معاني القرآن، يقصد به مناقشة

القضايا اللغوية في النص القرآني من إعراب و تأويل و تفسير، فعرض لذلك الكثير من الظواهر

الصوتية و الصرفية و النحوية و الدلالية في آيات القرآن الكريم، هو في مناقشة للقضايا اللغوية قد

يبدأ بالحديث عن إحدى هذه القضايا و قد يشمل حديثه مناقشة للقضايا اللغوية قد يبدأ بالحديث

عن إحدى هذه القضايا و قد يشمل حديثه مناقشة لأكثر من ظاهرة في الآية الواحدة و هو يعني

بالمعنى المقصود من الآية من ذلك ما نراه في تفسير لقوله تعالى: "و لا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف" .

[1]- الدراسات اللغوية في القرآن الكريم، في أوائل القرن 3هـــ، عيسى شحاتة، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت ، 1001، ص26،25،24،22.

قال: فليس المعنى: انكحوا ما قد سلف و هذا لا يجوز في الكلام و المعنى –و الله أعلم–[1] و في كتابه هذا حافل بالآراء اللغوية و النحوية و التركيبية و طبق فيها كثيرا من النحو البصري على النص القرآني و طبق هو آراءه النحوية على النص القرآني إعرابا و تفسيرا و تأويلا، و الناظر في أبواب الكتاب، يجدها متعددة فمنها باب المجاز و تحدث فيه عن اللفظ المفرد الذي يدل على الجمع و التذكير و المؤنث و أشباه ذلك من القضايا الدلالية[2].

و ضمن السياق نفسه نتحدث عن معنى كلمة المعاني عند الشيخ الفراء و المقصود بها لديه، ما سبق أن رأيناه عند أبي عبيدة و الأخفش من مناقشة القضايا اللغوية للآيات التي انتحنها الفراء ليتحدث عن جوانب متعددة في هذه الآيات تختلف باختلاف الاشكال الذي يراه فيها، فهو يناقش قضية من قضايا الرسم الاملائي أو يوجه قراءة معينة، أو يناقش مسألة نحوية أو صرفية أو لغة

معينة و أحيانا يتكلم على أسباب النزول و هكذا، و هو في تناوله لظواهر لغوية و قرآنية في الآيات

التي اختارها، يراعي ترتيب الآيات داخل السور تقريبا و ترتيب السور داخل المصحف، كما تطرق

الفراء إلى ظواهر صوتية و صرفية و دلالية و معجمية و نحوية و هو الأمر الذي سنفصل فيه في القسم الثاني من هذا البحث.

---

[1] –ينظر: معاني القرآن للأخفش تحقيق د.فائز فارس، الكويت، د.ط ، ج1، 1974، ص12.

[2] – ينظر الدراسات اللغوية في القرآن الكريم، في أوائل القرن 3هـ، عيسى شحاتة ، ص 98.

لقد تناول أبو العباس المبرد(ت 285 هــ)الكثير من الأساليب البلاغية كالتشبيه وأضرب الخبر فمن هذه الزاوية، تحدث المبرد عن المعاني فهو يقول: (المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ، فقولهم: عبد الله قائم: إخبار عن قيامه و قولهم: إن عبد الله قائم: جواب عن سؤال سائل، و قولهم: إن عبد الله لقائم: جواب عن منكر قيامه.

(فقد تكررت الألفاظ لتكرار المعاني فإضافة حرف أو أكثر من حروف التوكيد يجعل من المعنى

الواحد معاني متعددة متباينة لكل منها حالة تتوخى من التعبير و لا تقوم فيها الأخرى مقامها)[1] فكلام المبرد هنا، كان سببا في إضافة فصل جديد في علم المعاني[2] و هو أضرب الخبر، فالجواب يكون خاليا من التوكيد كما في الحالة الأولى، إذا كان السائل خالي الذهن عن الحكم و في الحالة الثانية يجب توكيد الحكم إذا كان السائل يساوره الشك أو التردد و في الحالة الثالثة يجب توكيد الحكم توكيدا مبالغا فيه لأن السائل منكر للحكم من أساسه، و بذلك يكون المبرد قد أضاف إلى

علم المعاني إضافة جديدة لم يسبقه إليها و قدرها لها النحويون و البلاغيون من بعده.

يمكن القول إنّ كتب القدماء المتصلة بموضوع البلاغة رأيناها على أشكال شتى، فعبد الله بن

[1] - ينظر المختصر في تاريخ البلاغة،د. عبد القادر حسين، ص63.
[2]- ينظر ، المرجع نفسه، ص63

المعتز بن المتوكل (ت 296 هـــ) و هو من أعلام القرن الثالث الهجري صاحب كتاب البديع، يعد أول من ألف كتاب مستقل في هذا الموضوع ضمن فيه الاستعارة ، التجنيس ، المطابقة و هي بحوث تتوزع فيها العلوم الثلاثة المعاني تارة و البيان تارة أخرى و البديع لثلثة أخرى.

و سميت البلاغة أول نشأتها البديع و هي ترادف في الاستعمال كلمة البلاغة اليوم إذ كان يقصد بإحداهما ما يقصد بالأخرى[1]، و نجد أن كلمة البديع عند أهل الأدب قديما كانت تشمل كل ما عرف من فنون البلاغة و يختص ببعض الفنون دون بعضها الآخر، فالبديع أراد به صاحبه البلاغة كلها أو ما كان قد عرف منها و الدليل على ذلك أنه جعل الاستعارة أول فن من الفنون التي درسها كتاب البديع و جعل الكناية و التعريف و التشبيه من محاسن الكلام التي ألحقه بالبديع[2].

وكلمة (البيان) تدل على ما تدل عليه كلمة البلاغة بجميع فنونها و كانت تسمى فنون البيان العلم الذي يبحث فيها هو علم البيان و مشى في هذا الفهم كثير من العلماء و الأدباء منهم(ابن ذهب في كتابه البرهان في وجوه البيان) و (ضياء الدين بن الأثير في المثل السائر).

[1]– ينظر، المرجع السابق ، ص41

[2]– ينظر: المرجع نفسه ، ص42

أما عن علاقة النحو بالمعاني فعلم النحو يبحث في معاني الكلام بينما يهتم علم المعاني بأحوال الكلام و(إذا كانت الشركة في دراسة الجملة قائمة بين علم النحو و علم المعاني، فإن النحو يبدأ بالمفردات و ينتهي إلى الجملة الواحدة على حين يبدأ علم المعاني بالجملة الواحدة و قد يتخطاها إلى علاقاتها بالجمل الأخرى في السياق التي هي فيه).[1].

إذن يقوم علم المعاني على بناء الجملة ، تركيبها و أحوالها، و يعتمد في ذلك على ركنين أساسيين هما: المسند و المسند إليه، يسمى الأول محكوما به و الثاني محكوما عليه أو مخبرا عنه.

يقول الدكتور تمام حسان (إن النحو العربي لأحوج ما يكون إلى أن يدعي لنفسه هذا القسم من أقسام البلاغة الذي يسمى علم المعاني حتى أنه ليحسن في رأيي أن يكون علم المعاني قمة الدراسات النحوية و فلسفتها).[2]

من هذا المنظور، يعد عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـــ) أول مؤسس لعلمي المعاني و البيان و أول من سمى علم المعاني بهذه التسمية في كتابه دلائل الإعجاز لكنه لم يقصد بهذه التسمية علم المعاني بمفهومه الاصطلاحي و إنما قصد معاني النحو ثم تنبه من جاء بعده من البلاغيين و أطلقوا

[1] – البلاغة العالية، علم المعاني، د.محمد علي نحل، ص 21.

[2] – المرجع نفسه، ص37.

التسمية على علم المعاني بمفهومه الاصطلاحي وإنما قصد به معاني النحو ثم تنبه من جاء بعده من البلاغيين وأطلقوا التسمية على علم المعاني البلاغي و عد علما مستقلا بذاته.[1]

لقد حرص الإمام الجرجاني على توخي معاني النحو من خلال تلك العلاقة بين علمي النحو و الدلالة حيث يعرف النظم بقوله (اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو و تعمل على قوانينه و أصوله و تعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها...)[2].

و نجد أن الصلة بين موضوعات علم المعاني و علم النحو صلة قائمة في ظاهرها قياما واضحا فينبغي أن نقر بالاختلاف في طرق التعامل مع مباحث هذا العلم – علم المعاني- و لاسيما أننا وقفنا على ما انتهى إليه الجرجاني من أننا لا نلتفت إلى المعاني الأول، و إنما نلتفت إلى المعاني الثانية التي هي عنده (معنى المعنى) بحيث تكمن فائدة هذا العلم في أنه يتجاوز حامله غاية النحوي التي تتمثل في إنزال المفردات على ما وصفت له لتشتغل بمقاصد أخرى تتعلق بأسرار التعبير استخلاص ما يتضمنه من المعاني الثواني التي يدل عليها[1].(و لذلك كان علم المعاني ضروريا في فهم الأساليب

[1] – ينظر المرجع السابق، ص 164.

[2]–دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، ص 63.

البلاغية بعد أن فقد النحو رونقه و بهاءه و أصبح قواعد تعنى إلا بالإعراب و البناء و العوامل والجدل المنطقي الذي لا يخدم اللغة بقدر ما يعوقها عن النمو و الازدهار)[2].

إن أساس النظرية اللغوية الجرجانية يقوم على ركيزة هامة أدركها الرجل بثاقب فكره و عظيم حسه

و هي قيمة اللفظة داخل الجملة و قيمة الجملة في السياق و قيمة الجمل في إيصال المـــــراد و لاسيما

فيما يتصل بالنص القرآني[3].

و بالتالي فهو يؤكد أيضا على أن الألفاظ خدم للمعاني و ربط النحو بالمعاني يبعث في النحو روحا مشرعة.

من المؤكد أن علم المعاني عد من المصطلحات العلمية التي أطلقها البلاغيون على مباحث بلاغية تتعلق بالجملة و ما يكون فيها من حذف أو ذكر أو تعريف أو تنكير أو تقديم أو تأخــير أو قصر أو فصل أو إيجاز أو إطناب و يبدو أن أبو يعقوب السكاكي أول من أشار إلى هذا المفهوم.

و عقد (ابن فارس ت 395 هــ) بابا في كتابه الصاحبي أسماء (معاني الكلام) و قال (هي عند

بعض أهل العلم عشرة، خبر و استخبار، وأمر ونهي و دعاء وطلب وعرض وتحصيص وتمن و

---

[1] – ينظر، المختصر في التاريخ البلاغة، د.عبد القادر حسين، ص64.

[2]– أحمد مطلوب ، أساليب بلاغية، ص 85.

[3]– البلاغة تطوّر وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1،د.ت،ص 65

تعجب).[1]

إذن استقر علم المعاني و اتضحت معالمه و تحددت مباحثه على يد السكاكي، كما قد حق أن ننسب إليه الفضل في ذلك التصنيف و التقنين حين استخدم مصطلح علم المعاني للدلالة على مباحث بلاغية بعينها كانت قد اضطربت اضطرابا واسعا في غير موضع مما أورد سالفوه في كتبهم

البلاغية من لدن تلك الإشارات الخاطفة عند ابن المقفع و غيره مرورا بالجاحظ،الواسطي و الرماني و الخطابي و الباقلاني و القاضي عبد الجبار ثم عبد القاهر الجرجاني في نظريته نظرية النظم انتهاء بالسكاكي في مفتاح العلوم الذي جعل أيضا البلاغة عموما علمين هما علم المعاني و علم البيـــان وجعل علم البديع تابعا لهذين العلمين.

وجاء بعدهم الزمخشري(ت538ه) الذي خص علمي المعاني و البيان بمنزلة رفيعة فافتتح الحديث

عنهمـــا و جعلهما علمين مختصين بالقرآن و ألح على ذلك في هيئة تركيب الجملة مما يدل على أنهما أساس علم التفسير و أوثق العلوم به صلة، بل نفهم سبب تسميته الكشاف استنادا إلى استعماله

(البيان) في موضع من المواضع مرادفا للكشف[1].

[1]- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية ابن فارس، المؤيد،ط1، 1910م، ص 179.

و في كتابه هذا أيضا نجده يردد مصطلح (علم المعاني) مقترنا بعلم البيان فيقول عن العلماء الذين يستطيعون تفسير القرآن: (لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق و لا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل برع في علمين مختصين بالقرآن و هما: علم المعاني و علم البيان)[2].

و على الرغم من أن الإمام الزمخشري حدد الكثير من الألوان البيانية، فإنه لم يذكر مرة واحدة

اسم (علم المعاني) على مسألة بلاغية من المسائل التي تنطوي تحته على كثرة ما عرض منها ذا ما دفعنا بالقول أن السكاكي أوّل من أطلق مسمى (علم المعاني) على المباحث المتعلقة بالنظم[3].

تحدث السكاكي عن علم المعاني، في دراسته للبلاغة حيث أصل مناهجه على أسس منطقية حولت البلاغة من فن له قواعده و نظرياته التي نجحت في إنشاء طبقات للبلاغيين و فشلت في

تكوين البلغاء و من هنا كانت خطورة منهاج السكاكي الذي يعد بداية الجهود في دراسة البلاغة.[4]

فخصص القسم الثالث من كتابه مفتاح العلوم لعلمي المعاني و البيان و لوحقهما من البلاغــة

---

[1]- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود الزمخشري،لبنان، بيروت، ط1، 1433ه، 2012م، ص 211.

[2]- المصدر السابق ، ص3.

[3]- المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز، أحمد جمال العمري ، ص21.

[4]- ينظر المرجع نفسه ، ص 21.

و الفصاحة و المحسنات البديعية بنوعيها اللفظي و المعنوي.

و لا أحد ينكر مجهودات البلاغيين من أمثال الجرجاني و الزمخشري و الفخر الـرازي(606 هـــ) لتتحول بعدها البلاغة عند السكاكي إلى علم بأدق معنى الكلمة فهي عنده قوانين منطقية جافة باعدت كثيرا عن وظيفة البلاغة الامتاعية و الجمالية.

لقد عرّف السكاكي علم المعاني بقوله (إنه تتبع خواص الكلام في الإفادة و ما يتصل بها من الاستحسان و غيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره)[1] ، و يقصد بتراكيب الكلام (تراكيب البلغاء لا التراكيب الصادرة عمن لاحظ لهم من البلاغة و يقصد (بخواص التركيب) ما يسبق إلى الفهم منها عند سماعها لكونها صادرة عن البليغ ومن الإفادة يقصد الفهم من قبل ذي الفطرة)[2].

هذا التفريق يتطلب من طالبه العناء لفهمه لذلك كثر شرّاح السكاكي و ملاحظوا بلاغتـه

ويمكن حصر موضوعات علم المعاني في كتابه مفتاح العلوم كما يلي:

1- الخبر و الطلب، 2- الاسناد الخبري و اختلاف باختلاف السامع من حيث خلو من الشك

---

[1]- مفتاح العلوم أبو يعقوب السكاكي،ضبط وتعليق نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2 ، 1987 ، ص 85.

[2]- المرجع نفسه، ص 86.

أو الانكار، 3- الاسناد و بيان أحوال المسند إليه و المسند من حيث: الحذف و الذكر و التنكير و التعريف و التقديم و التأخير و التخصيص و لمقتضيات البلاغة لذلك، 4- الفعل و متعلقاته 5- الفصل و الوصل، 6- الايجاز و الاطناب و بيان كيف أنهما نسبيان، 7- القصر و أنواعه و طرقه، 8- الطلب و يندرج تحته:

أ- مقدمة عن الطلب مستمدة من كلام المناطقة عن التصوير و التصديق و ما يحصل في الذهن و ما يحصل في الخارج، ب- أنواع الطلب الخمسة: التمني، الاستفهام، الأمر، النهي،النداء أدوات كل نوع منها و وظائفها، ج- الأغراض البلاغية أو المعاني أو المعاني الإضافية التي يخرج الطلب عن معانيه الأصلية من أجل الدلالة عليها و ذلك مثل: التعجب و الإنكار، الاستبطاء و النفي.[1]

لقد جاء السكاكي و أخذ الشواهد و الأمثلة التي ضربها الجرجاني تبيانا لرأيه و تأييدا لمذهبه و جعلها أصول علم من علوم البلاغة أسماه (علم المعاني) و فصله عن علم النحو فصلا أزهق روح الفكرة وذهب بنورها.

[1] - ينظر المرجع السابق، ص 86.

يمكن القول إن الدراسات البلاغية أدخلت (علم المعاني) في باب الصورة ف قرر البلاغيون في دراساتهم أن اللفظ الشريف للمعنى الشريف.

كان لنحاة الكوفة رأي خاص و نظرة عميقة لمفهوم المعاني هؤلاء النحاة الذي يعد الفراء واحدا من مؤسسي مدرسة الكوفة النحوية النحوية، فهم يعتبرون أن مهمة المعنى تكون في إعراب الفعل كما هو الشأن بالنسبة للاسم ذلك لأن الأفعال حسب تعبير الزجاجي على لسانهم (تختلف

معانيها كما اختلفت معاني الأسماء فتكون ماضية و مستقبلة و موجبة و منفية و مجـازى بـهـــا

و مأمورا بها و منهيا عنها).[1]

و في الختام نستخلص من استعمالات اللغويين و البلاغيين و النحويين للفظة المعاني ثلاث أنواع:

1 - المعنى الذي يرتبط بالكلمة أصالة أي ما وضع للفظ في الأصل و يصطلح عليه بالمعنى الحقيقي.

2 - المعنى الذي يستجد للفظ بالاستعمال و التطور اللغوي إذ تتولد للفظ معاني أخرى غير المعنى

3 - الذي وضع له في الأصل و هو ما يختص بدراسته علم البيان.

4- المعنى الذي ينشأ من تركيب الألفاظ بالإسناد أو بالإضافة و ما يصطلح عليه بالمعنى الوظيفي.

و الملاحظ هنا أن مفهوم المعاني حسب الكوفيين أوسع نطاقا مما هو عند منافسيهم، فهو يتجاوز

---

[1] - نظرات في التراث اللغوي العربي،د.عبد القادر النمهيري،دار الغرب الإسلامي،ط1، 1963، ص 61

الوظيفة في معناها الضيق ليشمل كيفية أداء الفعل لمعناه، و بصفة أعم نوع الخطاب الذي يوجهه المتكلم إلى المخاطب أو الموقف الذي يتوخاه المتكلم من خطابه، و بعبارة أخرى فإن الإعراب في الفعل يترجم في مستوى من المعنى غير المستوى الذي يؤديه في الاسم[1].

إذن علامة الإعراب من القرائن المعبرة عن المعنى، فالإعراب من أهم خصائص العربية في نظر النحاة فهو السبيل إليه (الإبانة عن المعاني بالألفاظ) على حد تعبير ابن جني[2] و ليس صدفة إن كان مشتقا من (أعرب) بمعنى أوضح الغامض و كشف الخفي و ليس غرابة أن يروا فيه عنوان الفصاحة فهو مؤدي للمعاني و لا غنى عنه[3].فلكل ظاهرة إعرابية وظيفة ومعنوية.

إنّ الإعراب ظاهرة لفظية أي عنصر يتلفظ به المتكلم كما يتلفظ بقية عناصر الكلمة و ليست

الألفاظ إلاّ (أزمة للمعاني و أدلة عليها)[4] على حسب تعبير ابن جني و يدعم قوله بأن الإعراب هو

(الإبانة عن المعاني بالألفاظ).

و يقر كل النحاة تقريبا باستثناء قطرب[1] بأن للإعراب دورا معنويا و هذا هو معنى قول ابن

[1] - ينظر المرجع السابق، ص 61، 62.
[2] - الخصائص ابن جني ج1 ، ص 35.
[3] - ينظر المصدر نفسه ،ج1 ، ص 65.
[4] - المصدر نفسه،ج1، ص 135.

يعيش: (الإعراب إنما يؤتى به للفرق بين المعاني).[2]

و ضمن السياق نفسه يقصد بالمعاني التي يفيدها الإعراب هي معاني الفاعلية و المفـعـولـية و الإضافة و هي ما يسمى حديثا بالوظائف[3]، و يوضح ابن الخشاب فائدة الإعراب بـقـولـه (و فائدته أنه يفرق بين المعاني المختلفة التي لم يدخل الإعراب الكلمة التي تتعاقب عليها تلك المعاني).[4] و يرى الكوفيون (أن الأفعال تختلف معانيها كما اختلفت معاني الأسماء، لذا احتاجت إلى

الإعراب للتمييز بين المعاني المتوارد عليها).[5]

هذا هو المبدأ العام الذي ينطلقون منه و المعاني المتعاقبة على الفعل هي حسب الزجاجي أنواع

الزمن و الإيجاب و الأمر و النهي.[6]

إذن كلمة المعاني تفيد على لسان الكوفيين مفهوما أوسع مما يضمنها البصريون، فالمعاني التي

يفيدها الإعراب ليست في نظرهم مجرد الوظائف النحوية كالفاعلية و المفعولية و الإضافة، بل هي

---

[1] - ينظر الايضاح في علوم البلاغة الخطيب القزويني ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1985م ،ص70.

[2] - شرح المفصل ابن يعيش ،مكتبة االمتنبي بالقاهرة ، ط1 ، د ت ،ج1 ، ص 49.

[3] - نظرات في التراث العربي عبد القادر لمهيري، ص 67.

[4] - المرتجل في شرح الجمل أحمد الخشاب، تحقيق علي حيدر، دمشق،سوريا،ط1، 1972م ،ص 34.

[5] - المرجع نفسه، ص 91.

[6] - ينظر، الجمل في النحو الزجاجي، تحقيق، د.علي توفيق الحمد، الأردن، ط2 ، 1985، ص 96.

أيضا الدقائق المعنوية الناتجة عن كيفية أداء الفعل لمعناه و التي ليست رهينة وظيفة النحوية.

يقول حازم القرطاجني (و لو وجد هذا الحكيم أرسطو في شعر اليونانيين ما يوجد في شعـــر العرب من كثرة الحكم و الأمثال و الاستدلالات و اختلاف ضروب الإبداع في فنون الكلام لفظا و معنى ترجهم في أصناف المعاني و حسن تصرفهم في وضعها و وضع الألفاظ بإزائها و في إحكام مبانيها و اقتراناتها.. لزاد على ما وضع من القوانين الشعرية).[1]

و ويضيف معرفا المعاني الذهنية (يعمل الذهن على الربط و الإدراك و المواضعة بين اللفظ الدال و المدلول بين الصورة اللفظية و هيولها في الذهن)[2]، و هنا ربط واضح بين اللفظ و المعنى الذي يكون في الدهن.

ويقول(لذا نجد الإنسان قد يقوم المعنى بخاطره على جهة التذكر و قد يشار إليه بعبارة مستقبحة فلا يرتاح له في واحد من هذه الأحوال، فإذا تلقاه في عبارة بديعة، اهتز له و تحرك لمقتضاه، كما أن العين و النفس تبتهج لاجتلاء ما له شعاع و لون من الأشربة في الآنية التي تشف عنها كالزجاج و

[1]- منهاج البلغاء و سراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، بيروت – دار الغرب الاسلامي- ط2، 1981م، ص 69

[2]- نظرية المعنى، حازم القرطاجني، تحقيق فاطمة الوهيبي، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب،ط1،2002، ص27.

البلور).[1]

و إذن فالكلام دليل على المعنى و دليل على الإنسان، و هو قطب القضية اللغوية القضية الوجودية، فجعل حازم بذلك الكلام دليلا على المعنى و جعل المعاني قطب الحركة الوجــوديـة و الإنسانية، و قد ذكر أنواع من المعاني منها بالمعاني الذهنية، المعاني الأول، المعاني الثواني، المعاني الجمهورية، المعاني العلمية.[2]

و إن دلّ تعدد هذه المصطلحات الخاصة بالمعاني فإنما يحِل على الخصب و العمق الذي أعطاه حازم القرطاجني للمعنى في دراسته له و لقضاياه في كتابه.

و في الختام نؤكد على حقيقة مفادها أن المعنى وجد في مفهوم البلاغة منذ القدم أين كانت العلوم و

الفنون وقتئذ متداخلة بعضها بعض و يثري بعضها بعضا، فعدّت اللغة و النحو

و البلاغة بمثابة روافد متعددة تصب في مجرى واحد هو إثراء اللغة و المحافظة على سلامتها و إبراز

جمالها، فسيبويه في إدراكه لتداخل العلوم قد اهتدى إلى ربط النحو بالمعاني ليتطور هذا الربط إلى

أقصى درجاته على عبد القاهر الجرجاني، غير أن هذه الروح لم يكتب لها العمر المديد حيث انتهت

---

[1] – المرجع نفسه،ص 29.

[2]– ينظر المرجع السابق، ص 301.

على يد السكاكي حين فصل بعضها عن بعض.[1]

لم تقف مشاركة اللغويين في بلورة المسائل البلاغية عند هذا الحد نظرا لارتباطهم الوثيق بالنحو فخاضوا في دلالات التركيب و وقفوا على جملة من القوانين الهامة و عللوا الأمور بطريقة تدعو إلى الإعجاب أحيانا و عنهم نجد بذور ما يسمى اليوم بعلم المعاني السياقي و لو أنهم تعمقوا في البحث

أكثر لخرجوا بنظرية متكاملة في الموضوع و تبلور هذا عندهم خاصة في اهتمامهم بعوارض الملفوظان

و هيأتها كالحذف و الإيجاز فكانوا أول من تفطن إلى تعدد عناصر الدلالة.[2]

إن علم المعاني أساس البلاغة و أقوم علوم اللغة لذا وجبت العناية به لتوضيح صلته بعلم النحو لأنهما علمان متكاملان بل هما علم واحد يصون اللسان من اللحن و الخطأ في التركيب و يرشد

المتكلم و المنشئ إلى التأليف على سمت الكلام العربي.[3]

جاءت أساليب علم المعاني المتعددة مختلطة متداخلة بأساليب علم البيان و البديع و كان ينظر إليها جميعا على أنها وحدة تؤلف بمجموعها أصول البلاغة العربية، و بعد أن عرفنا كيف أخذت كل هذه

---

[1]- ينظر المختصر في تاريخ البلاغة عبد القادر حسين، ص 59.

[2]- ينظر التفكير البلاغي عند العرب، حمادي صمود، منشورات الجامعة التونسية، تونس، ط1، 1981،ص 53

[3]- الموجز في تاريخ البلاغة مازن المبارك،دار الفكر، دمشق، ط1،1401هـ، 1981م، ،ص3.

الأساليب على مر العصور تتبلور و تنحو منحة التميز و الاستقلال حتى صارت أساليب البديع و الأساليب المتصلة بكل من المعاني و البيان علما واضح المعالم و المباحث على يد كل من الجرجاني و الزمخشري و السكاكي.

مظاهر وصور علم المعاني:

أقف في معرض هذه الصفحات على عنصر هام، أختزل من خلاله صور علم المعاني الكثيرة التي

ذكرها علماء النحو والبلاغة في مؤلفاتهم وأثناء تفسيره م لآيات القرآن الكريم.

والجدير بالتنويه هنا أنه يتعذر إحصاء جميع صور علم المعاني وأمثله ذلك لأن الموضوع ذو سعة

يطول شرحه ، لذا اكتفيت برصد بعض النماذج من علم المعاني كما أسس له وقنّنه السكاكي.

ولأنّ الجملة في العربية تمثل بؤرة توتر ومحرك أساس لمختلف دراسات النحويين وغيرهم .فقد عمدوا إلى رصد كل ما يطرأ عليها من تقديم أو تأخير أو ذكر أو حذف وغيرها من أحوال الجملة غايتهم في هذا العمل التقعيد لما سارت عليه العرب في كلامها واستخداماتها ومن ثم كان علم

المعاني متخصصا بمعرفة ما يلحق اللفظ العربي من أحوال حتى يكون مطابقا لمقتضى الحال .

كذلك من حيث إفادة هذا اللفظ المعاني الثواني التي هي الأغراض المقصودة للمتكلم من جعل الكلام مشتملا على تلك اللطائف والخصوصيات التي يطابق بها -كما قلنا -مقتضى الحال وسيشمل تحديدا الخبر والإنشاء ويدرس الخبر من زاوية الإسناد بطرفيه في مختلف أحوالهما من حذف وترتيب وتنكير وتعريف ووصل وغيرهم.

وإذا كان علم المعاني قد استقر على يد السكاكي واتضحت معالمه وتحددت مباحثه ، فمن الإنصاف القول والاعتراف بفضل الرجل في تصنيفه وتقنينه حين استخدم مصطلح (علم المعاني) للدلالة على مباحث بلاغية لم تكن محددة في كتب البلاغة عند من سبقوه.

ولئن ارتبط علم المعاني ببناء الجملة وتركيبها وأحوالها ، فإن هذا البناء يرتكز على ركنين أساسين

هما : المسند والمسند إليه ولكل منهما مواضع كما وردت في كتب البلاغة فمواضع المسند ثمانية ألفاظ هي :

- خبر المبتدأ مثل قولك : قادر من قولك (الله قادر)

- الفعل التام مثل : (حضر) من قولك (حضر الأمير)

- اسم الفعل مثل : هيهات وآمين.

- المبدأ الوصف المستغني عن الخبر بمرفوعه نحو (عارف) من قولك (أعارف آخوك؟).

- أخبار النواسخ (كان ونظائرها وإنّ ونظائرها).

- المفعول الثاني لظن وأخواتها .

- المفعول الثالث لأرى وأخواتها.

- المصدر النائب عن فعل الأمر نحو (سعيا في الخير).[1]

من جهة ثانية تتحدد مواضع المسند إليه في أربعة الألفاظ هي :

- الفاعل للفعل التام مثل : جاء علي الكريم خلقه ، فكل من (علي) و(خلقه) مسند إليه لأن

الأول فاعل للفعل التام (جاء) والثاني فاعل للشبيه بالفعل (الكريم) .

- نائب الفاعل كلفظ الكتاب في قوله تعالى : ﴿ووضع الكتاب﴾[2]

- المبتدأ الذي له خبر نحو (العلم) من قولك (العلم نور).

- ما أصله المبتدأ يشمل : اسم كان وأخواتها نحو أسماء من قولك :السماء صافية .

- اسم إنّ وأخواتها مثل : ابن الصبر جميل كلمة الصبر.

[1] - المرجع السابق، ص15.

[2] - سورة الكهف، من الآية 49.

- المفعول الأول لظنّ وأخواتها مثل : (ظننت سعيدا أخاك) كلمة سعيدا.

- المفعول الثاني ل (أرى) وأخواتها نحو : (أريتك العزم قويّا) العزم.[1]

فالمسند والمسند إليه مواضع مختلفة فهما ركنين الجملة الأساسين وفائدة ذلك أن المسند والمسند إليه يخبران عن كيفية بناء الجملة ويقربنا من غايتها الحقيقة في إطار الاستخدام الأصلي للألفاظ.[2]

ضمن السياق نفسه يؤكد عبد العزيز عتيق فكرة مفادها أن مباحث علم المعاني من شأنها أن تبين

وجوب مطابقة الكلام لحال السامعين فيكون مناسبا للمواطن التي يقال فيها .فلكل مقام مقال

كما أن هذه المباحث ترينا أن بلاغة القول لا تتحقق كيفما كانت صورته إلا إذا لاءم وراعي المقام الذي قيل فيه ويناسب ويأخذ في الحسبان حال السامع الذي يتلقاه.[3]

ويضيف في هذا الصدد موضحا حالات المخاطب أو المتلقي للخبر والتي حصرها في ثلاث

حالات ، ففي الأولى أن يكون خالي الذهن من الحكم الذي يمثل مضمون الخبر ، وفي الحالة الثانية من الممكن أن يكون المخاطب عارفا ما الخبر لكن يساوره الشك به وله تطلع إلى معرفة الحقيقة

[1] - ينظر: علم المعاني: درويش الجندي، مطبعة النهضة،مصر،د.ط،1962، ص72.

[2] - ينظر: علم المعاني ودلالات الأمر في القرآن الكريم، دراسة بلاغية، د.مختار عطية، ص16.

[3] - ينظر: علم المعاني، د.عبد العزيز عتيق، ص29.

وهنا ووفقا لمقتضيات البلاغة يحسن توكيد الخبر له إزالة للشك وتمكينا للخبر من نفسه ، وفي الحالة الثالثة فرضية إمكانية معرفة المخاطب بالخبر ولكنه منكر جاحد له عند ئد وجب إلقاء الخبر إليه مؤكدا أكثر تبعا لدرجة إنكاره قوة وضعفا.

ويوصلنا عبد العزيز عتيق إلى نتيجة يرى خلالها أن الخبر إذا ألقي إلى خالي الذهن منه بالصورة التي يجب أن يلقي بها المنكر له.كان في ذلك خروج على مقتضيات البلاغة من جهة وجوب مطابقة الكلام لمقتضى حال السامع الذي هو أصل من أصول علم المعاني.[1]

يضاف إلى هذا أصل هام من أصول علم المعاني – كنت قد أشرت إليه – وهو مراعاة استعداد

الإنسان وفهمه ومدى تمكنه من اللغة والأدب، فمن الخطأ مخاطبة العامي بما ينبغي أن يخاطب به

الأديب فذلك إخلال بما تتطلبه بلاغة المعنى نظرا لانعدام الملائمة بين الكلام ومقامه.

من جهة أخرى ، يختص علم المعاني بدراسة ما يستفاد من الكلام ضمنا بمعونة القرائن ، فالكلام

يفيد في أصله المعنى الحقيقي ولكنه يتعدّى ذلك أحيانا أن يخرج عن المعنى الأصلي ليفتح أمامنا معان جديدة أو معنى جديدا يفهم من السياق وتدلنا عليه الحال التي قيل فيها.[1]

---

[1] – ينظر المرجع السابق ، ص29.

ولتوضح الأمر أكثر يذكر د.عبد العزيز عتيق بعض الأمثلة: (كان عمر بن عبد العزيز لا يأخذ من بيت المال شيئا) ففي هذه الجملة إفادة للسامع بخبر لم يكن بعرفه عن الخليفة عمر بن عبد العزيز وهو عفته وزهده في مال المسلمين. وأيضا(لقد كنت في مطار بيروت أمس) وهنا إفادة السامع بمضمون الكلام منعدمة ذلك لأن الخبر معلوم له قبل أن تعلمه أنت فالسامع هنا لم يستفد بمعرفته الخبر وإنما فائدته كانت أنّك عالم به).[2]

و من أمثلة خروج الخبر وتعديه إلى معان أخرى لينتج لنا معنى جديدا يفهم من السياق أبيات من الشعر لأبي فراس الحمداني :

ومكارمي عدد النجوم ومنـــــزلي ❋ مـأوى الكرام ومنزل الأضيـاف

وأبيات أخرى لأبي العتاهية في رثاء ولده علي :

بكيتك يا علي بدمع عيـنــــي ❋ فما أغنى البكاء عـليـك شـيـا

وكانت في حياتك لي عـظـات ❋ وأنت اليوم أوعظ منك حـيـــا

والمقصود لدى الشاعرين غير المعنيين اللذين يدل عليهما الخبر بأصل وضعه، وإنما يقصد إلى معنى

---

[1]- نظر نفسه ، ص31.

[2]- المرجع السابق، ص31.

آخر يلمحه اللبيب من سياق الكلام فغرض أبي فراس من الكلام الفخر بمكارمه وكرمه وفي أبيات أبي العتاهية غرض إظهار الحسرة والأسى على فقد عزيز غال هو ولده.

كذلك الشأن بالنسبة لأساليب الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء، فقد يخرج كل منها عن معناه الأصلي لإفادة غرض بلاغي بديع أراده المتكلم من الخروج كما يقتضيه ظاهر الكلام، كما هو الحال في الأمر لإفادته التعجيز، والنهي لإفادته الدعاء والاستفهام التعجب وغيرها ممّا لا مجال لحصره.[1]

نتناول بداية بعض أمثلة صور علم المعاني عند أبو عبيدة.الذي يقف أمام ما اختاره من آيات الذكر الحكيم ليبّين أن كتاب الله تعالى به ما في كلام العرب من المعاني الدقيقة والغريب والإعراب.

لا يخفى على أحد منا أن أبا عبيدة معمر بن المثنى ألّف كتابه الشهير (مجاز القرآن) وهو لا يعني بكلمة (المجاز) ما قصده البلاغيون من وجوه المصطلح المعروف دائما وإنّما قصد بها مجموع القضايا اللغوية التي تتعلق بآيات القرآن الكريم وتشمل هذه القضايا المعاني والإعراب والتقدير والتأويل والتفسير.

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص32.

ففي تفسيره لقوله تعالى : ﴿و إذا قلنا للملائكة أسجدوا﴾[1] قال : (معناه وقلنا ، وإذ من حروف

الزوائد)[2]، فهو قد عبّر بكلمة (معناه) عن ظاهرة لغوية وهي حروف الزوائد في بعض التراكيب.

وفي صورة أخرى المعاني نلفي أبا عبيدة يتحدث عن الحذف في قول الله عز وجل :

﴿وسئل القريية التي كنا فيها﴾[3] وذلك في مواطن عدة من كتابه ليقرر أن المعنى وسل أهل القرية[4].

أيضا تفسيره لقوله تعالى: ﴿إن المتقين في جنت وعيون ءاخذين ﴾.[5] قال : إنما الكلام انتصب لتمام خبره.[6]

يقول أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى : ﴿وأجل مسمى عنده﴾ (مقدم ومؤخر مجازه (وعند أجل مسمى).[7]

ويفسر قول المولى عز وجل : ﴿قالوا إن هذان لساحران﴾[1] قال أبوا عمرو عيسى ويونس﴿إن هذين

---

[1] – سورة البقرة، الآية 34.

[2] – مجاز القرآن أبو عبيدة، المقدمة تحقيق محمد فؤاد سزكين، بيروت،ط2، 1981،ج1، ص136.

[3] – سورة يوسف، من الآية 82.

[4] – المصدر السابق، ص247.

[5] – سورة الذاريات الآياتان،15،16.

[6] – المصدر السابق، ص 226.

[7] – المصدر نفسه، ص 185.

لساحران﴾ في اللفظ،وكتب هذان كما يزيدون وينقصون في الكتاب واللفظ صواب).[2]

إن المتأمل لكتاب مجاز القرآن يجد فيه ظواهر لغوية عامة تمس القرآن الكريم كالاختصار والإضمار والحذف وجواب الشرط والتعبير بلفظ الواحد عن الجمع وبلفظ الجمع عن الواحد والإخبار عن أحد المشركين دون الآخر ومواضع أخرى كالالتفات وحروف الزيادة في الكلام وعن التكرار للتوكيد وغيرها ، وتبادل معاني الحروف والأدوات والتعبير بلفظ المذكر و المراد المؤنث ووضع الكنايات مواضع الأسماء و تعدد وجوه الإعراب.[3]

ومن صور علم المعاني عند الأخفش الذي عقد أبوابا صغيرة منها أثناء تفسيره لسورة البقرة.

ناقش فيها قضايا جزئية نذكر منها باب المجاز وقد تحدث فيه عن اللفظ المفرد الدال على الجمع

وتذكير المؤنث وأشباه ذلك من القضايا الدلالية.[4]

كما تحدث أيضا عن قضايا صوتية في تفسيره لقوله تعالى:﴿ وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا

من الليل﴾.[1] قال:(طرفي االنهار" فحرك الياء لأنها ساكنة لقيها حرف ساكن لأن أكثر ما يحرك

---

1 - سورة

2 - مجاز القرآن، أبو عبيدة،ج2، ص21.

3 - ينظر: الدراسات اللغوية للقرآن الكريم في أوائل القرن الثالث الهجري، د.عيسى شحاتة عيسى علي.ص37.

4 - ينظر معاني القرآن، الأخفش تحقيق د.عبد الأمير محمد أمين الورد،بيروت،لبنان،ط1،1985م ،ج1،ص583.

الساكن بالكسر نحو: " ياصاحبي السجن")[2].

وذكر الأخفش أسلوب الاستثناء وخصص في كتابه بابا عن الاستثناء المنقطع قال في قول الله

تعالى :﴿فسجدوا إلاّ إبليس ﴾.[3]

وفي باب الدعاء عرض للاسم المفرد (وقال بأن حركة إعرابه الضم في الدعاء وهو في غير موضع النصب ولكنه جعل كالأسماء التي ليست بمتمكنة فإذا كان مضافا انتصب لأنه الأصل ولأنه يريد ويقصد : أعني فلانا).[4]

كما نجده يعقد بابا لزيادة من تكلم فيه عن معاني (من) في بعض تراكيب القرآن الكريم من

خلال تفسيره لقوله عزّ وجل:﴿ يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها ﴾[5])[6].

و تحدث عن الاستثناء المنقطع في تفسيره لقول المولى سبحانه " غير المغضوب عليهم"، قال:

(وقد قرأ قوم ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ جعلوه على الاستثناء الخارج من أول الكلام وذلك

---

[1] – سورة هود، الآية 114.

– المصدر السابق، ج1 ، ص 585.[2]

[3] – سورة البقرة، الآية

[4] – المصدر السابق،ج1 ،ص221.

[5] – سوره البقرة، الآية 61

[6] – ينظر معاني القرآن، الأخفش، ج1، ص 261.

أنه استثنى شيئا ليس من أول الكلام في لغة أهل الحجاز فإنه ينصب ويقول (ما فيها أحد إلا حمارا) وغيرهم يقول: هذا بمنزلة ما هو من الألف فيرفع (غير المغضوب) في لغته).[1]

ويظهر رأي الأخفش واضحا من خلال تقعيده للمبتدأ والخبر في اللغة العربية فيقول :

(وأما قوله : (الحمد لله)[2] فرفعه على الابتداء وذلك أنّ كل اسم ابتدأته لم توقع عليه فعلا من بعده فهو مرفوع وخبره إن كان هو فهو أيضا مرفوع نحو قوله :﴿محمد رسول الله ﴾[3] وما أشبه ذلك وهذه الجملة تأتي على جميع ما في القرآن من المبتدأ فافهمها فإنما رفع المبتدأ ابتداؤك إياه والابتداء هو الذي رفع الخبر في قول بعضهم وكما كانت (أن) تنصب الاسم وترفع الخبر فكذلك رفع

الابتداء الاسم والخبر وقال بعضهم رفع المبتدأ خبره وكل حسن والأول أقيس).[4]

ويبدو أن الأخفش يرجح الرأي الذي اختاره البصريّون في بعد و لم يرفض الرأي الآخر نبدأ

الحديث عما ورد من صور علم المعاني عند الخليل ابن أحمد الفراهيدي(ت175ه). فذكر الإيجاز

وخفة الكلام الذي ينشأ عن الحذف، فهو يؤكد على ضرورة الالتزام بالخفة ولو كان بحذف أجزاء

[1] - المصدر نفسه، ج1،ص261.
[2] - سورة الفاتحة من الآية 1.
[3] - سورة الفتح، الآية 29.
[4] - معاني القرآن ، الأخفش، ج1، ص155.

الجملة ما دام ذلك لا يؤدي إلى لبس المعنى في ذهن السامع، وكان المخاطب على علم بما حذف من الكلام، فيحذف الفعل لهذا الغرض ويستدل الخليل بقوله تعالى: ﴿ انتهوا خيرًا لكم﴾ يقول معلقا: (كأنّك قلت انته و ادخل فيما هو خير لك فنصبته لأنّك قد عرفت أنّك إذا قلت له انته تحمله على أمر آخر فلذلك انتصب وحذفوا الفعل لكثرة استعمالهم إياه في الكلام ولعلم المخاطب أنه محمول على أمر حين قال ائته فصار بدلا من قوله ائت خيرا لك وادخل فيما هو خير لك).[1]

وفي أبرز موضوع من موضوعات علم المعاني، يتعرض الخليل لظاهرة التقديم والتأخير في الكلام فيرى بحسن البعض منه وقبح البعض الآخر غير أنه لا يوضّح لنا السرّ البلاغي في أسلوب التقديم وإنما عمل الرجل على ضرب الأمثلة على هذا النوع ويعقّب عليه بعبارة " عربّي جيّد".

ويستقبح الخليل في باب الابتداء: (أن تقول عبارة (قائمٌ زيدٌ) إذا لم تجعل قائما مقدما وهذا التقديم عربي جيّد وذلك قولك (تتميّ أنا ومشنُؤ من يشنئوك) ويشرح السيرافي مراد الخليل قائلا: (يريد أن قولك قائم زيد قبيح إن أردت أن تجعل قائم المبتدأ وزيد خبره أو فاعله وليس بقبيح أن تجعل قائم خبرا مقدما والنّية فيه التأخير كما نقول ضرب زيد عمرو والنيّة تأخير زيد الذي هو المفعول

[1] – الكتاب، ج1، سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، طبعة مكتبة الخانجي،القاهرة، د.ط،1979م، ص143.

وتقديم عمرو الذي هو الفاعل).[1]

إذن فالتقديم عند الخليل يكون على نية التأخير، فهو بهذا قد ذكر بعض أوجه علم المعاني.

نأتي الآن للحديث عمّا جاء به تلميذ الخليل الأول وهو سيبويه الذي تحدث عن التقديم والتأخير بكلام يتعبر هو العمدة وصاحب الريادة فيه، فالعلماء قبله عرفوا التقديم والتأخير ومواضعهما ولكنهم لم يتبينوا أسراره البلاغيه و لم يقفوا عندها، وسيبويه- إذ يعالج التقديم والتأخير في الكلام ينبهنا إلى

سر البلاغي هام كان مدار نقاش علماء البلاغة و النحو من مؤيدين ومعارضين مدعّما بذلك

المباحث البلاغية فيقول، في باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول (فإن قدمت المفعول وأخرت

الفاعل كقولك: ضرب زيدًا عبد الله،.. وكان حدًّا لفظ فيه أن يكون الفاعل مقدما، وهو: عربي

جيد كثير، كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهو ببيانه أعنى وإن كانا جميعا يهمّانهم و

يعنيانهم).[2]

والملاحظ هنا أن من الممكن للمفعول أن يتأخر عن الفاعل ولكنه في حالة تقدمه فذلك بسبب

[1] – المصدر نفسه، ج1، ص278.

[2] – المصدر السابق،ج1، ص 14،15.

علّة قصد إليها المتكلم وهي العناية والاهتمام بشأنه.

ومع ذلك فسيبويه يزيد على رأيه هذا رأيا آخر يرى أن فالسرّ في التقديم لا يقتصر على العناية والاهتمام بل جعله أحيانا يتضمن تنبيه المخاطب وتأكيد الكلام.

كما يأتي التقديم والتأخير أيضا لغير علة بلاغية بل ربما كان سببا في فبح الكلام وسو التركيب.

و في موضع آخر من الكتاب، يتناول سيبويه أدوات الاستفهام في مواطن جمّة من كتابه وأحاط بموضوعها من كل النواحي إحاطة كبيرة. يطول شرحها فتحدث عن خروج الاستفهام عن وضعه واستعماله في غير الاستفهام وقد أوغل كثيرا في هذا الباب، وأعطى بذلك الصورة التي نحتذ ها لاستخراج كل معنى من المعاني التي نلحظها في الاستفهام عند استخدامه في غير غرض الاستخبار

والاسترشاد.[1] فهو يستحسن عنه الهمزة، فيتقدم على الفعل، يستحسن ذلك فقط ولا يجعله فاسدا

إذا لم يل الهمزة، بل يجيز له أن يكون يتقدم أو يتأخر، وإذا كان تفضيل ففي باب أم للتقديم ففي

باب أم إذا كان الكلام بمنزلة أيهما وإيّهم، وذلك قولك (أزيدٌ عندك أم عمرو، و أزيدًا لقيت أم

بشرا فأنت الآن مدع أنّ عنده أحدهما... واعلم أنّك إذا أردت هذا المعنى، فتقديم الاسم أحسن

[1]- ينظر أثر النحاة في البحث البلاغي،د.عبد القادر حسين، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط1998، ص 92.

لأنك لا تسأله عن النفى، وإنما تسأله عن أحد الاسمين لا تدري أيهما هو، فبدأت بالاسم لأنك تقصد قصدا أن يبيّن لك أي الاسمين عنده وجعلت الاسم الآخر عديلا للاول وصار الذي تسأل

وصار الذي لا تسأل عنه بينهما ولو قلت ألقِيت زيدًا أم عمرا كان جائزا حسنا وإنما كان تقديم الاسم ههنا أحسن و لم يجز للآخر إلا أن يكون مؤخرا لأنه قصد أحد الاسمين فبدأ بأحذهما).[1]

ويتحدث سيبويه عن ضمير الفصل، وهو من الظواهر النحوية التي اختلف العلماء حولها، فعمد الكوفيون إلى القول بأن ما يفصل به بين النعت والخبر يسمى عمادا وله موضع من الإعراب وذهب بعضهم إلى أن حكمه حكم ما قبله ورأى البعض الآخر أن حكمه حكم ما بعده، وذهب البصريون إلى تسميته فصلا لأنه يفصل بين النعت والخبر إذا كان الخبر مضارعا لنعت الاسم ليخرج

من معنى النعت كقولك (زيد هو العاقل) ولا موضع له من الإعراب.

وقد أطلق عليه سبويه ضمير الفصل ووضح ما يعنيه بكلمة الفصل قال: (وإنما فصل لأنك إذا

قلت كان زيد الظريف فقد يجوز أن تريد بالظريف نعتا لزيد فإذا جئت بهو أعلمت أنها متضمنة

للخبر).[1]

[1] – الكتاب ، سيبويه، ج1،ص 483.

أما الجاحظ (ت.255هـــ)،فيتحدث عن الإيجاز وبيان فضله إذ يقول: (وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ومعناه في ظاهر لفظه).[2] والجاحظ في حديثه عن الإيجاز في كتابه الشهير البيان و البتبين ينقل عن كثير من أقوال العلماء ليدلّل على أن الإيجاز هو عماد البلاغة وأساسها.[3]

ومما لا شك فيه أن الإيجاز قيمة عربية ذو فئة وجمالية اتفق العلماء والمعزون على قيمتها. وقد

فرضتها حياة العرب الذين ينتقلون وراء العشب والماء ومن ثم ازدراؤهم للمسافات الطويلة غرس في

نفوسهم حبّ الاختصار في الحديث وتمنوه حتى في مسافاتهم.

ويذكر الجاحظ مصطلحات هامة للإيجاز كالتعديل والقصد والبسط والإطالة والحذف والاختصار والإيجاز وغيرها وقد كان يقصد بالبلاغة آنذاك الإيجاز.[4]

كما يؤكد الجاحظ من جهة أخرى على (أن العرب تمدح الإيجاز وتذم الإسهاب فللكلام غاية

[1] – المصدر السابق، ج2، ص 388.

[2] – الصناعتين أبو هلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط1 ، 1986، ص58،59.

[3] – ينظر: البيان التبيين، أبو عثمان، الجاحظ، ج1، ، ص 83،96،97.

[4] – ينظر المصدر نفسه ج1، ص 97.

ولنشاط السامعين نهاية وما فضل عن قدر الاحتمال ودعا إلى الاستثقال والملال فذلك الفاضل هو الهذر وهو الخطل وهو الإسهاب الذي سمعت الحكماء يعيبونه).[1] فالعرب وإن كانوا يحبون البيان والطلاقة والتحبير والبلاغة فإنهم كانوا يكرهون الإسهاب والإكثار لما في ذلك من المباهاة والتزيد.

وكما هو معلوم فإن الإسهاب يختلف عن الإطناب الذي هو إطالة في الكلام يتطلبهما المعنى

ويأتي لغرض التأكيد أو التأثير، أما الإسهاب فإطالة لا يتطلبها المعنى فهو فضول وزيادة عن الحاجة

وبالتالي فالإطناب بلاغة والإسهاب عيّ.[2]

هذه إشارة مقتضبة عمّا ذكره الجاحظ في موضوع الإيجاز ولا بدّ لنا في هذه الوقفة أن نعرض أمثلة من كتاب معاني القرآن للفراء موضوع دراستنا فالمتصفح لكتابه، يجده يتحدث عن ظواهر دلالية، ومنها الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ اصطفى على البنات على البنين ﴾.[3]

قال الفراء(استفهام فيه توبيخ لهم).[4] كما تعرّض لأسلوب الأمر في قول المولى سبحانه ﴿عليكم

أنفسكم ﴾[1]، قال: (هذا أمرُ الله عز وجل كقولك: عليكم أنفسكم و العرب تأمر من الصفات[2]

[1] – المصدر نفسه ، ص 99.

[2] – ينظر المختصر في تاريخ البلاغة، د.عبد القادر احسين، ص94.

[3] – سورة الصافات، الآية 153.

[4] – معاني القرآن، الفراء، ج2، ص394.

بعليك وعندك ودونك وإليك، يقولون إليك يريدون: تأخر كما تقول وراءك وراءك فهذه الحروف كثيرة).[3]

ويثير الفراء في جانب من الكتاب مسألة (تعريف المعرف) وهي تعريف ما هو معرف بغير الألف

واللام ففي قوله تعالى: ﴿ بالغداوة والعشي ﴾[4] قال الفراء (قرأ أبوعبد الرحمن السلمي "بالغدوة والعشيّ" ولا أعلم أحدا قرأ غيره والعرب لا تدخل الألف واللام في الغدوة لأنها معرفة بغير ألف ولام سمعت أبا الجراح يقول: ما رأيت كغدوة قط بعني غداة يومه وذلك أنّها كانت باردة، ألا ترى أنّ العرب لا تُضيفها فكذلك لا تدخلها الأم ألف واللام إنما يقولون: أتينك غداة الخميس ولا يقولان: غدوة الخميس، فهذا دليل على أنّها معرفة)[5]، وهذا يفهم منه اعتراض الفراء على القراءة أو أنه يرى عدم موافقتها لأوجه العربية.

ومن جهة ثانية يتحدث الفراء عن موضوع تنكير المعرف وهو من القضايا اللغوية المتعلقة بالتعريف

والنكير ويخصّ بالذكر الأسماء المضافة إلى معرفة نكره. كما في تفسيره لقول الله تعالى:﴿ وعندهم

---

1 – سورة المائدة، من الآية 105.

2 – يقصد الفراء بالصفات الظروف وحروف الجر.

3 – معاني القرآن، الفراء، ج1،ص 222،223.

4 – سورة الكهف، الآية 28.

5 – معاني القرآن ، الفراء، ج2،ص139 .

قصرات الطرف أتراب﴾.[1]

قال: (مرفوعة لأن (قاصرات نكرة وإن كانت مضافة إلى معرفة، آلا ترى أن الألف واللام يحسنان فيها كقول الشاعر:

&من القاصرات الطرف لو دبّ محول ❋ من الدرّ فوق الآتب منها لأثرا[2]

والآتب: المئزر فإذا احسنت الألف واللام في مثل هذا ثم ألفتهما فالاسم نكرة.[3]

فالقضية هنا في كلمة (أتراب) إذ جاءت نعت لكلمة (قاصرات) فلو كانت كلمة قاصرات صفة لكان ما بعدها حالا فيكون منصوبا)[4] ويوضح الفراء ذلك مضيفا: (وربما شبهت العرب لفظه

بالمعرفة لما أضيف إلى الآلف واللام فينصبون نعته إذا كان نكرة فيقولون: هذا حسن الوجه قائما

وذاهبا ولو وضع مكان الذاهب والقائم نكرة، فيقولون: هذا حسن الوجه موسر، لأن السيارة

مدح).[1]

---

[1] – سورة ص، الآية 52.

[2] – ديوان امرؤ القيس دار صادر بيروت ، لبنان ، ط3 ، 2007، ص68

[3] – معاني القرآن الفراء ،ج2، ص 409.

[4] – المصدر نفسه، ج2 ، ص 409.

و في موضوع آخر، يدلي الفراء برأيه في عامل الرفع في المبتدأ والخبر فيقر بأن المبتدأ يرفع الخبر والخبر يرفع المبتدأ، وهو مذهب مدرسة الكوفة، ويوضح لنا وجهة نظره هذه من خلال تعليقه على الآيات ففي قوله سجانه:﴿المص، كتابٌ أنزل إليك﴾[2] وأشباه ذلك قال: (بما رفعت الكتاب في هؤلاء الأحرف؟ قلت: رفعته بحروف الهجاء التي قبله، كأنك قلت: الألف و اللام والميم والصاد من حروف المقطع كتاب أنزل إليك مجموعا).[3] فالفراء يرى بأن المبتدأ رفع الخبر في هذه الآية الكريمة.

نكتفي بهذا القدّر لموضوعات علم المعاني عند الفراء، ونشير في عجالة إلى عالم آخر وهو يونس بن حبيب 183 هــ وهو سابق للفراء والذي روى عنه سيبويه كثيرا من مسائل الكتاب، إذ يرد عنده موضوع التقديم فيعرفه ويذكره و يعرض لجواب الشرط بعد الاستفهام فيقول: (أ إن تأتني آتيك بالرفع، ويقول: هو في نية التقديم ويقدره أ آتيك إن تأتني).[4]

نلتفت إلى أبو العباس المبرّد صاحب كتاب الكامل. فهو يصرح بوجود فروق بسيطة في العبارة

البلاغية يجهلها الخاص والعام وأن هذه العبارة تختلف مواضعها فالمعاني فيها مختلفة باختلاف الألفاظ

ويدلل الرجل على ذلك بأمثلة مفادها أن عبارات:عبد الله قائم وإنّ عبد الله قائم وإنّ عبد الله لقائم

---

[1] – سورة الأعراف، الآية 201

[2] – معاني القرآن، الفراء، ج1، ص368.

[3] – المصدر نفسه، ج1،ص 368.

[4] – إعراب القرآن، الزجاجي المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة ، ط1 ، 1963، ج3،ص 782.

مختلفات في معانيها فالأولى إخبار عن قيام و في العبارة الثانية جواب عن سؤال سائل و في الثالثة جواب عن إنكار منكر قيامه).

و يضيف المبرد بأن (تكرار الألفاظ وقع لتكرار المعاني فإضافة حرف أو أكثر من حروف التوكيد يجعل من المعنى الواحد عدّة معاني متباينة لكل منها مقامها الخاص بها)[1].

لقد كانت شروحات المبّرد هذه سببا هاما أنّ يدع لعلم المعاني فصلا جديدا وهو أضرب الخبر فإذا عدنا إلى العبارة الأولى فالجواب فيها تكون خاليا من التوكيد لأن السائل خالي الذهن من الحكم أما في العبارة الثانية توكيد الحكم بحيث الحكم إذا ما كان السائل مترددا وشاكا في الحكم و في الثالثة وجب توكيد الحكم بالمبالغة في ذلك لإنكار السائل له[2]. وبذلك فالمبرد قد رصد لعلم المعاني إضافة جديدة لم يسبقه إليها أحد وقدّرها له النحويون والبلاغيون من بعده حين تحدثوا عن الإسناد الخبري بعد أن أخذه عبد القاهر الجرجاني (471هـــ) في باب اللفظ والنظم.[3]

تتجلى كذلك صور علم المعاني عند ابن جني الذي قال الكثير في مختلف أوجهه ونبدأ بالإشارة إلى حديثه عن الجملة الاسمية والجملة الفعلية ويوضح سرّ التعبيرباالجملة الاسمية وبلاغتها التي تفوق

---

[1] - الكامل في اللغة والاداب أبو العباس المبرد ، تحقيق محمد حمد الداهي مؤسسة الرسالة ، ط1 ، د ت ، ص 185.

[2] – ينظر: شروح التلخيص ، سعد الدين التفتزاني شورح السعد علي عيسى الحلبي ط1 دت ،ج1، ص 203.

[3] – ينظر: المختصر في تاريخ البلاغة،د.عبد القادر احسين، ص64.

التعبير بالجملة الفعلية في بعض المواضع ويعطي مثالام دقيقا على هذا الأمر فيقول: (فقولك: إذا زرتني فأنا ممن يحسن إليك أي: فحريّ بي أن أحسن إليك، ولو جاء بالفعل صريحا فقال:

إذا زرتني أحسنت إليك، لم يكن في لفظه ذكر عادته التي يستعملها من إلى زائره وجاز أن يظن به عجز أو نفور دونه فإذا ذكر أن ذلك عادته وطبعه كانت النفوس إلى وقعه أسكن وبه أوثق..)[1]

والتعبير بالجملة الاسمية قال عنه علماء البلاغة المتأخرون أن في التعبير بها إفادة الاستمرار والثبوت.

من جهة أخرى يفرد ابن جني بابا قيّما في شجاعة العربية تناول فيه ظاهرتي الحذف والتقديم التأخير.و فيما قاله عن الحذف أنّه لا يجوز إلا إذا دل عليه دليل و لا يجوز لنا الحذف والزيادة في موضع واحد من الكلام لأن ذلك يؤدي إلى التناقض ويفسد الغرض من الحذف ويؤكد على أن

الحذف الذي يجري في سائر التغيرات عند النحاة يطلعنا على حقيقية العربية وميلها الشديد إلى

الإيجاز، فالحروف لا يليق بها الزيادة ولا النقصان فالعدل أن تستعمل بدون زيادة أو محذوفة.

فيرى ابن جني أن الحذف في الحروف إنّما هو للاختصار فمثلا إذا قلت: ما قام زيد فقد ناب

الحرف "ما" عن: أنفي، وإذا قلت: هل قام زيد؟ فقد ناب (الحرف (هل) عن قولك أستفهم.[1]

---

[1] – المحتسب ابن جني المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، ط1 ، د ت ،ج1، ص 146.

و من صور علم المعاني عنده ظاهرة التقديم وخاصة تقديم المفعول به الذي أرجع سبب تقديمه لنكتة بلاغة وهي العناية بشأنه التي تقوى وتضعف بحسب الحالات وكلّما كانت العناية قوية جاء التقديم على صورة جديدة و أورد هذه الصور في أربع مراتب أولاها تقديم المفعول على الفاعل كقولك: أكرم خالدًا محمد، والثانية تقدم المفعول على الفعل مثل قولك خالدًا أكرم محمد والثالثة مفادها تقديم المفعول على الفعل مرفوعا ويصبح عُمدة بعد أن كان فضلة مثل: خالدٌ أكرمه محمد. و في الرابعة حالها حال المرتبة الثالثة لكن تخلو العبارة من الضمير مثل قولك: خالدٌ أكرم محمد وهي أقواها وأرفعها منزلة لأن الجملة بعد تقديم المفعول وجعله مرفوعا تصبح مختصة به عند خلوها من الضمير.[2]

وبالتالي فإن أمر التقديم والتأخر عند ابن جني اكتسى أهمية بالغة مسعاه في ذلك إدراك أنواع

الفروق والوجوه الغوص في دقائق الكلام والوقوف على لطائفه وأسراره البلاغية.[3]

و في السياق نفسه يقرر ابن جني فكرة مفادها أن المجاز يعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاث وهي

---

[1] – سر صناعة الاعراب، ج1، ص271، الخصائص ابن جني، ج2، ص 273.

[2] – المرجع السابق، ج1، ص 273.

[3] – ينظر المحتسب ابن جني ، ج1،ص 135.

الا تساع والتوكيد والتشبيه وأدخل الحذف والزيادة والتقديم والتأخير ضمن المجاز أيضا وهو أمر لم يأخذ به المتأخرون لأنها عندهم داخلة علم المعاني.

كما نجد أيضا موضوع السجع واردا في كلام ابن جني بشكل اختلف فيه عن سابقيه الذين ركزوا

اهتمامهم على توضيح الفروق بين السجع والفواصل أو جعلها شيئا واحدا فنظرة ابن جني للسجع

تمثلت في تبين الأثر النفسي للسجع ولذة السامع به وارتياح الأذن له ومن ثم يسهل حفظه في القلب

إذ يقول:(ألا ترى أن المثل إذا كان مسجوعا لذّ سامعه فحفظه وإذا حفظه كان جديرا باستعماله[1]

[1] - الخصائص ابن جني، ج1، ص216.

الفصل الثاني

كتاب معاني القرآن و علاقته بالدرس البلاغي

أولا: التعريف بالكتاب

ثانيا: مظاهر البلاغة في الكتاب

أ ـ علم المعاني
ب علم البيان
ج علم البديع

أوّلا: التعريف بالكتاب:

إن وجود حركة لغوية ونحوية كبيرة امتدت على مدار عدة قرون من الزمن ساهم فعليا في فهم وتعمق القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.كانت هذه الحركة أداة ناجحة لفهم الأحكام والتشريعات فنتج عن هذه النهضة الفكرية علماء نوابغ صنعوا مجدا وتركوا إرثا، وبرز التفسير القرآني كعلم واكب حياة المسلمين منذ نزول القرآن الكريم حتى يومنا هذا اتسمت مؤلفاته ومباحثه بالثراء الشديد و ما كتاب »معاني القرآ ن م ا واحد من هذه الثروة المعرفية التي لا حدود لها والتي احتوت مضامينها على إشارات أصبحت فيما بعد أنواعا بلاغية ذات أسماء واصطلاحات محددة [1] ، هذه الدراسات الأولى كانت بداياتها عملا مستقلا بالقرآن ثم ظهرت الحاجة بعد ذلك إليها على أنها غرض حيوي لا غنى عنه.[2]

لقد بلغ اهتمام الفراء بمجال اللغة والنحو والصرف ذروته مما جعل مصنفه "معاني القرآن "يصبح ديوانا ضخما لشواهد تفسير الكلمات المعجمية وشواهد وأنماط من التعبير العربي ووجوهه الإعرابية فأفاد قارئه من جانبين ، جانب وصلة بعبارة القرآن الكريم معنى واعرابا وجانب آخر هو وصله بالعربية عامة في هاتيين الدائرتين دائرة اللغة ودائرة النحو.[3]

إن من ينظر في كتب السير والتراجم وغيرها من الكتب التي أحاطت بظروف تأليف كتاب

[1] – ينظر: الموجز في تاريخ البلاغة، د.مازن المبارك، ص39.
[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص45.
[3] – ينظر: التفسير والنص،د.السيد أحمد عبد الغفار، ص195

"معاني القرآن " يرى ثمنه اتفاقا واضحا في سردهم ملابسات ظروف تأليفه .ومما ورد عن ذلك أن الفراء كان مقربا من مقام الخليفة العباسي المأمون الذي اتصل به وأمره أن يجمع أصول النحو وما سمع من العربية في مؤلف فهيأ له الخليفة كل أسباب الراحة من حجرة منفردة وخدم يسهرون على خدمته وصير له الوراقين يكتبون ما يميله عليهم وعندما خزنه الوراقون ليكتبوا من وراءه عمد الفراء إلى تأليف وإملاء كتاب في المعاني غير معاني القرآن وجعله أتم شرحا وأبسط قولا من المعاني المعروفة حتى أنه أملى في "الحمد لله" منه ورقة.[1]

مما سبق لنا ذكره أن الفراء واكب فترة زمنية مزدهرة إذ نبغ فيها أيما نبوغ مما جعله يتصل بوزراء وأمراء الدولة. فظهر آنذاك نوعان من العلماء ، علماء يتصلون بالخلفاء والأمراءأو يشغلون في مناصب الدولة كالخطاب والقضاء هذا ما جعل تأليف العلماء في هذا العصر إنما ألفت بأمر وزير أو أمير وصدره باسمه ونوه فيه بذكره.[2]

ذكر الزبيدي أن سبب تأليف كتابه معاني القرآن أن عمر بن بكير صاحبه الذي كان منقطعا

للحسن بن سهل قد كتب إليه أن يضع كتابا في معاني القرآن يرجع إليه حين يسأله الحسن بن

سهل عن شيء من القرآن ثم ورد هذا في عديد الكتب كطبقات النحويين واللغويين للزبيدي

[1] - ينظر: معجم الأدباء، ج20، ص13.، وفيات الأعيان، ج6، ص178،نزهه الالباء للأنباري، ص82.

[2] - ينظر:موسوعة ظهر الإسلام،أحمد أمين، ص96.

(ت132هـــ) و المحتسب لابن جني ومعجم الأدباء لياقوت الحموي (ت626هـــ) وطبقات المفسرين للداودي وتاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان وتاريخ التراث العربي فؤاد سزكين.

فلما قرأ الفراء الكتاب قال لأصحابه : اجتمعوا حتى أملي عليكم كتابا في القرآن وجعل لهم يوما فلما حضروا خرج إليهم – وكان في المسجد رجل يؤذن فيه فقال له الفراء اقرأ فبدأ بفاتحة الكتاب ففسرها ثم مر في الكتاب كله على ذلك يقرأ الرجل ويفسر القراء . كما حدد السمري راوي الكتاب السنة التي ألف فيها الفراء كتابه قال : ("هذا كتاب في معاني القرآن أملاه علينا أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء – يرحمه الله – عن حفظه من غير نسخه في مجالسه أول النهار من أيام الثلاثة والتجمع في شهر رمضان وما بعده من سنة اثنتين وفي شهور سنة ثلاث وشهور من سنة أربع

ومئتين)[1] .وهذا يعني أن الفراء أملى كتابه في أواخر حياته إذ توفى سنة 207ه.

إنّ من الصعب أن نحدد قيمة كتاب معاني القرآن للفراء ونعدّد شمائله، ذلك لأنّ الدارسين

والباحثين قديمهم وحديثهم يقرّون بأن الكتاب يمثل دراسة لغوية جادة ، نقية ومخلصة تهدف إلى خدمة الدين والعربية[2]، والكتاب أيضا مثال حيّ عن نضج صاحبه وحصيلة عمره الذي أمضاه في البحث والتنقيب والدراسة و التمحيص.

1 – معاني القرآن الفراء، ج1، ص01.

2- ينظر التفسير و المفسرون محمد حسين الذهبي، مكتبة مصعب ابن عمير القاهرة، مصر، ط1، 2004،ص195.

والملاحظ جليا في الكتاب أنّ محوره الأساسي هو النص القرآني تفسيرا وتأويلا من أجل الكشف عن المعاني القرآنية، كما يشتمل على علوم أخرى من لغة ونحو وصرف وقراءات وغيرها مما تضمّنه الكتاب وسأبينه في موضعه.

يقع مؤلف الفراء "معاني القرآن" في ثلاثة أجزاء نشرت بمصر مابين 1955 و 1973 وهو موسوعة علمية ثمينة، و بحث نحوي قرآني تفسيري ضخم ربط فيه صاحبه النحو بالقرآن الكريم وتفسيره و قراءاته والغالب في كتابه الطابع النحوي لأن الفراء يعد من بين أهم أئمة الكوفة في عصره وفي الكتاب جوانب بلاغية متفرقة فالبلاغة كانت آنذاك تمثل كل مستويات البيان والفرّاء بلاغي لأنه مفسّر وعلى المفسّر أن يكون ضليعا في علوم اللغة عامة، وعلوم البلاغة خاصة ذلك ما يؤكده الزركشي بقوله (والذي يجب على المفسر البداءة به العلوم اللفظية والنظر في التفسير هو بحسب أفراد الألفاظ وتركيبها. أما الأفراد فهي تتعلق بعلوم اللغة والتصريف والاشتقاق .وأما التركيب فهو متعلق بعلوم النحو والمعاني والبيان والبديع).[1]

[1] – البرهان في علوم القرآن، تحقيق أبو الفضل، دار المعرفة، بيروت،ط2، د.ت، ج2،ص173.

كان لتفسير القرآن الكريم فضل كبير في بناء صرح البلاغة، فظهرت نخبة من المفسرين منذ عهد الرسول "صلى الله و عليه وسلم" لتنشأ البلاغة تحت راية القرآن وإعجازه.

و لعله من الأفضل التعريف بكتاب معاني القرآن للفراء من زاوية ربط علم التفسير بالبلاغة باعتبار علم التفسير من أهم العلوم الإسلامية التي تتطلب أدوات خاصة من أهمها المعرفة باللغة و بلاغتها للوصول إلى المعاني التي تقصد إليها الآيات القرآنية من خلال معرفة دلالة الألفاظ وطرق استخدامها في إطار التراكيب العربية في الجاهلية وصدر الإسلام ليجئ تفسير القرآن الكريم كاشفا عن هذا المعاني وإعرابها وأوجه القراءة فيها إن كان لها أكثر من وجه وكان خير ما يمثل هذا الاتجاه كتاب (معاني القرآن للفراء) كتاب (مجاز القرآن لأبي عبيدة) مع أن بعض العلماء

يميلون إلى تصنيفهما ضمن قائمة كتب اللغة والنحو[1]، و لا أحد ينكر على الفراء توجهه اللغوي

في تفسير القرآن الكريم ، فقد ظهر هذا النوع من التفسير مبكرا و كان رائده الأول "عبد الله

ابن عباس" الذي استعان في تفسير الكثير من غريب لفظ القرآن الكريم وتركيبه بالشعر العربي

الجاهلية منه وصدر الإسلام .

[1] – ينظر: التفسير والنص د. السيّد أحمد عبد الغفار –كلية الآداب –جامعة الاسكندرية،دار المعرفة الجامعية،ط1، 2002، ص152.

إن إطلاق كلمة التفسير على كتب اللغة ومنها كتاب الفراء معاني القرآن كان راجعا لاعتبارهم

القرآن الكريم المصدر الأصيل للغة العربية.

إذن فكتاب الفراء يعالج لفظ القرآن الكريم معالجة لغوية صرفة وقد نراه في بعض المواضع يتعرض

لأسباب تزول الآية لكنه يركز على إعرابها.[1]

يذكر الفراء القراءات ويعتبرها تمثل وجها من وجوه تركيب الجملة ثم يوجه احتمالات وضع اللفظ توجيها لغويا.[2]

ومن الواضح أن الفراء في كتابه، يمثل نموذجا حيّا لآراء الكوفيين ولاسيّما شيخه الكسائي الذي لم يتوانى عن مخالفته فيما لم يرضه عنه عملا بقاعدة الاجتهاد[3]. لذا فالفراء يهتم بمسائل النحو بقوة في كتابه ويطيل النظر فيها حسب قواعد مدرسته يبرز جليا تحليله لأوجه الإعراب والتعبير وتخريج العبارات ثم يحدد من جهة أخرى المصطلحات الخاصة به وبمدرسته في الفروع والأصول.[4]

[1] – ينظر: المرجع السابق، ص195.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص195

[3] – ينظر :المرجع نفسه، ص196.

[4] – ينظر:تطور النحو في مدرستي البصرة والكوفة، د.طلال علامة، دار الفكر البنان، بيروت،ط1، 1993، ص 260

يمكن القول إن غلبة الطابع النحوي على الكتاب لم تمنع من وجود مترع بلاغي فيه، و التفسير علم لا يحكم زمامه إلاّ رجل برع في علمي المعاني والبيان، لإدراك أسرار هذا الكتاب المبين.[1]

فالكتاب كتاب تفسير كغيره من الكتب المؤلفة آنذاك يقول محمد زغلول سلام : (إنه دراسة مكملة لكتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة لأنه يبحث في التراكيب والإعراب و يبحث في الغريب والمجاز وكلتا الدراستان متعلقتان بالأسلوب).[2]

من الحقائق التي نقف عليها في كتاب الفراء احتجاجه بالشعر في التفسير لأن معظم كتب التفسير تجعل من اللغة والشعر قضيتها الأولى وتعتمد عليهما في إدراك المعاني و إجلائها و معرفة دلالات

الألفاظ ومقاصدها وتحسس مواطن الجمال والبيان فيها.[3] و الفراء حاضرٌ في هذا الجانب (فهو

يعتمد في تفسيره للقرآن الكريم على الاحتجاج بالشعر. باعتبار القرآن الكريم عربيا والشعر له أهمية

---

[1] – ينظر: أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، د.محمد زغلول سلام، قدم له الأستاذ محمد خلف الله أحمد،مكتبة الشباب، ط$_1$ ، 1982، ص18.

[2] –المرجع السابق، ص50.

[3] – ينظر: المرجع نفسه، ص25.

كبرى في معرفة اللغة العربية)[1]، فمن الطبيعي جدّا الاستدلال والاستشهاد به في تفسير غريب القرآن الكريم.

والناظر في كتب معاني القرآن "معاني القرآن" يجده غزيرا بالشواهد الشعرية سواء كانت شاهدا على لفظ أم على معنى أم قراءة أم وجه لغوي وقد نثرها في مؤلفه لتزيده جمالا على جماله فقد أكثر من .الاستشهاد بالشواهد الشعرية و لم يأت بهذه الشواهد ليبرهن على صحة ما جاء فيه من استعمل

اللألفاظ العربية ولكن لتوضيح المعاني والمقاصد التي قصد إليها إذ لا يفهم معاني القرآن، إلا من كان

ضليعا في علوم العربية متبحرا فيها عالما بأسرارها ومتذوقا لجمالها.[2]

وقد تركزت الشواهد الشعرية على بيان القراءات والأوجه الشعرية و بيان المعاني و أسباب النزول

وذكر لمواقف السيرة مع أن الأمرين الآخرين لم يكن لهما ظهور إلا مرات محدودة جدا لا تصل إلى حدّ الجمع فقد اقتصر على ذكر دليل واحد لسبب النزول ودليل آخر للسيرة بينما كان للأسباب الأخرى النصيب الأكبر.[3]

---

[1] – أغراض الشعر وخصائصه في التفسير،د.زياد أحمد أبو شريعة، عالم الكتب الحديث – إربد- الأردن، ط$_1$، 1428هـ، 2008م، ص6.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص42.

[3] – ينظر المرجع نفسه ، ص43.

لقد اعتمدت أغلب كتب التفسير على الاستشهاد بالشعر سواء أقلّت منه أم أكثرت وكان الفراء واحدا من عديد المفسرين الذين استخدموا الشعر للاستشهاد به لأغراض تخدم كتاب الله عز و جل خدمة جليلة تزيل ما يتوهم من إبهام في بعض المفردات أو الألفاظ وأساليب التعبير ضمن تفرعات اللغة العربية، يقول أحمد أبو شريعة :(ولدى تتبع الأشعار الواردة في تفسير الفراء وجدت فيه تقريبا ألف نظم إلاّ خمسين بيتا و أن الأشعار التي ذكرت في الكتاب يبلغ عددها ثمانمائة واثنين وتسعين يت وهذا العدد الهائل من الأشعار قد يكرر في أكثر من باب وعند الحديث على أكثر من موضوع..).[1]

كان سيبويه والفراء وأبو عبيدة وابن قتيبة والمبرد والجاحظ وغيرهم من أوائل المفسرين الذين تناولوا

جميعا سور القرآن الكريم وآياته وحللوها كل حسب رؤيته واتجاهه و فساهموا مساهمة فعالة في التأصيل للدرس البلاغي من خلال تفسير القرآن الكريم.

فكتاب الفراء يحمل بين دفتيه منهجا معينا في التفسير شابه فيه صاحبه أبا عبيدة معمر بن المثنى (

ت 210)واتبع خط سيره، فهو يبدأ بسورة الفاتحة ثم البقرة وهكذا بطريقة تنازلية ، و يتعرّض لآيات

[1] -ينظر: المرجع السابق ، ص145.

يفسرها تفسيرا نحويا، ويوجه ما يحتاج منها إلى التوجيه النحوي أو اللغوي.[1]

و يفسر الآية بالآية، و بالحديث النبوي إذا كانت ترتبط بحديث رسول الله (صلى الله و عليه وسلم) ثم يدلّل عليها بالشواهد الشعرية و بكلام العرب وأمثالهم مع إضافة جديدة، وهي أنّه يتعرض لأسباب نزول الآية استنادا إلى أقوال المشهورين من أئمة التفسير من الصحابة و التابعين كما يهتم الفراء أثناء تفسيره لجانب القراءات القرآنية فيعرض لها في الآية مبيّنا وجهة نظر كل قارئ ومفسر. وقد تتعدد القراءات وتتعدد معها آراء المفسرين فيرجح قراءة على أخرى مختارا ما يراه قريبا من ا لصواب، ويرى أن النسق في الآية يوجب الترجيح لقراءة ما أو التصحيح للفظ.[2]

إنّ كتاب معاني القرآن تفسير لغوي ضخم ، غني بحل مشكلات القرآن اللغوية و الإعرابية و

توجيهها توجيها خاصا غير توجيه البصريين[3] فيغلب على الكتاب النقل و التفسير بالمأثور وكثيرا ما

يذكر في ختام كلامه عبارة: وبذلك جاء التفسير أو وجاء في التفسير أو بسنده إليه، وينقل عن أئمة

لمفسرين و الصحابة فينقل عن علي بن أبي طالب وابن عباس والحسن البصري وقتادة و السدى.

---

[1] – يننظر:المباحث البلاغية،في ضوء قضية الإعجاز القرآني (نشأتها وتطورها حتى نهاية القرن السابع الهجري)د.أحمد جمال العمري، ص49.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص51

[3] – ينظر: دروس في المذاهب النحوية،د.عبده الراجحي،دار النهضة العربية، للطباعة والنشر،بيروت،ط1، 1980، ص93.

ومن الإخباريين عن ابن الكلبي وغيرهم فلا يظهر اجتهاده ورأيه إلاّ في شرح معاني الغريب أو توضيح إعراب أو بيان إعلال أو إبدال أو تغير ما في اللفظ أو العبارة.[1]

و الحقيقة المؤكدة أن الفراء ترك بصمات واضحة في آثار من جاء بعده من العلماء فالطبري (ت 310 الذي اعتمد على معاني القرآن آيما اعتماد إذ نقل نصوصه بحذافيرها،و لم ينوه باسمه إلاّ قليلا في موضوع توجيه القراءات القرآنية.كذلك الشأن بالنسبة لأبي جعفر النحاس(ت338ه) الذي نقل عنه (بل اتخذ منه موقف الرواية والقبول أو الرد والإنكار على ما ذهب إليه في كثير من التوجيهات، وهذا يعود إلى وضعية الفراء في أخذه بكلام العرب).[2]

ونرى أيضا ابن جني (ت392ه) يجعل من معاني القرآن للفراء مادته الخام التي يستند إليها في

توجيهاته في كتابه المحتسب فأخذ مثلا القراءة عن أبي علي عن ابن مجاهد عن الفراء.

ونبه الفراء في كتابه إلى أهميّة الإيقاع في آيات القرآن وفواصل الآيات أو رؤوس الآيات كما يشير إلى

العلاقة الوطيدة بين وحدة الإيقاع في الآية والسورة أو الآيات المتجاورة حتى يتصل فيها الإيقاع في

---

[1] – ينظر: أثر القرآن في تطور النقد العربي،د.محمد زغلول سلام، ص 52.

[2] – التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية عند الفراء في معاني القرآن، د.طه صالح، أمين أغا،دار المعرفة، بيروت،لبنان،ط $_1$، 1428هـــ، 2007م، ص25.

نسق صوتي لا نشاز فيه ويراعى في ذلك بناء الكلمات من الحروف المتآلفة.

و من آراء العلماء ا لذين أشادوا بكتاب معاني القرآن للفراء. وكم هم كثر نجد أصحاب التراجم و المؤرخين الذين أثنوا ومدحوا كتاب المعاني لما لمسوه حقيقة من أثر عظيم وقيمة علمية لهذا الكتاب في التفسير واللغة . يقول أبو العباس ثعلب (هو كتاب لم يعمل أحد مثله و لا أحسب أن أحدا يزيد عليه).[1]

يقول أبو بديل الوضاحي (فأردنا أن نعد الناس الذين اجتمعوا لإملاء كتاب المعاني فلم يضبط قال: فعددنا القضاة فكانوا ثمانين قاضيا).[2]

و زيادة على ما ذكرناه من إفادة العديد من العلماء من هذا الكتاب القيّم نذكر أيضا،إفادة آخرين منه كالنيسابوري في (وضح البرها"ن وأبو تراب الظاهري في "شواهد القرآن" والراغب الأصفهاني في " المفردات" والقرطبي وغيرهم.[3]

كان ولا زال لكتاب الفراء شهرة خاصة في الدراسات القرآنية لأنه أول كتاب مطول جمع و شرح

اللغويات والمسائل النحوية وشرح معاني الآيات مشفوعة بالشعر العربي.

[1] – الفهرست ابن النديم، ص66.

[2] – تاريخ بغداد ، البغدادي، ج14، ص150.

[3] – ينظر: أغراض الشعر وخصائصه في التفسير،د.زياد أبو شريعة، ص 41.

كما عمل الفراء من خلال كتابه على إثبات حقيقة الإعجاز البياني في آيات القرآن الكريم و خدم به القرآن الكريم بتفسيره الآيات وهذا جزء من عبادة المولى سبحانه فأسرار هذا الكتاب العظيم لا تنقضي ولا تنتهي بل يزداد التعلق به أكثر.

مظاهر البلاغة في كتاب معاني القرآن للفراء :

مما لا شك فيه أن كتاب معاني القرآن حلقة أساسية في سلسلة كتب اللغوين والنحاة إبان القرن ا لثاني الهجري، و هو عمدتنا في البحث نسلط الضوء فيه على الجوانب البلاغية التي تكشف عن معاني القرآن و (الفراء بما أبداه في كتابه معاني القرآن من تخريجات وتوجيهات أبداها مفرقة من صميم مسائل البلاغة كما عرفت عند المتأخرين).[1]

ورغم أنّ الكتاب يغلب عليه الطابع النحوي، فإن المسائل البلاغية والنظرات البيانية حاضرة بجلاء في الكتاب من معان وبيان وبديع سأعمل على توضيحها والبداية بعلم المعاني.

أ– علم المعاني:

سبق وأن تطرقنا لمفهوم علم المعاني والإلمام ببعض جوانبه إذ يمكننا القول إن مصطلح المعاني يدل

على مفهوم أوسع أي أنه يتضمن كل علوم البلاغة ليتطور و يكون بالصورة الثانية التي هو عليها

---

[1] – البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري،د.رابح دوب، ص82.

الآن فالمقصود بالمعاني قضايا لغوية يتناولها خلال تفسيره للآيات فيناقش قضية الرسم الإملائي أو يوجه قراءة معينة أو يناقش مسألة نحوية أو صرفية أو لغة معينة وأحيانا يتكلم عن أسباب الترول .

والذي يهمنا هو إبراز الجوانب البلاغية التي فهمها الرجل وتوصل إليها وحللها وجعلها في صورة ناصعة تعكس الجمال الياني في أسلوب القرآن طريقا إلى فهم وجوه الإعجاز الذي عكف هو ومعاصرون على البحث عنها والتدليل عليها وعرضها في أروع صورة لشهد بدقة على عظمة البيان الإلهي كما يتضمن كتاب الفراء مجموعة من المفاهيم البلاغية التي توضح التفات الرجل – في هذا الزمن المتقدم – لعناصر علوم البلاغة.[1]

ومن مظاهر علم المعاني الواردة في الكتاب حديثه عن المبتدأ والخبر، فهو يرى مثل كافة الكوفيين أن المبتدأ و الخبر يرفع كل منهما صاحبه غير أنه كان يتبنى فكرة مفادها أن كلا منهما لا يستطيع

أن يؤدي إلا عملا واحدا و أن الاسم منصوب في الأصل و لا يُرفع أولا يُجر إ لا بعامل

فإذا زال هذا العامل رجع الاسم إلى حالة النصب.[2]

[1] - ينظر المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني نشأتها وتطورها حتى نهاية القرن السابع الهجري،د.أحمد جمال العمري، ص51.

[2] – ينظر: التعليل اللغوي،عند الكوفيين مع مقارنته بنظيره عند النصريين (دراسة ابستيمولوجية)د.جما الشمس الدين، مؤسسة الثقافة الجامعية الإسكندرية، مصر، ط1، 1994، ص116.

ويعلل الفراء مستشهدا بمثال في قولهم (ما كان من السباع غير مخوف فهذا الأسدُ مخوفًا) يقول الفراء: (فلم يجدوا بُدا من أن يرفعوا (هذا) بالأسد وخبره منتظر فلما شغل الأسد بمرافعة (هذا) نصب فعله الذي كان يرافعه لخلوته)[1] والفراء يعلل هنا مستندا إلى نظرية العامل اللغوية.

ويقول الفراء في قوله تعالى:﴿فتصبح الأرض مخضرة﴾[2] (رفعت "فتصبح" لأن المعنى في (آلم تر) معناه خبر كأنك قلت في الكلام: اعلم أن الله يترل من السماء ماء فتصبح الأرض و هو مثل قول الشاعر:

آلم تسأل الربع القديم فينطق فهل تخبرنك اليوم بيداء سملق[3] أي قد سألته فنطق ولو جعلته استفهاما وجعلت الفاء شرطا لنصبت).[4]

ويعرض الفراء لمسألة الهامة و هي أسلوب التقديم والتأخير الذي لمسه في قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾[5]، يقول الفراء:(إذا صار البيت يبسا فهو غثاء و أحوى الذي هو أسود من العنق

ويكون أيضا أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء فيكون مؤخرا معناه التقدم).[6]

أيضا يقول الفراء في قوله تعالى : ﴿ فما كان دعواهم إذ جاء هم بأسنا إلا أن قالوا إن كنا

[1] – معاني القرآن للفراء، ج1،ص12،13.
[2] – سورة الحج، الآية 63.
[3] –البيت لجميل والمقصود بالسملق: القاع الأملس الذي لا شجر فيه.
[4] – معاني القرآن، ج2،ص229.والجزء الأول، ص27.
[5] – سورة الأعلى.الآية .
[6] – معاني القرآن للفراء، ج1،ص67.

ظالمين﴾[1] (إن الدعوى خبر كان ومرفوع كان هو (إلا أن قالوا) فإنّ في موضع رفع ، وهو الوجه في أكثر القرآن:أن تكون أن إذ كان معها فعل أن تجعل مرفوعة و الفعل منصوبا مثل قوله تعالى:

﴿ فَكَانَ عَقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ[2]﴾.[3] والخبر: في قوله تعالى :﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصنّ﴾ قال، الفراء (يقال: كيف الخبر عن النساء ولا خبر الأزواج، وكان ينبغي أن يكون الخبر عن (الذين)؟ فذلك جائز إذا ذكرت أسماء ثم ذكرت أسماء مضافة إليها فيما معنى الخبر أن تترك الأول ويكون الخبر عن المضاف إليه، فهذا من ذلك لأن المعنى، والله أعلم . إنما أريد به : ومن مات عنها زوجها تربصت فترك الأول بلا خبر وقصد الثاني لأن فيه الخبر المعنى قال وأنشدني بعضهم:

بنى أسد إن ابن قيس وقتله بغير دم دارُ المذلة حلت وردت"خلت بدل (حلت". وكأنه يريد:

إن قتله دار المذلة حلت له، فجملة حلت خبر دار المذلة والرابط محذوف. فألقى "ابن قيس" و أخبر

عن قتله أنه ذل ومثله: لعلي إن مالت بي الريح ميلة لا على ابن أبي ذبيان أن يندما (أبو ذبيان

كنية عبد الملك بن مروان ، كنى بذلك لبخر كان به من أثر فساد كان في فمه ويعني أنه شاعر بابنه

[1] – سورة الأعراف، الآية 5.

[2] – سورة الحشر الآية17.

[3] – معاني القرآن للفراء، ج1، 372

هشام بن عبد الملك.فقال: لعلي ثم قال: أن يتندما، لأن المعنى: لعل ابن أبي ذبيان أن يتندم إن مالت بي الريح ومثله قوله: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم﴾.

إلا أن الهاء من قوله " وصية لأزواجهم" رجعت على (الذين). فكان الإعراب فيها أبين لأن العائد من الذكر قد يكون خبرا؛ كقولك:عبد الله ضربته.

و في قوله تعالى:﴿والله أعلم بما وضعت﴾. قد يكون من إخبار مريم فيكون " والله أعلم بما وضعتُ" يسكن العين وقرأ بها بعض القراء ويكون من قول الله تبارك وتعالى، فتجزم التاء؛ لأنه خبر عن أنثى غائبة.[1]

وفي قوله سبحانه ﴿ ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء﴾ (يرفع خالق على الابتداء و على أن يكون خبرا ولو نصبة إذ لو يكن فيه الألف واللام على القطع كان صوابا). وخبره " الله ربكم".[2]

والواضح جليا أن الفراء نهج طريق أبو عبيدة في معالجته لأسلوب التقديم والتأخير، يقول أبو عبيدة

في قوله تعالى:﴿وأجل مسمى عنده﴾

---

[1] – المصدر السابق، ص 374.

[2] – المصدر نفسه، ص374.

(مقدم ومؤخر مجازه وعنده أجل مسمى).[1]

والفراء لا يخرج عن هذا المعنى ولا يتجاوز هذا التعليق المحدود بكون التقديم والتأخير ينحصر في وضع كلمة موضع الأخرى ويتبادل مكان الكلمتين فتفسح إحداهما مكانها للأخرى.[2]

و في موضع آخر من الكتاب يأتي الفراء بمثال آخر عن التقديم والتأخير في قوله عز من قائل: ﴿ولو لا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى" (بريد ولو لا كلمة وأجل مسمى لكان لزاما مقدم ومؤخر﴾.[3]

والرجل في كثير من الأحايين يقتصر فقط على ذكر المقدم والمؤخر مما يجره إلى الوقوع في نوع من التكلف السقيم فيسقط حرف العطف ليسلم له التفسير كما في قوله تعالى:﴿حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعدما أراكم ما تحبون﴾ يقال إنه مقدم ومؤخر معناه (حتى إذا تنازعتهم في الأمر فشلتهم فهذه الواو معناها السقوط).[4]

ولولا تكلف الفراء هذا المعنى من التقديم والتأخير لما جره هذا التكلف إلى إسقاط حرف

---

[1] – مجاز القرآن،أبو عبيدة، تحقيق محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1391ه،1973م، ج1، ص 185.

[2] – ينظر، أثر النحاة في البحث البلاغي،عبد القادر حسين،دار غريب للطباعة النشر، و القاهرة، ط1، 1988م، ص139.

[3] – معاني القرآن للفراء، ج2، ص195.

[4] – المصدر نفسه، ج1،238.

العطف.[1]

و في موضع آخر من الكتاب يتحدث عن التقديم والتأخير في قوله تعالى:﴿ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا﴾.(هذا معناها ولكنه أخر ومعناه التقديم – والله أعلم – لأنه إنما أراد لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد ليعذبهم بها في الآخرة).[2]

وفي قوله تعالى:﴿ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما﴾ (بفتح أن، وتكسر فمن كسرها[3] نوى بها الابتداء فجعلها منقطعة مما قبلها، ومن فتحها فهو أيضا على سبيل الجزاء إلا أنه نوى أن

يكون فيه تقديم و تأخير ، فصار الجزاء و جوابه كالكلمة الواحدة ، و معناه – و الله أعلم –

استشهدوا امرأتين مكان الرجل كي تذكر إحداهما الأخرى فلما تقدم الجزاء اتصل بما قبله و صار

جوابه مردودا عليه ومثله في الكلام قولك: (إنه ليعجبني أن يسأل السائل فيعْطى) فالذي يعجبك الإعطاء إن يسأل، ولا يعجبك المسألة والافتقار ومثله: استظهرت بخمسة أجمال أن بسقط مسلم فأحمله، إنما استظهرت بما تحمل الساقط، لا لأن يسقط مسلم فهذا دليل على التقديم والتأخير).[4]

---

[1] – ينظر، أثر النحاة في البحث البلاغي،عبد القادر حسين، ص139.

[2] – معاني القرآن،ج1، ص242.

[3] – وهو حمزة، و في هذه القراءة " فتذكر"بالرفع على الاستئناف.

[4] – معاني القرآن، ج1، ص184.

أيضا في قوله تعالى:﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّت﴾[1] فرفع الجنات باللام[2] و لم يجز ردّها على أوّل الكلام لأنك حلت بينهما باللام فلم يضمر خافض وقد حالت اللام بينهما وقد يجوز أن تحول باللام ومثلها بين الراء وما رفع والناصب وما نصب فتقوّل: رأت لأخيك مالا و لأبيك إبلا وترفع باللام إذا لم تعمل الفعل و في الرفع: قد كان لأخيك مال ولأبيك إبل، و لم يجز أن تقول في الخفض: قد أمرت لك بألف ولأخيك ألفين وأن تزد " بألفين " لأن إضمار الخفض غير جائز ؛ ألا ترى أنك تقوّل: من ضربت؟ فنقوّل: زيدا، ومن آناك ؟ فنقول: زيدٌ. فيضمر الرافع والناصب ، ولو قال : بمن مررت؟ لم تقل: الذي أخّرته بعد اللام جاز فيه الخفض؛ لأنه كالمنسوخ على ما قبله إذا لم تُحلْ بينهما شيء، فلو قدّمت الجنات قبل اللام فقيل (بخير من ذلكم جنات للذين اتقوا) لجاز الخفض

والنصب على معنى تكرير الفعل بإسقاط الباء؛ كما قال الشاعر:

أتيت ببعد الله في القدّ موتقا لا فهلا سعيدا ذا الخيانة والعذر[3]

ومن أمثلة التقديم الواردة في كتاب المعاني أيضا في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ الله يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ

---

[1] – سورة آل عمران.

[2] – يريد أن جنات (مبتدأ أخبره "للذين اتقوا" والمبتدأ أو الخبر عندهم يترافعان فرافع المبتدأ هو الخبر.

[3] – معاني القران للفراء، ج1، ص196.

وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾[1].(يقال إن هذا مقدم ومؤخر، والمعنى : إني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا و متوفيك بعد إنزالي إياك في الدنيا . فهذا وجه وقد يكون الكلام غير مقدم ولا مؤخر ، فيكون معنى متوفيك: قابضك ، كما تقول: توفيت مالي من فلان، قبضته من فلان . فيكون التوفي على أخذه ورفعه إليه من غير موت .[2]ونجد التقديم والتأخير في قوله تعالى: ﴿ حتَّى إِذّا فّشِلْتُمْ ﴾[3] يقول الفراء (يُقال إنه مقدم ومؤخر معناه : حتى إذا تنازعتم في الأمر فشلتم فهذه الواو معناها السقوط)[4]

و في قوله تعالى:﴿ وَإِذَا رأوْا تجارَةً أوْ لهْوًا انفَضُّوا إليْهَا ﴾[5] (فجعله للتجارة في تقديمها وتأخيرها ولو أنثى بالتذكير فجعلا كالفعل الواحد لجاز، ولو ذكر على نيّة اللهو لجاز)[6].

و في قوله تعالى: ﴿وأرجلكم﴾[7]يقول الفراء:(حدثني قيس بن الربيع[8] عن[9] عامر عن زر[10]عن

عبد الله بن مسعود أنه قرأ "وأرجلكم " مقدم ومؤخر.والمقصود هنا عطف أرجلكم) وفيه تقديم "

[1] – سورة آل عمران،الآية 55.

[2] – معاني القرآن للفراء، ج1، ص219.

[3] – سورة آل عمران، من الآية 152.

[4] – معاني القرآن للفرا، ج1، ص238.

[5] – سورة الجمعة، الآية 11.

[6] – معاني القرآن للفراء، ج1، ص287.

[7] – سورة آل عمران من الآية.

[8] – قيس ابن الربيع الأسدي الكوفي، توفي سنة 165هـ.

[9] – عامر هو ابن بهدلة الكوفي أحد الفراء السبعة توفي سنة 129هـ.

[10] – زرّ هو ابن حبيش وهو كوفي توفي سنة 82هـ.

وامسحوا برؤوسكم" وتأخير "أرجلكم" وهو ذكر للوجه السابق.[1]

والفراء تحدث عن التقديم والتأخير في قوله تعالى : ﴿ وكم من قرية أهلكناها فجاءها..﴾[2] يقول الفراء شارحا إياه ا (إنما أتاها البأس من قبل الإهلاك فكيف تقدم الهلاك ؟ قلت لأن الهلاك و اليأس معا؛ كما تقول: أعطيني فأحسنت، فلم يكن إحسان بعد الإعطاء ولا قبله وإنما وقعا معا إن شئت كان المعنى: وكم من قرية أهلكناها فكان مجيء اليأس قبل الإهلاك، فأضمرت كان وإنما جاز ذلك على سبب بهذا المعنى، ولا يكون في الشروط التي خلفتها بمقدّم معروف أي أن يقدم المؤخر أو يؤخر المقدم، مثل قولك: ضربته فبكى وأعطيته فاستغنى إلا أن تدع الحروف في مواضعها..)[3].

ثم في قوله تعالى:﴿ كأنك حّفي ﴾[4]، يقول الفراء:(كأنك حفي عنها مقدّم ومؤخر؛ ومعناه

يسألونك عنها كأنك حفيّ بها. ويقال في التفسير كأنّك حفي أي كأنّك عالم بها).[5]

و في قوله تعالى:﴿فإما نرينّك بعض الذي نعدهمّ﴾[6]، ثم قال "فإلينا يرجعون" يقول الفراء:

---

[1] -ينظر: معاني الفراء للفراء، ج1، ص302.

[2] - سورة التحريم الآية1.

[3] - معاني القرآن للفراء،ج1، ص372

[4] - سورة الأعراف الآية

[5] - معاني القرآن للفراء، ج1، ص399.

[6] - سورة غافر، الآية 77.

(فاختيرت الفاء لأنّهم إذا نوّنوا في "إمّا" جعلوها صدرا للكلام ولا يكاد يؤخرّونها. ليس من كلامهم: (ضربه إمّا يقومنّ ؛ إنّما كلامهم أن يقدّموها ، كما استحبّوا لها في قولهم : أمّا أخوك فقاعد ، حين ضارعتها).[1]

ويعلّل الفراء موطنا آخر للتقديم والتأخير في قوله تعالى:﴿ فلا تُعجبك أموالهم ولا أولادهم إنّما يُريد الله ليُعذبهم بها في الحياة الدّنيا ﴾[2]، فيقول: (معناه: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا، هذا معناه، ولكنه أخرّ ومعناه التقديم – والله أعلم– لأنه إنما أراد: لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذ بهم بها في الآخرة)[3] ويضيف (وقوله "وتزهق أنفسُهُم وهم كافرون" أي تخرج أنفسهم وهم كفار. ولو جعلت الحياة الدنيا مؤخرة[4] وأردت: إنما يريد الله ليعذبهم

بالإنفاق كرها ليعذبهم بذلك في الدنيا، لكان وجها حسنا).[5]

هذه بعضٌ الإشارات المتعلقة بأسلوب التقديم والتأخير وردت متناثرة في ثنايا كتاب الفراء فتطرق

إلى أسلوب التقديم والتأخير في وإن اختلفت طريقة ذكره عما نعرفه اليوم من شأن التقديم و التأخير

[1] – معاني القرآن للفراء، ج1، ص414.
[2] – سورة براءة (التوبة) الآية 55.
[3] - معاني القرآن للفراء، ج1، ص435.
[4] – ومعناه: أي غير منوّى تقديمها.
[5] – معاني القرآن للفراء، ج1، ص442.

كأحد أبرز أبواب علم المعاني الذي يعدّ أول فروع علم البلاغة إلى جانب على البيان وعلم البديع.

لكن ما يُسجّل على الفراء في هذا الباب – أي باب التقديم والتأخير– أنه اكتفى بأن يقول إن في الآية تقديما وتأخيرا دون أن يبين أو يعلل لماذا كان هذا التقديم أو ذاك التأخير، بل من الواضح جدّا أنّ الفراء لم ينتفع بالأسرار البلاغية الذي ذكرها سيوبه قبله في هذا الباب التي يأتي من أجلها التقديم ، وهي العناية والاهتمام أو لتنبيه المخاطب وتأكيد الكلام ، وهو في ذلك الفراء لم يخط خطوات هامة في باب القديم والتأخير.[1]

أمّا عن أسلوب الاستفهام الذي يأخذ مساحة هامّة من كتابه معاني القرآن، فكثيرا ما يخرج الاستفهام عند الفراء عن معناه الحقيقي إلى معان مجازية وإن لم يذكر صراحة مصطلح المجاز فمن أمثلة الاستفهام يقول الفراء في قوله تعال ى: ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ﴾[2]: (وهذا على وجه التعجب والتوبيخ لأعلى الاستفهام المحض أي ويحكم كيف تكفرون)[3] وهذا

التعليل مما نعرفه نحن اليوم في علم المعاني.

كذلك ذكر الفراء خروج الاستفهام إلى غرض الإنكار له في قوله تعالى:حكاية عن اليهود يقول

[1] - ينظر: أثر النحاة في البحث البلاغي،د.عبد القادر حسين، ص139.

[2] – سورة البقرة، الآية 28.

[3] – معاني القرآن للفراء، ج1، ص23.

بعضهم لبعض:﴿ أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربّكُمْ ﴾[1] يفسر الفراء الأية بقوله:

(هذا من قول اليهود لبعضهم أن لا تحدثوا المسلمين بأنكم تجدون صفة محمد صلّى الله عليه وسلم في التوراة، وأنتم لا تؤمنون به فتكون لهم الحجة عليكم).[2]

ورأيه واضح هنا في حمل الاستفهام الموجود في الآية الكريمة على الإنكار.

وفي موضع آخر من الكتاب يتنبه إلى أسلوب الاستفهام والغرض منه في قوله تعالى:

﴿ وقُل للذين أوتوا الكتابَ والأُمّينَ أأسلمتم فإن أسلمُوا فقدِ اهتدَوا﴾[3]، قال الفراء:

(وهو استفهام ومعناه الأمر، وكذلك (في قوله عز و جل:﴿ فهل أنتم منتهون ﴾[4] ، تأويله:انتهوا).[5]

ثم نجد الفراء يقف على موضع الاستفهام في قوله تعالى:﴿إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا مّاذا يستعجل منه المجرمون﴾[6]، علق الفراء قائلا:(إن شئت جعلت ماذا استفهاما محضا على جهة التعجّب كقولك: ويلهم ماذا أرادوا باستعجال العذاب؟ وشئت عجلت أمر العذاب)[7].

---

[1] – سورة البقرة، الآية 76.

[2] – معاني القرآن للفراء ،ج1،ص55

[3] – سورة آل عمران، الآية 20.

[4] – سورة المائدة، الآية 91.

[5] – معاني القرآن للفراء،ج1، ص202.

[6] – سورة يونس، الآية 50.

[7] – معاني القرآن للفراء، ج1،ص 467.

ويؤكدّ الفراء على غرض التعجب الذي جاء من أجله أسلوب الاستفهام في الآية الكريمة. ومن الأغراض البلاغية للاستفهام في كتاب معاني القرآن خروجه من الطلب المحض إلى الخبر وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَلم تر أنّ الله أنزل من السّماء ماء فتصبح الأرض مخضرّةً ﴾[1] قال : معناه: خبر.

أما في قوله تعالى: ﴿ اصطفى البنات على البنين﴾[2]، فالاستفهام هنا قد خرج عن معناه الوضعي فهو استفهام فيه توبيخ لهم).[3]

في السياق نفسه يتعرض الفراء للاستفهام في قوله تعالى:﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النّار أذهبتم طيّبتكم في حياتكم الدّنيا﴾.[4]

يقول:(قرأ الأعمش وعاصم ونافع والمدني بغير استفهام ، وقرأ الحسن وأبو جعفر المدنيب

الاستفهام أأذهبتم، والعرب تستفهم بالتوبيخ ولا تستفهم)[5] و(الذي معناه التعجب والتوبيخ فهو

يجوز بالاستفهام وطرحه).[6]

[1]- سورة الحج، الآية 63.
[2] – سورة الصافات، الآية 153.
[3] -ينظر معاني القرآن،ج2، ص394.
[4]- سورة الأحقاف، الآيتان 21،25.
[5] – معاني القرآن للفراء، ج1، ص140.
[6] – معاني القرآن للفراء، ج2، ص411.

ومعنى كلام الفراء هنا أنه يجوز خروج الاستفهام و الاستغناء عنه لأنه غير مقصود إليه في الكلام وإنما الغرض الأساسي هو تعجب الكفار حيث لم يروا المسلمين الضعفاء والأراذل وقد كانوا محطّ سخريتهم في الدنيا فتعجبوا حين لم يروهم معهم في النار وأنكروا على أنفسهم هذه السخرية.[1]

و في قوله تعالى:﴿ فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة﴾[2] قال الفراء: (أي أيّ شيء هم)[3] استفهام غرضه التعجّب.

ومثله كذلك في قوله سبحانه:﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾[4] خروج الاستفهام إلى التعجب قال الفراء (كحبهم من حمل الإبل إنها تحمل وقرها وهي باركة ثم تنهض به، وليس شيء من الدواب يطيق ذلك إلاّ البعير).[5]

في نفس السياق، يعرض الفراء للاستفهام الذي يجيء على صيغة (أرأيت) و ما تصرفت إليه

---

[1] – ينظر أثر النحاة في البحث البلاغي،د.عبد القادر حسين، ص141.
[2] – سورة الواقعة، الآية 4.
[3] – معاني القرآن للفراء ، ج3، ص258.
[4] – سورة الغاشية من الآية 17.
[5] – معاني القرآن للفراء، ج3، ص258.

وقسمه قسمين، جعل ثانيهما بمعنى (أخبرني)[1] ، وهو المعنى الذي شاع عند البلاغين و المفسرين و لم يكادوا يرون في تلك الصّيغ هذا الفهم غير مطرد في هذه الصيغة بل فيها مواضع لا يحسن فيها هذا التخريج.[2]

وتأسيسا على هذا كلّه، نخلص إلى أن الفراء قد نصّ في كتابه" معاني القرآن " على خروج الاستفهام من معناه الوضعي إلى معان أخرى متنوعة كالتوبيخ والإنكار و التعجب والأمر و غيرها

وما ستوقفنا في كتاب الفراء من أساليب علم المعاني حديثه عن الأمر، من ذلك ما تعلّل به في استخدام العرب لفظة "سلْ" بدلا من "أسأل" (فقد حذفوا الهمزة لأنها كثيرة الدوران في الكلام كما قالوا: كلْ وخذْ فلم يهمزوا في الأمر وبعض العرب يهمز في الأمر ولكنهم همزوا في النهي فيقولون: ولا تأكلّ، ولا تأخذْ).[3]

و في موضع آخر، يذهب الفراء إلى أن أكثر ما جاء في جواب الأمر بالرفع معها "[4]كما في قوله عز وجل: ﴿ولقد أو حينا إلى موسى أن أسر بعبادى﴾.[5]

ويوضح جواب اليمين بقوله (وكذلك اليمين يكون لها جواب إذا بُدىء بها فيقال و الله إنك لعاقل، فإذا وقعت بين الاسم وخبره قالوا: أنت والله عاقل وكذلك إذا تأخرت لم يكن لها جواب لأن

[1] – ينظر: المصدر نفسه،ج1، ص133.
[2] – ينظر: المصدر السابق ،ج1، ص121.
[3] – معاني القرآن للفراء،ج1، ص124،125.
[4] – المصدر نفسه،ج2، ص187.
[5] – سورة طه، الآية 77.

الابتداء بخيرها).[1]

ويضيف الفراء متحدثا عن جواب الأمر في موضع آخر من الكتاب في قوله عز وجل:

﴿أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم﴾[2] (هو وأب الأمر ولا يصلح الرفع في (يخل) لأنه لا ضمير فيه: وفي قوله تعالى : ﴿ يسئلونكَ عن الأهلّة قل هي مواقيت للنّاس والحجّ ﴾[3] فالسؤال يأتي صريحا ويكون ضمنيا، وفي الآية السؤال مصرّح به حيث سُئل النبي صلى الله عليه وسلّم عن نقصان القمر وزيادته ما هو ؟ فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ ذلك لمواقيت حجّكم و عمرتكم وحلّ ديونكم و انقضاء عدّد نسائكم﴾. ولو قلت: أعرني ثوبا ألبس لجاز الرفع والجزم لأنك تريد: البسه فتكون رفعا

من صلة النكرة والجزم على أن تجعله شرطا).[4]

وفي قوله جلّ شأنه:﴿ابعث لنا ملكا نّقاتل في سبيل الله﴾[5] يجزم (نقاتل) في جواب الأمر قال:

(إنه لا يجوز رفعه، فإن قرئ بالياء (يقاتل) جاز جزمه في جواب الطلب).[6]

[1] – معاني القرآن للفراء ،ج2، ص338.
[2] – سورة يوسف، الآية 8.
[3] – سورة البقرة، الآية 189.
[4] – معاني القرآن للفراء،ج1، ص 339.
[5] – سورة البقرة، الآية، 246.
[6] – معاني القرآن للفراء،ج2، ص120.

ونقف على أسلوب الأمر عند الفراء في قول المولى سجانه: ﴿عليكم أنفسكم﴾[1] قال (هذا أمر الله عز و جل كقولك : عليكم أنفسكم و العرب تأمر من الصفات بعليك و عندك و دونك و إليك يقولون إليك إليك، يريدون: تأخر كما تقول: كما نقول: وراءك وراءك فهذه الحروف كثيرة).[2]

توفر كتاب معاني القرآن على شواهد وشروحات تؤكد وجود الفصل والوصل فيه و نصّ الفراء عليه في مواضع عديدة ومتفرقة فمثلا في قوله تعالى:﴿وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ﴾[3] و في آية أخرى قوله تعالى:﴿ وإذ نجّينا كم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم﴾[4]، فمفردة (يذبحون) جاءت مرة بالواو ومتصلة بما قبلها وأخرى بدون الواو ومنفصلة عما قبلها، يقول الفراء موضحا :

(فمعنى الواو أنه يمسهم العذاب غير التذبيح كأنه قال: يعذبونكم بغير الذبح بالدبح ومعنى طرح

الواو كأنه تفسير لصفات العذاب، وإذا كان الخبر من العذاب أو الثواب مجملا في كلمة ثم فسرته

فاجعله بغير الواو، وإذا كان أوله غير آخره فبالواو ويقول في قوله تعالى : ﴿ ومن يفعل ذلك يلق

[1] - سورة المائدة، الآية 105.
[2] – ينظر: في اللغة عند الكوفين، ص147.
[3] – سورة إبراهيم، الآية .
[4] – سورة البقرة، الآية .

أثاما﴾[1] فالآثام فيه نية العذاب يوم القيامة" ولو كان غير مجمل لم يكن ما ليس به تفسيرا له ألا ترى أنك تقول عندى دابتان: بغل وبرذون، ولا يجوز عندي دابتان وبغل فقس عليه).[2]

و في قوله تعالى : ﴿ قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ﴾ يقول (عندما لاحظ إسقاط الواو من "قال أعوذ بالله" وهذا في القرآن كثير بغير الفاء وذلك لأنه جواب يستغنى أو له عن آخره بالوقفة عليه فيقال: ماذا قال لك؟ فيقول القائل: قال كذا وكذا فكأن حسن السكوت يجوز به طرح الفاء وأنت تراه في رؤوس الآيات).[3]

يتناول الفراء أسلوب القصر ، في أداتين من أدواته: النفي والاستثناء فهما في نظره لا يأتيان في أول الكلام ابتداء وإنما يكونان ردّا على كلام سابق كما أنّه يخطئ من يظنّ أن (إنّما) لا تأتي إلا لإفادة التحقير فهي قد جاءت في مواضع في القرآن الكريم لتفيد التعظيم.

ولعلّ من أبرز القضايا التي نالت اهتمام العلماء الإيجاز فالجاحظ (ت255ه) مثلا يذكر

مصطلحات هامة للإيجاز وجب النظر إليها منها: التعديل،القصد ،البسط والإطالة ،الحذف

[1] - سورة الفرقان ، ص 67.

[2] – معاني القرآن للفراء،ج2، ص 69،68.

[3] – المصدر نفسه، ج1، ص44.

والاختصار والإيجاز[1] وكلها اسماء للإيجاز.

والإيجاز قيمة عربية ذوقية وجمالية عرفه العرب قديما وألفوه في كلامهم وأساليبهم. وللفراء حديث خاص عن الحذف الذي قاده إلى الكلام علي الإيجاز، واعتبره أمرا ضروريا في الأساليب طالما لا يؤدي إلى خلل في فهم الكلام وعلى هذه الشاكلة يجري الحذف في الكلمة والجملة وكل ذلك مألوف لدى العرب عند علم المخاطب به قصدا للإيجاز والاختصار.[2]

ومن أمثلة الحذف التي ذكرها الفراء نبدأ بمسألة رسم المصحف ، فهو يهتم بهذا الرسم بشكل كبير ويوليه عناية خاصة ويعلّل هذا الرسم من ذلك حذف الواو و الألف و الياء إذ قال في تعليل حذف الواو من "أكن" في قوله تعالى: ﴿فأصّدق وأكن﴾[3]، ليوافق قراءة النصب وأكون وكذلك في كلمة (سندعُ)في قوله تعالى:﴿ سندعُ الزبانية﴾[4]، يقول الفراء: (وأرى ذلك جوابا، لأن الواو ربما حذفت من الكتاب وهي تُراد لكثرة ما تنقص وتُزاد في الكلام).[5]

وعن حذف الحروف، يعلّل الفراء في بداية الكتاب حذف الألف من "البسملة "بسم الله وكذا

---

[1]- ينظر: المعاني في علم الأسلوب، ص131.

[2]-ينظر: معاني القرآن للفراء،ج2، ص219

[3]- سورة المنافقون، الآية 10

[4]- سورة العلق، الآية 18.

[5]- معاني القرآن للفراء،ج1، ص87،88،90،91.

"الرحمن" وغيرها يقول:(لأنها وقعت في موضع معروف لا يجهل القارئ معناه ولا يحتاج إلى قراءته فاستخف طرحها لأن من شأن العرب الإيجاز وتقليل الكثير إذا عرف معناه).[1]

ويضف أن العرب أجازت الحذف من آخر الكلام إذا كان ما قبلها مكسورا مثال ذلك "أكرمن"و "أهانن"[2].

و في قوله تعالى: ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذ الذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عمّا بصفون﴾[3] يقول: ("ف"إذ" جواب لكلام مضمر،أي لوكانت معه آلهة إذ لذهب كل إله بما خلق، ولا غير كل إله بخلقه و لعلا بعضهم يقول: لبغى بعضهم على بعض ولغلب بعضهم بعض).[4]

والملاحظ لدى الفراء أنه يسمي الحذف إضمارا في حالة ما إذا كان المحذوف ضميرا ، مثاله في ذلك قول المولى سبحانه: ﴿فإخوانكم في الدين﴾[5] يقول: (معناه فهم إخوانكم يرتفع مثل هذا من

---

[1]- المصدر نفسه،ج1، ص88.

[2] – ينظر المصدر السابق ج 1، ص 90.

[3] – سورة المؤمنون، الآية 91.

[4] – معاني القرآن للفراء، ج2، ص241.

[5] - سورة التوبة من الاية 11.

الكلام بأن يضمر أي فهم إخوانكم)[1] كذلك (في قوله تعالى : ﴿ قالوا لا تخف خصمان ﴾[2] رفعته بإضمار نحو خصمان).[3] و في مثال آخر قول الله تعالى:﴿فما أصبرهم على النار﴾[4] ينقل ما رواه عن الكسائي قائلا: (و في هذه أن يراد بها: ما أصبرك على عذاب الله ثم تلقى العذاب فيكون كلاما كما تقول ما أشبه سخاءك بحاتم ،

فحذف المضاف من الآية وكلمة العذاب) .[5] و في قوله﴿ سرابيل تقيكم الحرّ﴾[6] يقول: (و لم يقل البرد، وهي تقي الحرّ والبرد، فترك لأن معناه معلوم ، والله أعلم)[7]. و في قوله تعالى: ﴿ هذان خصمان اختصموا في ربّهم﴾[8] أي في دين ربّهم).[9] أيضا في قوله تعالى: ﴿من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن﴾ يريد من أمر الرحمان فحذف الأمر).[10]

أما في قوله تعالى:﴿ فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلّما في السماء فتأتيهم بآية﴾ [11]

---

[1] – معاني القرآن للفراء، ج1،ص425.

[2] - سورة ص ، الاية 20.

[3] – المصدر السابق ،ج1،ص 401.

[4] - سورة البقرة ، الاية 175.

[5] – المصدر السابق ،ج1، ص102.

[6] - سورة النحل ، الاية 81.

[7] – المصدرالسابق ،ج1، ص104.

[8] - سورة الحج ، الاية 19.

[9] – المصدر السابق ،ج2، ص 219 – 204.

[10] – المصدر نفسه ، ج2، ص 228

[11] - سورة الانعام ، الاية 35.

أي فافعل مضمرة وبذلك جاء التفسير وذلك معناه وإنما فعلت العرب في كل موضع يعرف فيه معنى الجواب. فإذا جاء ما لا يعرف جوابه إلا بظهوره أظهرته كقولك للرجل، إن تقم تصب خيرا لا بدّ في هذا من جواب لأن معناه لا يعرف إذا طرح).[1]

وهكذا يجيز الفراء استعمال أسلوب الحذف فذلك ما جرت عليه العرب في أساليبها ، ويقر كذلك بجواز الحذف في الفعل والمفعول والحروف وغيرها ، وهو لا يخرج كما قاله معاصره أبو عبيدة

في كتابه (مجاز القرآن) يقول أبو عبيدة: (العرب تختصر الكلام ليخففوه لعلم المستمع بتمامه).[2]

وهكذا ليس للفراء السبق في باب الحذف، إنما كان يتبع الطريقة السائدة في تلك الحقبة الزمنية

التي كانت حيث كان الحذف يدلّ على أكثر من الاختصار والإيجاز غير المخل بالكلام.[3]

وعلى النقيض من أمر الحذف عند الفراء ، نجده يجيز الزيادة في القرآن الكريم ، وهو في ذلك متحرّر من قيود المتزمتين الرافضين لمبدأ الزيادة في القرآن ، (وهو لا يشير في الزيادة إلى أي غرض وفائدة منها وإنما يأتي الكلام بها ومجردا عنها في لغة العرب ويكتفي بالقول بأن كلامه

---

[1] – المصدر السابق،ج1، ص 331 -332.

[2] – معاني القرآن للفراء ،ج1، ص 331-332.

[3] – ينظر: أثر النحاة في البحث البلاغي،د.عبد القادر حسين، ص137.

صواب ، فالكلام بالزيادة أو بدونها سواء وبكلام العرب).[1]

ومن أمثلة الزيادة في القرآن عند الفراء في قوله تعالى : ﴿ فعسى أن يكون ردفٌ لكم ﴾ معناه ردفكم وكلّ صواب)[2]. و في قوله تعالى: ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ﴾ يكون الكلام العربي هكذا بالباء وربما طرحت العرب الباء فقالوا اعتصمت بك واعتصمتك)[3]. أيضا من أمثلة الزيادة في قوله تعالى: ﴿ واللآتي يأتين الفاحشة من نسائكم﴾ يقول:(و في قراءة عبد الله (واللآتي يأتين با لفاحشة) والعرب تقول: أتيت أمرا عظيما، وأتيت بأمر عظيم)[4]. فهذه الحروف زائدة (ولو لم تأت في الكلام لكان صوابا وهذا دليل زيادتها ، وهذا مسلم به، ولكن السرّ البلاغي لزيادة هذه الحروف

قد أمسك الفراء عن ذكره تماما ، ولا ندري إن كان قد سها عنه أم تركه لأنه كان مشهورا عند

الناس).[5] وتمثلت نظرة الفراء لأسلوب التكرار في تغليبه الطابع النحوي في أثناء تحليله وجعله حسنا

أو قبيحا، وهو في ذلك مخالف[6] لسيبويه (ت 180 هــ) في إعادة الاسم أو إعادة الضمير.[7]

---

[1] – ينظر: المرجع السابق ، ص137.
[2] – معاني القرآن لفراء، ج1، ص223.
[3] – المصدر نفسه،ج2، ص228.
[4] – المصدر نفسه ،ج2، ص258.
[5] – أثر النحاة في البحث البلاغي،د.عبد القادر حسين، ص138.
[6] – ينظر المرجع نفسه ، ص 142.
[7] – معاني القرآن للفراء، ج2، ص234.

إذا كان الفراء قد أغفل السر البلاغي في زيادة الحروف فقد ذكره في الزيادة ونص على أنهما تفيد التوكيد في قوله تعالى : ﴿ إن هذا أخي له تسع وستعون نعجة ﴾ و في قراءة عبد الله نعجة انتى و العرب تؤكد التأنيث بأنثاه والتوكيد بمثل ذلك أي بمذكره فيكون كالفضل في الكلام فهذا من ذلك ومن قوله للرجل هذا والله رجل ذكر) والخلاصة أن الفراء لم يضف جديدا في باب الزيادة .

والتكرار عند الفراء له عدة صور كالتكرار في الحروف سواء بإعادة اللفظ والمعنى أم بإعادة المعنى فقط ، كما يجوز عنده تكرار اللفظ إذا اختلف المعنى: (فإذا قال القائل: " ماما قلت بحسن" جاز لك على غير عيب لأنه يجعل ما الأولى جحدا والثانية في مذهب الذي ولكنه يجوز تكرار اللفظ

والمعنى إذا كان بين اللفظين المكررين فاصل) ،[1] كما قد يأتي مسوقا لغرض بلاغي فيقول : أما قول

الشاعر: كم نعمة لها كم كم كم.

إنما هو تكرار حرف لو وقعت على الأول أجزاك من الثاني وهو كذلك قولك: نعم تكررها ، أو

قولك: أعجل أعجل، تشديد للمعنى وليس هذا عن البابين الأولين).[2]

[1] - المصدر السابق ج2 ، ص 239.

[2] – المصدر نفسه ، ج1، ص177.

والملاحظ أن الفراء أجاز التكرار في نعم نعم و في أعجل أعجل ، وأبطله في الذين الذين يطوفون و لم يذكر سببا وجبها نستند إليه في الفرق بين الوجهين من حيث الصحّة والفساد و لماذا هو الأول حسن و في الثاني قبيح مع أنه في كلا الموضعين نعيد التوكيد.[1]

وكان التكرار مشهورا عند أبو عبيدة (ت 210هــ) و الأصمعي (ت 213 هــ) وهما معاصران للفراء ومهما يكن فقد جاء الفراء وأبو عبيدة كلاهما يرى أنّ التكرار توكيد.أما التكرار الذي عقب عليه الفراء في سورة التكاثر في قوله تعالى : ﴿ كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ﴾ فيقول قد يكررها العرب بغرض التخويف وهذا من ذلك .

ويعرف ابن رشيق (ت 456 هــ) التكرار في اللفظ والمعني جميعا هو الخذلان يعينه كما اعتبره غيره حشوا لافائدة فيه.

وتكلّم الفراء عن أسلوب الالتفات وهو الانتقال من مخاطبة الشاهد إلى الغائب و يفسر ذلك

في قوله تعالى : ﴿ قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقائل في سبيل الله وأخرى كافرة

يرونهم مثلهيم رأي العين ﴾[2] كما قال : (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم") أي أنه يجوز

[1] - ينظر، أثر النحاة في البحث البلاغي، د.عبد القادر حسين، ص143.

[2] - سورة ال عمران ، الاية 113.

الالتفات من الخطاب إلى الغيبية فقال أولا كنتم ثم قال بهم فعبر بالخطاب ثم بالغيبة على طريق

الالتفات و في الآية الأولى ،قال أولا قد كان على سبيل الخطاب ثم قال يرونهم على سبيلا لغيبة).[1]

ويضيف الفراء قائلا في قوله تعالى:﴿وسقاهم ربهم شرابا طهورا إن هذا كان لكم جزاء ﴾[2] معناه

كان لهم جزاء فرجع من الغيبة إلى الخطاب).[3]

و لا شك أن أسلوب الالتفات بما فيه من نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب أو من ضمير

المتكلم إلى المخاطب أو الغائب أو العكس له أثر في النفس فيزيح عنها الملل وليس فقط مجرد

تبديل للأسلوب.[4]

وفي صفحات أخرى من الكتاب يسترعي اهتمام الفراء قضية أخرى من قضايا علم المعاني هي

أزمنة الفعل فهم يريدون العدول من التعبير بالماضي إلى المضارع هو استحضار الصورة وتمثلها حتى

نراها مجسدة للعين ليكون ذلك أقوى تأثيرا لشدة التصاق الصورة بالنفس بالإضافة إلى أن إليه غير

[1] – معاني القرآن الفراء، ج1، ص195
[2] - سورة الانسان ، الايتان 21 ، 22 .
[3] – المصدر السابق ، ص 134.
[4] – ينظر: أثر النحاة في البحث البلاغي،د عبد القادر حسين ص145.

يريدون تأكيد وقوع الفعل ولا سبيل إلى الشك فيه.[1]

وفي هذا الأسلوب علّة بلاغية ، فيقول في قوله تعالى : ﴿فلما ذهب عن إبراهيم الروع و جاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط ﴾ "ولم يقل جادلنا"و مثله في الكلام لا يأتي إلا بفعل ماض كقولك فلما أتاني أنيته، وقد يجوز فلما آتاني أثب عليه، فإنه قال أقبلت أثب عليه).[2]

ففي الآية عدول عن التعبير بالماضي وإبراز الفعل في صورة المضارع الحاضر المستمر المفيد في استحضار الصور وتمثلها. و في آية آخرى " ﴿إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله﴾[3] يقول الفراء: (رد يفعلون على فعلوا لأن معنا هما كالواحد في الذي وغير الذي ، ولو قيل إن

الذين كفروا وصدوا لم يكن فيها ما يسأل عنه) وهنا ينبه الفراء إلى سر بلاغي هام قصد إليه

القرآن قصدا ليبين مدى صدهم عن سبيل الله فيقول : (وإن شئت قل الصدّ منهم كالدائم

فاختير لهم بغفلوا كأنك قلت إن الذين كفروا ومن شأنهم الصد ومثله ﴿ الذين آمنوا وتطمئن

قلوبهم ﴾[4] " ومثله " ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير").

---

[1] – ينظر:المرجع السلبق، ص152.

[2] – معاني القرآن للفراء،ج2، ص23.

[3] - سورة الحج ، الاية 25.

[4] - سورة الرعد الاية 28.

وفما يخصّ العدول عن المضارع إلى المضارع، فينبه الفراء على وقوعه دون أي يزيد على ذلك في

قوله تعالى:﴿ الذي يبلغون رسالات الله ويخشونه﴾[1] و هي القرآن الذي يبلغون فيقول ولا بأس بأن

ترد فعل على يفعل[2]، أي التعبير عن المضارع بالماضي.

و في قوله تعالى.﴿ ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا﴾ أجاب (لئن) بجواب (لو) وأجاب (لو)

بجواب (لئن) فقال : ﴿ ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كان يعملون ﴾ ففي الآية

الأولى عبر في جواب إن بالماضي فكان حقه المضارع وفي الآية الثانية عبر في جواب لو بالمضارع

وكان حقه الماضي.[3]

كذلك من متعلقات الفعل في علم المعاني التي تحدث عنها الفراء في قوله تعالى: ﴿ إلا أن تخافا ألا

[1] - سورة الاحزاب ، الاية 39.

[2] – المصدر السابق ، ج2، ص221.

[3] – ينظر: أثر النحاة في البحث البلاغي، د عبد القادر حسين ص153.

يقيما حدود الله﴾[1]، فهو لم تعجبه بعض قراءات أهل المدينة " إلا أنْ يخافا" بناء الفعل للمجهول

لأن الفعل يكون قد عمل في ألف الاثنين و في المصدر المؤول من "أن" وما دخلت عليه : (ألا

يقيما).[2] ويزيد الفراء على ذلك فيقول: (وقد قرأ بعض القرآء فيما ذكر لي " ليجزي قوما" وهو في

الظاهر لحن، فإن كان أضمر في " يجزي"فعلا يقع الرفع كما تقول: أعطي توابا ليجزي ذلك الجزاء

قوما، وجه).[3]

ومن مباحث علم المعاني التي وردت في مؤلفات المفسرين نجد أسلوب الاستفهام الذي تحدث عنه

الزمخشري (ت 538ه) في تفسير قوله تعالى ﴿أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ﴾[4] فيقول (معناه لئن

يؤتى احد مثلما أوتيتم قلتم ذلك وذبرتموه لا لشيء آخر يعني إن ما بكم من الحسد والبغي إن يؤتى

1 – سورة البقرة، الآية 229.
2 - معاني القرآن للفراء، ج1، ص146-147.
3 – المصدر نفسه ، ج3، ص46.
4 - سورة ال عمران ، الاية 73.

احد مثل ما أوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم إلى إن قلتم ما قلتم والدليل عليه قراءة ابن كثير

أان يؤتى احد في زيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ بمعنى الى ان يؤتى احد)[1]وعن أسلوب

الفصل الوصل يقول الزمخشري في قوله تعالى: ﴿ويقول الذين امنوا اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهدا

ايمانهم﴾[2].(قرئ بالنصب عطفا على أن يأتي وبالرفع على انه كلام مبتدأ أي ويقول الذين أمنوا في

ذلك الوقت وقرئ يقول بغير واو وهي في مصاحف مكة والمدينة والشام كذلك ...) [3].

وخلاصة القول إن كتاب معاني القرآن للفراء تضمن مباحث يختص بها علم المعاني كما هو عليه

اليوم من كونه أحد أبرز علوم البلاغة الثلاثة، لكنها جاءت متداخلة متناثرة في كتابه.

لنا وقفة مع علم البيان وفروعه التي احتوى عليها أيضا كتاب معاني القرآن نوضحها بالأمثلة

---

[1] - الكشاف الزمخشري ، ج1 ، ص 570.
[2] - سورة المائدة ، الاية 53.
[3] - المصدر السابق ، ج2 ، ص 251.

من كتابه .

ثانيا : علم البيان:

يعد علم البيان ثاني أبرز وأهم علوم البلاغة الذي يبحث في كيفية تأدية المعنى الواحد بطرق مختلفة في دلالتها وصورها وأشكالها.

والناظر في كتاب معاني القرآن يسجل للفراء تناوله لمختلف موضوعات علم البيان كالتشبيه والمجاز والاستعارة والكناية وغير ذلك من صور البيان .

ونلمح بوضوح معالجة الفراء لمسألة المجاز، فمفهومه عنده يبتعد كثيرا عن مفهوم أبي عبيدة الذي يتحدث عن المجاز بالمعنى اللغوي وقد يتناول المجاز اللغوي أحيانا كما أنه يعبر عن كليهما باستعمال

صريح للفظتي (مجازه أو إجازته).[1]

يقول القراء في قوله تعالى: ﴿ فما ربحت تجارتهم﴾.[2](ربما قال القائل: كيف تربح التجارة ؟ وإنما يربح التاجر وذلك من كلام العرب، ربح بيعك وخسر بيعك ، فحسن القول بذلك ؛ لأن الربح والخسران إنما يكونان في التجارة فعلم معناه ومثله من كلام العرب: هذا ليل نائم ومثله من كتاب الله " فإذا عزم الأمر" وإنما العزيمة للرجال).[3] وهنا ذكر واضح للمجاز رغم عدم تسميته بهذا المصطلح.

و في موضع آخر يقول القراء: (وقوله: ﴿فقلنا اضربوه ببعضها ﴾[4]يقال إنه ضرب بالفخذ اليمنى وبعضهم يقول: ضرب بالضرب، ثم قال الله عز وجل: ﴿كذلك يحيي الله الموتى﴾[1] معناه والله

---

[1] –أثر القرآن في تطور النقد العربي محمد زغلول سلام ، ص57.

[2] – سورة البقرة، من الآية 16.

[3] – معاني القرآن للفراء،ج1 ، 14

[4] - سورة البقرة ، من الاية 73.

أعلم : اضربوه ببعضها – فيحيا كذلك يحي الله الموتى، أي اعتبروا ولا تجحدوا بالبحث وأضمر

فيحيا. كما قال: " أن أضرب بعصاك البحر فا نفلق" والمعنى والله أعلم: فضرب البحر فانفلق)[2].

لقد اختلفت نظرة الفراء للمجاز عن نظرة سبويه الذي رأي في المجاز بالحذف اتساع الكلام

وإرادة الاختصار والتحقيق، أما الفراء على العكس من ذلك وإنما رأي في المجاز نوعا من التقدير لم

يوضح سببه ويؤكد على أن المعنى لا يستقيم بدون هذا التقدير فهو يقول في قوله تعالى : إلا ما

حملت ظهورهما أو الحوايا" (معناها إلا ما حملت ظهورهما أو شحوم الحوايا فتحذف الشحوم وتكتفي

بالحوايا في قوله تعالى:" وأسأل القرية" يريد وأسأل أهل القرية)[3] فهذا مجاز بالحذف، وكذلك (قوله :

﴿ ثقلت في السماء والأرض﴾ تقل على أهل الأرض والسماء أن يعلموه).[1]

---

[1] - سورة البقرة من الاية 73.

[2] –سورة محمد، من الآية 21.

[3] – معاني القرآن للفراء: ج1، ص 363.

وعن المجاز العقلي يخصص له القراء مواضع جمة في كتابه ينهل فيه من القرآن والشعر ولغة العرب،

وقد استعان فيه بآراء سيبويه وأستاذه أبي جعفر الرؤاسي (ت 185هـ) ، ومن أمثلة المجاز

العقلي في قوله تعالى عن نوح عليه السلام:﴿ لا عا صم اليوم من أمر الله إلاّ من رّحمِ ﴾(كأنك

قلت لا معصوم اليوم من أمر الله وقوله: ﴿ من ماء دافق ﴾معناه صفوق وقوله في عيشة رّاضية

"معناها مرضية، وقول الشاعر:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ❊ واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

ومعناه: المكسو: نستدل على ذلك أنك تقول: رضيت هذه المعشية ولا تقول: رضيت، ودفق الماء

ولا تقول دفق وتقول كسا العريان ولا تقول كسا) ، كذلك (في قوله تعالى: ﴿ في يوم عاصف﴾.[2]

إن العصوف وإن كان للريح فإن اليوم يوصف به لأن الريح فيه تكون حارة فجاز أن تقول يوم اصف

---

[1] - المصدر السابق، ج1، ص369.

[2] - سورة إبراهيم، الآية 18.

ما تقول يوم بارد ويوم حار).[1]

وفي قوله تعالى: ﴿بل مكر الليل والنهار﴾[2] يقول الفراء:(المكر ليس لليل والنهار وإنما المعنى بل مكر كم بالليل والنهار وقد يجوز أن نضيف الفعل إلى الليل والنهار ويكون كالفاعلين لأن العرب تقول نهارك صائم وليلك قائم ثم تضيف الفعل إلى الليل والنهار وهو في المعنى للأدمين كما تقول نام ليلك وعزم الأمر إنما عزمه القوم فهذا ما يعرف معناه فتتسع به العرب)[3] ، وقول الفراء هذا هو نفسه كلام سيويه حين قال إن الليل والنهار لا يمكران ولكن المكر فيهما.[4] ويذكر الفراء (قوله تعالى:﴿إذ أرسلنا عليهم الرّيح العقيم﴾.[1] فجعلها عقيما إذا لم تلقح... كما قيل: ليل نائم

[1] – معاني القرآن للفراء، ج2، ص73.
[2] - سورة سبأ من الاية 33.
[3] –المصدر السابق ،ج2،ص362.
[4] – الكتاب، سيبوية، ج1، ص89

وسر كاتم).[2]

و في موضع آخر يقول الفراء في قوله تعالى:﴿إنّه كان وعده مأتيّا﴾.[3]وفي وجهه الأول يقول: لم يقل آتيا وكل ما آتاك فآنت تأتيه).[4]وقوله تعالى: ﴿ أشدّ قوّة من قريتك الّتي أخرجتك﴾[5]حيث قال الفراء (يريد التي آخرجك أهلها.. ولو كان التي أخرجوك كان وجها).[6]

ضمن السياق نفسه، تمثل الحديث عن المجاز المرسل واشاراته عند الفراء، في قوله تعالى: ﴿ يتلون ءايات الله ءاناء الليل وهم يسجدون ﴾[7].

---

[1] – سورة الذاريات، الآية 41.
[2] – معاني القرآن للفراء، ج2، ص280.
[3] – سورة مريم ، الآية61.
[4] – معاني القرآن للفراء، ج2، ص17.
[5] – سورة محمد الآية ، ص17.
[6] –معاني القرآن للفراء ، ج3، ص59.
[7] – سورة آل عمران،الآية 113.

المجاز هنا في قوله تعالى: " يسجدون" (فالسجود في هذا الموضع اسم للصلاة لا للسجود لأن التلاوة لا تكون في السجود ولا في الركوع).[1]

ولا بد أن ننوه بملاحظة هامة كون الفراء ذكر قرينة التجوز المانعة من إرادة المعنى الوضعي للسجود وهي أن التلاوة لا تكون في موضع السجود ولا في الركوع ، ولكنه لم يشر إلى ما نعرفه اليوم في المجاز المرسل بالعلاقة الجزئية لأن السجود جزء من الصلاة المؤادة بالمعنى المجازي.[2]

ومن أمثلة المجاز أيضا ، قوله تعالى : ﴿لكم فيها دفء﴾[3] (الدفء ما يليسبون منها ويبتنون من أوبارها)[4] ، وهنا مجاز مرسل علاقته اعتبار ما سيكون، فالأوبار يستفيد منها الناس بعد انفصالها عن

---

[1] – –معاني القرآن الفراء، ج1، ص231.
[2] – ينظر: البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع هجري د رابح دوب، ص93
[3] – سورة النحل، الآية5.
[4] – معاني القرآن الفراء، ج2، ص96.

الأنعام.و في قوله تعالى : ﴿ وقرءان الفجر ﴾[1] المجاز واقع هنا ومعناه صلاة الفجر تشهدها الملائكة

الليل وملائكة النهار.[2] فهذا كله من المجاز المرسل وعلاقته سميت الكل باسم الجزء و في قوله تعالى:

﴿وجعلنا لهم لسان صدق عليا ﴾[3] معناه ثناء حسن في كل الأديان، فهنا مجاز مرسل علاقته الآلية

لأن الثناء يكون باللسان.

ويضيف في قوله تعالى: ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السّموات

والأرض وعشيا وحين تظهرون ﴾[4] قال الفراء (فصلوا لله حين تمشون: وهي المغرب والعشاء وحين

تصبحون صلاة الفجر واعشيا، صلاة العشاء وحين تظهرون صلاة الظهر).[5]

ومن المسائل البلاغية التي تناولها الفراء في معاني القرآن التشبيه ونؤكد مرة أخرى في هذا المقام

---

[1] -سورة الإسراء، الآية78

[2] - ينظر المصدر السابق ، ج2، ص129.

[3] - سورة مريم، ص50.

[4] - سورة الروم ، الايانان 16 ، 18.

[5] - معاني القرآن للفراء، ج2، ص323.

على أن القراء فهم التشبيه كما فهمه أبو عبيدة وسبويه من قبل، ومن أمثلة التشبيه قوله تعالى: ﴿ موجٌ كالظلل ﴾ حيث قال:(فشبهه بالظلل واكتفى بذلك)[1] أو في قوله عز وجل: ﴿فأنزلنا به الماء فأحزجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى﴾ كما أخرجنا الثمار من الأرض المبتة).[2]

وفي بعض الأحيان يخلط الفراء بين المشبه والمشبه به فيذكر أحدهما في موضع الآخر فمن قوله تعالى: ﴿ أو كصيّب من السّماء فيه طلمات ورعد وبرقٌ ﴾ [3]يقول: (فشبه الظلمات بكفرهم والبرق إذ أضاء لهم فمشوا فيه بإيما نهم)[4] ،وكان من المفروض عكس التشبيه.

وعند تفسيره لقوله تعالى:﴿ فإذا انشقت السّماء فكانت وردة كالدّهان ﴾ [1] فقال: (أراد بالوردة

1 – المصدر السابق ، ج2، ص330.

2 – المصدر نفسه ، ج1، ص382.

3 - سورة البقرة، الآية .

4 –معاني القرآن الفراء، ج1، ص17.

الغرس والوردة تكون في الربيع إلى الصفرة أميل فإذا اشتد البرد كانت وردة حمراء فإذا كان بعد ذلك

كانت وردة إلى الغبرة أميل فشبه تلون السماء بتلون الوردة وشهت الوردة في اختلاف

ألوانها بالدهن واختلاف أنواعه).[2]

و في مواضع أخرى يذكر الفراء طرفي التشبيه ووجه الشبه كما في قوله تعالى: ﴿طلعها كأنه رؤوس

الشياطين﴾[3] يقول (إن فيه ثلاث أوجه: أحدهما أن شبه طلعها في قبحه برؤوس الشياطين

لأنها موصوفة بالقبح وإن كانت لا ترى)[4] ، فلم يقتصر هنا على طرفي الشبه وإنما ذكر وجه

الشبة وهو القبح.

---

1 – سورة الرحمن، الآية، 37.

2 - معاني القرأن الفراء ج 1 ، ص 383.

3 - سورة الصافات ، الاية 65.

4 – معاني القرآن الفراء، ج2، ص387.

من جهة أخرى يرى الفراء أنه لا يشترط في التشبه التناسق بين الطرفين من حيث العدد أو الكمية إذ كان المقصود هو الفعل وليس أعيان الرجال [1] ففي قوله تعالى: ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارا﴾يقول (فإنما ضرب المثل — و الله أعلم – للفعل لا لأعيان الرجال وإنما هو مثل للنفاق فقال مثلهم كمثل الذي استوقد نارا و لم يقل:الذين استوقدوا ولو كان التشبيه للرجال لكان مجموعا كما قال" كأنهم خشب مسندة" ، أراد القيم – القامات – والأجسام وقال :" كأنهم أعجاز نخل خاوية" فكان مجموعا إذا أراد تشبيه أعيان الرجال، فأجر الكلام على هذا وإن جاءك التشبيه للواحد مجموعا في شعر فهو أيضا يراد به الفعل فأجره، كقولك ما فعلك إلا كفعل الحمير و ما أفعالكم إلا كفعل الذئب فابن على هذا ثم تلقى الفعل فنقول ما فعلك إلا كالحمير وكالذئب).[2]

[1] – ينظر أثر النحاة في البحث البلاغي د عبد القادر حسين، ص156.
[2] – معاني القرآن للفراء، ج1، ص15.

أما في قوله عز من قائل: ﴿ ولما سكت عن موسى الغضب﴾ يذكر الفراء أساس هذا التشبيه و

هو ذكر القرينة الصارفة عن مذى السكوت إلى معنى السكون يقول (والغضب لا يسكت وإنما

يسكن صاحبه وإنما معناه سكن)[1] و في كلام الفراء إشارة إلى أن العرب تلجأ إلى منح صفات

الإنسان إلى غير الإنسان سواء كان حيوانا آم جمادا أم معنى من المعاني في السياق نفسه

يضيف الفراء في قوله تعالى : ﴿ يريد أن ينقض ﴾ (يقال كيف يريد الجدار أن ينقض ؟ ذلك

من كلام العرب أن يقولوا: الجدار يريد أن يسقط وقال الشاعر:

شكا إلى جملي طول السرُّى ❊ صبرا جميلا فكلانا مبتلى

والجمل لم يشك إنما تكلم له على أنه لو نطق لقال ذلك....)[2]

---

[1] – المصدرالسابق ، ج2، ص156.

[2] -المصدر نفسه ، ج2، ص 156.

يستوقفنا في كتاب معاني القرآن ما سمي فما بعد الاستعارة وهي من أبرز أقسام المجاز بنوعيها التصريحية والمكنية، ويشهد للفراء بالريادة في إبراز هذا الأسلوب وتحديد معالمه لأن السابقين لم يعرفوا الاستعارة في الفعل أو في الاسم إلا ما يكون شرحا لكلمة ووضع تفسيرها كما فعل أبو عبيدة .

فالفراء يعد أول من فهم أسلوب الاستعارة وما فيها من شبه وما يرتبط به من قرينة وغير ذلك.[1] ومن أمثلة الاستعارة في كتب معاني القرآن قوله تعالى : ﴿ ولا تتبعوا خطوات الشيطان[2] (وهنا استعارة تصريحية حيث شبه فيه معقول بمحسوس والعلاقة ما يترتب على كل من التنقل والإتباع والقرينة استحالة أن يكون للشيطان خطوات حسية مدركة للمخاطبين.

ويفسر الأم في قوله تعالى:﴿هنّ أمّ الكتاب﴾[1] بالأصل حيث قال: هن الأصل.

[1] – ينظر: أثر النحاة في البحث البلاغي د عبد القادر حسين، ص158.
[2] – سورة البقرة، الآية 208.

و في قوله تعالى: ﴿ فأثابكم غمّا بغمّ﴾[2] (الإثابة هنا في معنى عقاب ولكنه ما قال الفرزدق :

أخاف زيادا أن لكوت عطاؤه ❋ أداهتهم سودا أو مدحرجة سمرا

وقد يقول الرجل: الذي اجترم إليك لئن أتيتنى لأثيبنك ثوابك معناه : لأعاقبنك وربما أنكره من لا

يعرف مذاهب العربية وقد قال الله يتارك وتعالى:" فبشبرهم بعذاب أليم "[3] والبشارة لا تكون إلا

في الخير فقد قيل ذلك في الشر).[4]

والملاحظ أن في الآتيين وبيت الشعر استعارة تصريحية تهكمية.

وفي قوله تعالى:﴿ أو من كان ميتا فأحييناه، وجعلنا له نورا يمشي به في الناس﴾.[5]

---

1 – سورة آل عمران، الآية 7.

2 – سورة آل عمران، الآية 153.

3 –سورة آل عمران، الآية 21.

4 – معاني القرآن للفراء، ج1، الآية 229.

5 – سورة التوبة، الآية 122.

قال: (أي ضالا فهديناه) ويفسر النور (الإيمان).[1]

ففي الآية ثلاثة استعارات الأولى استعير فيها الموت للضلال ثم اشتق من الموت بمعنى الضلال ميتا لمعنى ضالا أما العلاقة فيها هي ما يترتب من أضرار ومفاسد، لأن سنة الله جرت على أن من مات موتا حقيقيا فلا حياة له قبل البعث.

والاستعارة الثانية، استعيرت فيها الحياة للهداية ثم اشتق من الحياة بمعنى الهداية أحييناه بمعنى هديناه، والعلاقة هي ما يترتب من منافع وكلا الاستعارتين تصرحيتين. أما الثالثة فتصريحية أصلية شبه فيها الإيمان بالنور بجامع ما يترتب على كل من النفع والاهتداء.[2]

---

[1] – معاني القرآن للفراء، ج1، ص353.

[2] –ينظر: أسرار البلاغة،عبد القاهر الجرجاني صححه وعلق عليه السيد محمد رشيد رضا ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1 1409 ه 1987 م، ص54.

وفي مثال آخر قوله تعالى : ﴿ ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلا ﴾[1]

قال الفراء:(لم يُرد به عمى العين، إنما أردا به — والله أعلم - عمى القلب ، فيقال فلان أعمى من فلان في القلب ولا تقل هو أعمى منه في العين)[2].

ويضيف مفسرا قوله تعالى:﴿ونحشره يوم القيامة أعمى﴾[3]، قال: "أعمى عن الحجة"[4].

و في الآية الكريمة: ﴿ وما يستوى الأعمى والبصير و لا الظلمات و لا النّور و لا الظلّ و لا الحرور و ما يستوي الأحياء و لا الأموات﴾[5]., قال الفراء:(الأعمى هاهنا الكافر و البصير المؤمن والظلمات الكفر والنور الإيمان والأحياء المؤمنون والأموات الكفار).[6]

و في قوله تعالى: ﴿من جبال فيها من برد ﴾[1]. يقول الفراء : (وقد يكون في العربية أمثال الجبال

[1] - سورة الاسراء ، الاية 72 .
[2] – معاني القرآن للفراء، ج2، ص127.
[3] – سورة طه، الآية125.
[4] – معاني القرآن للفراء، ج2، ص194.
[5] – سورة فاطر، الآية 20،21
[6] – معاني القرآن للفراء، ج2، ص369.

ومقاديرها).[2]

و في قوله تعالى:﴿يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون﴾.[3]

يقول: (إنها الساعة والقيامة لشدتها)[4]. و لم يراه لانفراد بالتفسير بل وهذا تفسير نقله الفراء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ، والمعنى أن الساعة لاساق لها، فيها تجاوز في العبارة وتفسيره لقوله تعالى: ﴿إذا أُلقوا فيها سمعوا لها تغيظا وزفيرا﴾ فيقول: (كتغيظ الآدمي إذا غضب فغلى صدره و ظهر في كلامه)[5].أي أنه شبه تآجج لهيب النار وإطلاق زفراتها من جوفها بالآدمي أو الإنسان إذا غضب فغلى صدره فألقى الكلام بدون وعي منه لما فيه من طيش.

---

[1] - سورة النور، الآية 43.
[2] - معاني القرأن للفراء ،ج1،ص382.
[3] - سورة القلم، الآية92
[4] - معاني القرآن للفراء ،ج3، ص177.
[5] - المصدرالسابق ، ج2، ص263.

ويواصل الفراء مفسرا قوله تعالى : ﴿ منها قائم وحصيد فالحصيد ﴾[1] كالزرع المحصود

ويقال حصدهم بالسيف كما يحصد الزرع ، وقوله ﴿ إذ تصعدون ولا تلوون﴾ جعل المقصود في

الجبل كالصعود في السلم.[2]

والواضح أن مفهوم الفراء للاستعارة يتركز على التشبه وأن يحذف أحد طرفي هذا التشبيه، كما

أنه يبيّن في كثير من المواضع أسباب عدول الكلمة عن أصل وضعها بذكر القرينة من سياق الكلام.

نسعى هنا إلى معالجة ظاهرة بلاغية وردت في كتاب معاني القرآن وهي الكناية التي تخللت

صفحات كتابه .

كما هو معلوم أن الكناية ضرورة تعبيرية للتعبير عما لا يراد إظهاره للناس ومن أمثلة الكناية قوله

[1] - سورة هود ، الاية 100.
[2] – المصدر السابق ، ج2، ص91

تعالى:﴿شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم﴾[1].

158

فقال الفراء (الجلد هنا – والله أعلم- الذكر، وهو ممّا كنى أبه الله عز و جل كما قال: ﴿أو جاء

أحد منكم من الغائط﴾[2]، والغائط الصحراء والمراد من ذلك أو قضى أحدكم حاجة).

وقد ردّ الفراء بعض القراءات بتخطئة أصحابها كما فعل مع الآية الكريمة ﴿ واتقوا الله الذي

تساءلون به لون به والأرحام ﴾[3]. حيث ردّ قراءة حمزة بخفض الإرحام قائلا بالنصب ودافع عن رأيه

يقوله:(إنه يريد واتقوا الله.. والتقوا الأرحام أن تقطعوها لأن العرب لا تردُّ مخفوضا على محفوض وقد

كنى عنه وإنما يجوز ذلك في الشعر لضيقه)[4].

[1] – سورة فصلت، الآية20

[2] - سورة النساء الاية 43

[3] –سورة النساء، الآية114.

[4] – معاني القرآن للفراء، ج1،ص252.

وفي كناية الحروف يفسر الفراء قوله تعالى: ﴿ فأتوا بسورة من مثله ﴾[1] يقول (الهاء كناية

عن القرآن (فأتوا سورة من مثل القرآن) وقوله (وهو محرّم عليكم" إن شئت جعلت هو كناية عن

الإخراج – أي يريد إخراجهم محرم عليكم – وقوله " لا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله

هو خيرا لهم" فهو كناية عن البخل).[2]

ويتحدث الفراء أيضا عن الكناية في الضمير المستتر كما في قوله عز و جل: ﴿ فإن تابو وأقاموا

الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين﴾[3] (أي فهم إخوانكم في الدين يرتفع مثل هذا الكلام بأن

يضمر له اسما مكنيا عنه)[4].

و في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ولا تُوا عدو هنّ سرّا﴾ يروي الفراء عن ابن عباس أنه قال: (السرّ

[1] - سورة البقرة من الاية 23.

[2] – المصدر السابق، ج1، ص 319، 104.

[3] - سورة التوبة الاية 11.

[4] – المصدر السابق ، ج1، ص425.

في هذا الموضع النكاح وانشد لا مرئ القيس:

ألا زعمت بسباسة اليوم أنني ✵ كبرت وآلا يشهد السرّ أمثالي[1]

ويقول في قوله تعالى:" وإذا مرّوا باللغو مرّوا كراما" (ذكر أنهم كانوا إذا أجروا ذكر النساء كفوا عن قبيح الكلام فيهن فذلك مرورهم به). [2]

ويتضح مما سبق أن الفراء كان يعرف الكناية بمعناها الاصطلاحي المعهود.

أما عن أسلوب التعريض عند الفراء – فهو يقول في قوله تعالى: ﴿إنّا أو إياكم لعلى هدى﴾[3]

(والمعنى في قوله وإنا أو إياكم، إن لضالون أو مهتدون وإنكم أيضا لضالون أو مهتدون وهو يعمل أن رسوله المهتدى وأن غيره الضال، فأنت تقول في الكلام للوجل إن أحدنا لكاذب فكذبته

[1] - ديوان امرئ القيس ، دار صادر بيروت لبنان ط 3 2007 م
[2] - معاني القرأن الفراء ج1 ،ص 153 . 274. 303 .
[3] - سورة سبأ ، الاية 24.

تكذيبا غير مكشوف وهو في كلام العرب كثير: أن يوجه الكلام إلى أحسن مذاهبه إذا عرف

كقولك والله لقد قدم فلان وهو كاذب، فيقول العالم، قل إن شاء الله أو قال فيما أظن فيكذبه

بأحسن من تصريح التكذيب).[1]

ويبدوا أن التعريض في نظر الفراء نوع من الخفاء وتغطية الكلام وهو أسلوب أحسن من أسلوب

التصريح المباشر.

يمكننا القول إن الفراء تناول مباحث بلاغية عديدة تمسّ علم البيان وهو بذلك استطاع أن يترك

بصماته في تاريخ البلاغة.

[1] - المصدر السابق ، ج2 ،ص 362 .

علم البديع:

تدور محاور هذا العلم العريق المنشأ حول فلسفة الزخرفة وجمال الأساليب شكلا ومضمونا وأقسامه من الحبسنات المعنوية كالطباق والتورية وحسن التعليل والمحسنات الفظية متمثلة في الجمال الصوتي والنغم الموسقي للألفاظ.

ومن ألوان البديع الواردة في كتاب معاني القرآن للفراء المشاكلة فقد ألم الفرّاء بهذا الموضوع من كل جوانبه إلماما ناضجا لم يترك مجالا للمتأخرين لإضافة شيء.[1]

وذكرها بنوعيها المعروفين: التحقيقية والتقديرية فمفهوم المشاكلة هو (ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا أو تقديرا)[2].

---

[1] – ينظر: أثر النحاة في البحث البلاغي د عبد القادر حسين ، ص 165.

[2] – المرجع نفسه، ص 165.

وتارة يسمى هذا التوافق الصوتي – استقامة في القراءة – فيقول " وقوله عز وجل ﴿والله أَعْلَم بما يُوعون﴾[1] (الإيعاء ما يجمعون في صدورهم من التّكذيب والإثم والوعي لو قيل" والله أعْلَمُ بما يَعُون " لكان صوابا، ولكنه لا يستقيم في القراءة").

أي لا يستقيم مع ما قبله من الآيات ﴿فما لهم لا يُؤمنون، وإذا قُرِى عليهم القرآن لايسجُدون ، بل الذين كفروا يكذّبون، والله أعلم بما يُعُون﴾[2]. ولعلّ الفراء يقصد إلى أن لفظ يعون لا يستيقم مع رؤوس الآيات الأخرى لأنه مفتوح الأول دون غيرها المضمون الأول، يؤمنون، يكذبون، يُعون، ثم لعله يشير إلى الوزن الموسيقي للكلمة فهو في "يعون").[3]

وهكذا تبيّن مما سبق أن الفراء صاحب إحساس مرهف وأذن موسقية تتجاوز مع الألحان مما يدلّ

[1] - سورة الانشقاق الاية 23.
[2] - السورة نفسها الايتان 20 ، 23.
[3] – معاني القرآن للفراء، ج1، ص246.

على اهتمامه البالغ بها.فالفراء يلحظ توافق المعنى بين لفظتي (التأخرة والنخرة) فهي تتفق بذلك مع

فواصل الآيات السّابقة واللاحقة فيحدث عن هذا التوافق في الكلمات انسجاما في الوزن، وترابط

في السّياق.

و في قوله تعالى: " واللّيل إذا يسر " يقول (وقد قرأ الفراء " يسري" بإثبات الياء و يسير بحذفها

وحذفها أحبّ لمشاكلتها لرؤوس الآيات ففضّل قراءة على قراءة عند الفرّاء أنّ القراءة الفضلى يراعى

فيها هذا النسق الصوتي، والإنسجام في اللّحن، فإذا عُريت القراءة من هذا التوافق، فقد عُربت من

التأشير النفسي والوقع الحسن، ولذلك فهو يضعها في مرتبة دون المرتبة الأولى).[1]

ويقول أيضا في قوله تعالى:﴿ ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى ﴾[2]

[1] – أثر النحاة في البحث البلاغي، د عبد القادر حسين ص 167.

[2] – سورة الضحى،الآيات 6،7،8.

(فإن قوله عز و جل:" فأغنى) و "فآوى" يراد به فأغنى وفآواك جرى على صراح الكاف لمشاكلة رؤوس الآيات)[1] ولآن المعنى معروف.

و في موضع آخر يجيز الفراء إضافة المصدر إلى صاحبه مثل قوله تعالى: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾[2] قال الفراء (فأضيف المصدر إلى صاحبه وأنت قائل في الكلام لأعطينك عطيتك وأنت تريد عطيته و كان قربه من الجواز موافقة رؤوس الآيات التي جاءت بعدها).[3]

ويقول أيضا في قوله تعالى: ﴿ انها ترمي بشرر كالقصر ﴾ [4] (كالقصر يريد القصر من قصور العرب وتوحيده وجمعه عربياه، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدّبر﴾[5] معناه الأدبار

---

[1] – معاني القرآن للفراء، ج$_1$، ص 139.

[2] – سورة الزلزلة الاية .

[3] – معاني القرأن للفراء، ج$_1$، ص 245.

[4] - سورة المرسلات ، الاية 32.

[5] - سورة القمر ، الاية 45.

وكأنّ القرآن نزل على تقل في اقتربت لأن آياتها متقلة ، قال " فحاسبناها حسابا شديدا

﴿ والشمس والقمر بحُسبان﴾[1] وقال ﴿جزاءٌ من ربّك عطاء حسابا﴾[2].

تكتفي بهذا منه إن شاء ثم يقول: (ويقال كالقصر كأصول النخل ولست أشتهي ذلك لأن رؤوس

الآيات مع آيات محققه).[3]

ففطن لها رجل من الأنصار، فقال لهم: والله لا يتكلم بها رجل إلاّ ضربت عنقه، فانزل الله ﴿لا

تقولوا راعنا﴾[4] ينهى المسلمين عنها، إذا كانت سبّا عن اليهود)[5]، فمعنى التوجيه هنا الذم الذي أراده

اليهود بشتم الرسول (رسول صلى الله عليه و سلّم) والسخرية منه والنيل من دين الإسلام الحنيف أما

المدح فهو رغبة المسلمين حين أرادوا من الرسول الكريم (صلى الله عليه و سلّم) أن يرعاهم ويهتم بهم

[1] - سورة الرحمن ، الاية 5.
[2] - سورة النبأ ، الاية 36.
[3] – المصدر نفسه، ج1 ، ص246.
[4] - سورة البقرة من الاية 104 .
[5] – المصدر نفسه ، ج1، ص 69،70.

وبأمورهم، وهذا المعنى وضحه الفراء في تفسيره.

يتناول الفراء للفواصل القرآنية والمقصود بها ذلك التوافق والتناغم الجميلين الحاصل بين الكلمة وأختها وذلك الانسجام المتفق بين رؤوس الآيات في كثير من آيات القرآن الكريم و خاصة السور القصيرة التي يغلب عليها هذا الجرس الموسيقي البديع حتى إننا نجد من المستشرقين من أقرّ (بأن قصار السور المكيّة تمتاز بطابع شعري خاصّ يميزها عن غيرها من طوال السور).[1]

و كتاب معاني القرآن يتوفرّ على عدّة مواضع وأمثلة لتفسير هذه الفواصل القرآنية مثل قوله تعالى ﴿ولمن خاف مقام ربّه جنّتان﴾[2] يقول: (إنّ الشعر له قواف يقيمها الوزن والزيادة والنقصان فيحتمل ما لا يحتمله الكلام)[1]، و في قوله تعالى: ﴿ فإذا كنا عظاما نخرة ﴾ ، وموضعها من الآيات التي قبلها

---

[1] – المختصر في تاريخ البلاغة د عبد القادر حسين ، ص 63.
[2] - سورة

وهي ﴿ قلوب يومئذ واجفة أبصارها خاشعة يقولون أئنا لمردودون في الحافرة ﴾ والآيات التي تليها

وفي قوله تعالى ﴿ قالوا تلك إذا كرّة خاسرة فإنما هي زجرة واحدة.فإذا هم بالساهرة ﴾[2] * قد لا

حظ أن ما قبلها و ما بعدها من آيات بها (ألف) أما (نخرة) فقد جاءت ألف ولذلك فهو يقول:

(حدثني مندل عن مجاهد عن ابن عباس أنه قراء ناخرة وقرأ أهل المدينة نخرة وناخرة أجود الوجهين في

القراءة لأن الآيات بالألف ألا ترى أن ناخرة والحافرة والساهرة أشبه بمجيء التنزيل والناخرة والنخرة

سواء في المعنى بين الناخرة والنخرة سواء في المعنى بمنزلة الطابع والطمع، والباخل والبخل).[3]

﴿ فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾[4] يقول: (فإن قال قائل: أرأيت قوله (فلا عدوان إلا

---

[1] – معاني القرآن الفراء، ج1، ص 70.
[2] - سورة النازعات ، الاية

[3] – أثر القرآن في تطور النقد محمد زغلول سلام ، ص 63.
[4] - سورة البقرة ، الاية 193.

على الظالمين) أعدوان هو وقد أباحه الله لهم قلنا: ليس بعد وإن في المعنى، إنما هو لفظ على مثل ما سبق قوله، يعني بذلك قوله تعالى ﴿ إن الله لا يحب المعتدين ﴾ ألا ترى أنه قال : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾[1] فالعدوان من المشركين في اللفظ ظلم في المعنى والعدوان الذي أمر الله به المسلمين إنما هو قصاص، فلا يكون القصاص ظلما وإن كان لفظة واحدا ، و مثله وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾.[2]

وليس من الله على مثل معناها من المسيء لأنها جزاء ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ ومكروا ومكر الله﴾ [3] والمكر من الله استدراج لا على مكر المخلوقين).[4]

و في هذا التفسير مشاكلة واضحة، مشاكلة اللفظ لما قبله مع اختلاف المعنى فالاعتداء على

---

[1] . سورة البقرة الاية 194.

[2] – معاني القرآن الفراء ، ج1، ص 116،117

[3] - سورة ال عمران من الاية 54.

[4] – المصدر السابق، ج1، ص 41.

الظالمين ليس عدوانا وإنما هو قصاص والسيئة من الله ليست إساءة إنما هي مجاراة والمكر ليس خبثا

وإنما هو نوع من الاستدراج وكلها ألفاظ جيء بها على خلاف معناها حتى يتشاكل ما قبلها

وتأخذ سمته.

من جهة أخرى يفسر الفراء معنى المشاكلة التقديرية في قوله تعالى: ﴿ صبغة الله ومن أحسن من

الله صبغة﴾ [1](فصبغة الله هنا معناها الختانة عند المسلمين وقد أمر محمدا صلى الله عليه وسلم

بذلك باختتان سيدنا ابراهيم عليه السلام وهي في مقابل صبغة النصاري أولادهم حيث كانوا

يغمسوهم في الماء تطهيرا لهم فلفظة الصبغة لم تتقدم في الحقيقة وإنما تقدم معناه فقط و هو الحالة

المعهودة في النصارى عند الولادة فكأن اللفظ وإن لم يتقدم تحقيقا فقد تقدم تقديرا).[1]

[1] - سورة البقرة ، الاية 138.

يتناول الفراء لونا بديعا آخر هو ما يعرف بالتوجيه والمقصود به ، ابراد الكلام محتملا لوجهين

مختلفين فيكون أحد المعنيين مدحا والآخر ذما.[2]

ويدلي الفراء بشرحه في قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا ﴾[3] يقول :

راعنا من الإرعاء والمراعاة – مبالغة في الرعي أي حفظ المرء غيره وتدبير أموره – وذلك أنها كلمة

باليهودية شتم، فلما سمعت اليهود أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يقولون يا بني الله راعنا – أي

احفظنا – اغتنموها فقالوا : قد كنا نشبه في أنفسنا فنحن الآن قد أمنا أن نظهر له السب فجعلوا

يقولون (رسول الله صلى الله عليه وسلم) راعنا ويضحك بعضهم إلى بعض .

---

[1] – المصدر السابق، ج1، 83–82.

[2] – ينظر أثر النحاة في البحث البلاغي د عبد القادر حسين ، ص 164.

[3] - سورة البقرة من الاية 104.

الفصل الثالث

آليات التوجيه البلاغي في كتاب

معاني القرآن للفراء

أولا: مراعاة مقام الآية المفسرة

ثانيا: مراعاة المستويات اللغوية للآية المفسرة

ثالثا: مراعاة الجانب الثقافي و المعرفي العام للآية القرآنية

رابعا: علاقة بعض المفردات اللغوية بالدرس البلاغي فيما بعد

نسعى في هذا الجزء من ابحث إلى عرض أهم الآليات ستخدمها الإمام الفراء في توجيهه الآيات

القرآنية توجيها بلاغيا، هذه الآليات التي راعى فيها المستويات التالية:

أولا: مراعاة مقام الآية القرآنية- ثانيا: مراعاة المستويات اللغوية للآية المفسرة، ثالثا: الجانب الثقافي

و المعرفي العام للآية القرآنية - رابعا : علاقة بعض المفردات اللغوية بالدرس البلاغي فيما بعد

و تعد هذه المستويات من الأسس التي يقوم عليها علم البلاغة.

أولا : مراعاة مقام الآية القرآنية:

إن فكرة المقام أو كما يسميه البلاغيون مطابقة الكلام لمقتضى الحال تتمحور حول وضع

الكلمة المناسبة في المكان اللائق بها دون زيادة أو تقصان فمراعاة المقام يقتضي مخاطبة المتلقي

حسب حالته إذ تختلف لغة الخاصة من الناس كالأمراء و الملوك ، عن لغة العامة و البسطاء من

الناس يقول ابو يعقوب السكاكي (ت 626 ه) : (اعلم أن علم المعاني هو تتبع خواص

تراكيب الكلام في الإفادة و ما ننصل بها من الاستحسان وغيره يحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في

تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره).[1]

وبتعبير آخر المقام هو مجموعة العناصر التي تتوفر في موقف تخاطبي معين، وأهمها، زمان التخاطب

ومكانه وعلاقة المتكلم بالمخاطب والوضع التخابري القائم بينهما أو مجموعة المعارف التي

تشكل مخزون كل منهما أثناء العملية التخاطبية.

لقد تنبه البلاغيون القدماء إلى أهمية العناصر المقامية بالنظر إلى المقال وتحديد خصائصه ومثال ذلك

ما أشار إليه السكاكي في كتابه مفتاح العلوم، حينما ميز بين أضرب الخبر أي بين الخبر الابتدائي

[1]- مفتاح العلوم أبو يعقوب السكاكي ، ص70.

والخبر الطلبي والخبر الإنكاري على اختلاف المقام و الوضع التخابري على الخصوص حيث يلقي الأول لخالي الذهن والثاني للمتردد والثالث للمنكر .[1]

أما المقال فهو الخطاب المنطوق أو المكتوب الذي بنتيجة المتكلم في زمان ومكان معينين تجاه مخاطب معين بالنظر إلى وضع تخابري معين.

تعتبر اللغة ظاهرة اجتماعية شديدة الارتباط بثقافة الشعب الذي يتكلمها وأن هذه الثقافة في جملتها يمكن تحليلها بواسطة حصر أنواع المواقف الاجتماعية المختلف التي يسمون كلا منها "مقاما " يقول الإمام السكاكي مفصلا في مقامات الكلام: (إن مقامات الكلام متفاوتة فمقام الشكر يباين مقام الشكاية ومقام التهنئة يباين مقام التعزية ومقام المدح يباين مقام الذم.. فكل كلمة مع صاحبتها مقام).[1]

[1] - ينظر المرجع السابق، ص 71 .

فصورة المقال Speech event باللغة اللاتينية تختلف في نظر البلاغيين بحسب المقام context of situation وما إذا كان يتطلب هذه الكلمة أو تلك وهذا الأسلوب أو ذلك من الأساليب الحقيقية أو المجاز أو الإخبار أو الاستفهام .

وقد أقر البلاغيون بفكرة المقام والمقال واعتبروهما بندين أساسين متميزين من بنود تحليل المعنى.[2]

من هنا فالمقام شديد الصلة بعلم المعاني، إذ تعمل مباحثه المختلفة على بيان وجوب مطابقة الكلام لحال السامعين والمواطن التي يقال فيها ولا يكون القول بليغا حتى يلائم المقام الذي قيل فيه و يراعي فيه حالات السامع المتعددة من نفسية وعقلية وشكلية واجتماعية فيختار له اللفظ المناسب للمعنى الملائم.

[1]- المرجع نفسه ، ص73.
[2]- ينظر: العربية معناها ومبناها تمام حسان دار الثقافة الدار البيضاء المغرب ط1 دت، ص337.

تتجسد مقولة المقام والمقال بكل تفاصيلها وحيثياتها بل بكل عجائبها وروعتها في الكلام القرآن

الكريم الذي له خصوصيات عجيبة في استعمال الألفاظ استعمالا فنيا دقيقا في غاية الروعة و الجمال

كأن يختار لفظة على لفظة أو يقدم إحداها على الأخرى أو يزيد في موضع ويحذف في موضع آخر

كما سأبين ذلك في موضعه.

فمثلا لفظة المطر (فإنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع "الانتقام".[1] بخلاف كلمة "الغيث"

التي يذكرها القرآن في موطن الخير، قال تعالى: ﴿وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين﴾ [2] ، وقوله

تعالى: ﴿ ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء﴾ [3]، في حين قال تعالى: ﴿ وهو الذي

ينزل الغيث من بعدما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد ﴾ [4] ، وقوله تعالى : ﴿ ثم يأتي من بعد

ذلك عام فيه يغاث الناس و فيه يعصرون ﴾[1].

[1]- البرهان في علوم القران بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ،دار احياء الكتب العربية ، ط1 ،د ت ،ج4، ص 109.
[2] - سورة الشعراء ، الاية 73.
[3] - سورة الفرقان ، الاية 40 .
[4] - سورة الشورى ، الاية 28 .

وفي قوله تعالى : ﴿ ولكم في القصاص حياة ياأولي الاباب لعلكم تتقون ﴾ [2]فمقام هذه الآية

الكريمة هو فشو الظلم والتعدي على الحرمات بإراقة الدماء[3].فلما حصل هذا في المجتمع نزلت الآية

الكريمة لتقضي على هذا الظلم والتعدي والفساد لتقيم الحياة في الناس و لقصد شريف يوصل

الإنسان لنيل تقوى الله تعالى.

يعد المقام من مستلزمات الدرس البلاغي وقوامه الأساسي والذي اعتنى به العلماء القدماء ، من أمثلة ذلك ما جاء به الفراء في كتابه معاني القرآن، فهو يتحدث عن أسلوب الحذف، فقد يحذف في

التعبير القرآني لفظ أو أكثر حسبما يقتضيه السياق وقد يخذف الحرف أيضا أو يذكر أو

يجتزئ بالحركة للدلالة على المحذوف كل ذلك من أجل غرض بلاغي تظهر فيه غاية الروعة والجمال

[1] - سورة يوسف ، الاية 49 .
[2] - سورة
[3]-- ينظر الاعجاز البياني في القران الكريم ، دراسة نظرية تطبيقية في الايات المحكمات ، د عمار ساسي ، عالم الكتب الحديث ، عمان ، الاردن ، ط1 ، 2007 م ، ص 88 .

والفن.

هناك أسباب عديدة تدعو إلى الذكر والحذف وكلها ترجع إلى مراعاة المقام وحسن اختيار اللفظ

في الموقع المناسب لها والذي ينادي عليها .

من بديع أمثلة الذكر والحذف ما ورد عن الفراء في كتابه، حذف الآلف من بسم الله الرحمن

الرحيم وفي فواتح الكتب وإثباتهم الألف في قوله تعالى ﴿ سبح باسم ربك العظيم ﴾ يقول الفراء

(إنما حذفوها من بسم الله الرحيم أول السور والكتب بسبب وقوعها في موضع معروف لدى

القارئ لا يحتاج إلى قراءته فاستخف طرحها لأن من شأن العرب الإيجاز وتقليل الكثير إذا عرف

معناه، أما ثبوتها في قوله سبح باسم ربك (العظيم) يقول: (لأنها لا تلزم هذا الاسم ولا تكثر معه

ككثرتها مع الله تبارك وتعالى. ألا ترى أنك تقول "بسم الله" عند ابتداء كل فعل تأخذ فيه من

مأكل أو مشرب أوذبيحة، فخف عليهم الحذف لمعرفتهم به).[1]

والحذف في كلام العرب وارد كثيرا، يقول (الفراء معللا سبب وجود الحذف في كلام العرب (الحذف مثل قولهم أيش عندك، فحذفوا إعراب[2] "أي" وإحدى ياءيه وحذفت الهمزة من " شيء " وكسرت الشين وكانت مفتوحة في كثير من الكلام لا أحصيه).[3] وبذلك كان مناسبا حذف الألف من "بسم الله" و إثباتها في"سبح باسم ربك". لملاءمتها مقام التخفيف والإيجاز.

ومن الأمثلة الواردة عن الحذف في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا﴾ [4] وقال تعالى على لسان ذي القرنين: ﴿آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين، قال

[1]- معاني القران الفراء ، ج1 ، ص2.
[2]- المقصود، بإعراب الحرف وحركته.
[3]- معاني القران الفراء ، ج1 ، ص 02.
[4]- سورة الكهف ، الآية 97.

انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا

له نقبا﴾[1]، أي يصعدوا عليه فحذف التاء والأصل أن نقول " استطاعوا" ، ثم قال : (وما استطاعوا

له نقبا) بإبقاء التاء وذلك أنه لما كان صعود السد الذي هو سبيكة من قطع الحديدو النحاس أيسر

من نقبه وأخف عملا، خفف الفعل للعمل الخفيف فحذف التاء فقال (فما اسطاعوا أن يظهروه)

وطول الفعل وجاء بأطول بناء له للعمل الثقيل الطويل فقال : (وما استطاعوا له نقبا) ، فحذف

التاء في الصعود وجاء بها في النقب).[2]

و في ذكر أسماء الإشارة واختيار مقاماتها المناسبة ، فقد ورد في قوله تعالى: من سورة البقرة ﴿ ذلك

الكتاب﴾ولنتأمل ذلك الاختيار الدقيق للقرآن الكريم لفظة (ذلك) فالمعنى هنا (ذلك الكتاب الذي

وعدتك أن أوحيه إليك)، فيحيز الفراء أيضا القول باسم الإشارة "هذا" لأن قوله "هذا" و

---

[1]- سورة الكهف ، الآيتان 96،97.

[2]- ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاء والتعطيل في توجيه متشابه اللفظ من آي التنزيل لأبي جعفر أحمد بن الزبير الغرناطي، تحقيق الدكتور محمد كامل أحمد، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1405م، 1985م، ص 68 والتعبير القرآني ، فاضل صالح السامرائي ، بيت الحكمة ، بغداد ، 1986 – 1987، ص 07 .

"ذلك" يصلحان في كل الكلام إذا ذكر ثم أتبعته بأحدهما بالإخبار عنه ألا ترى أنك تقول قد قدم فلان فيقول السامع، قد بلغنا ذلك وقد بلغنا هذا الخبر فصلحت فيه "هذا" لأنه قد قرب من جوابه فصار كالحاضر الذي تشير إليه وصلحت فيه "ذلك" لانقضائه والمنقضى كالغائب ولو كان شيئا قائما يرى لم يجز مكان "ذلك" "هذا" و لا مكان "هذا" "ذلك")[1]، ويضيف الفراء معللا: (فلو رأيت رجلين تنكر أحدهما لقلت للذي تعرف: من هذا الذي معك؟ و لا يجوزها هنا: من ذلك؟ لأنك تراه بعينه).[2]

والواضح من كل هذا أن كل كلمة وكل حرف يأخذ مكانه اللائق به ذكر ابن يعيش في كتابه المفصل هذا النوع من ذكر أسماء الإشارة ذلك مدعما رأي الفراء: (الاسم فيه "إذا" و

[1]- - معاني القران للفراء ، ج1 ص10.
[2]- المصدر نفسه ، ج1ص11.

الكاف للخطاب وزيدت اللام لتدل على بعد المشار إليه وكسرت لالتقاء الساكنين و لم تفتح لئلا تلتبس بلام الملك ولو قلت ذالك، فذا إشارة للقريب بتجريده ا من قرينة تدل على البعد، فكانت على بابها من إفادة قرب المشار إليه لأن حقيقة الإشارة الإماء إلى الحاضر، فإذا أرادوا الإشارة إلى متنح متباعد زادوا كاف الخطاب وجعلوه علامة لتباعد المشار إليه فقالوا ذاك فإن زاد بعد المشار إليه، أتوا باللام مع الكاف فقالوا: ذلك واستفيد باجتماعهما زيادة في التباعد لأن قوة اللفظ مشعرة بقوة المعنى).[1]

ففي قوله تعالى: ﴿ذلك أزكى لهم﴾ ذلك اسم إشارة مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ إذا لحقته كاف الخطاب يشار به إلى البعيد والمقصد من الآية ليس الشك في تحقيق الزكاة والطهارة و إلا عبر عنها بأن المؤكدة، إنما المقصد هو في قرب أو بعد تحصيل وتحقيق الزكاة إذ لما كانت هذه المسألة

[1]- شرح المفصل، ابن يعيش (ت 643 ه) المطبعة المنبرية ط 1 ، د ت ،ج3، ص135.

نفسية تتطلب زمن صاغها باسم الإشارة البعيد "ذلك" حتى تناسب المقام والحال.[1]

كذلك يحذف المبتدأ عندما يكون ذكر الخبر المتصف بصفة كأنه يشير إلى هذا المبتدأ وكأنما بلغ من الشهرة بهذا الوصف مبلغا يغني عن ذكره ، كما تجد ذلك في قوله عز من قائل : ﴿ كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾ .[2] و يحذف لأن ذكره يبعث في النفس السأم لشدة وضوحه ولقرب الحديث عنه كما تحس بذلك في قوله تعالى: ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾.[3]

إن التعبير باسم الإشارة للبعيد فيه تضخيم لشأن المشار إليه وإشعار بعلو طبقته وسمو مترلته في الفضل ومن ذلك قوله سبحانه﴿ذلكم الله ربكم الإله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على

[1]- الإعجاز البياني في القرآن الكريم، ، دراسة نظرية تطبيقية في الايات المحكمات ، د عمار ساسي ص60.
[2]- سورة هود الاية 1.
[3]- سورة البقرة الاية 2 .

كل شيء وكيل﴾.[1]ف "ذلكم" اسم يشير إلى المنعوت بما ذكر من جلائل النعوت وما فيه من معنى

البعد للإيذان بعلو شأن المشار إليه وبعد مترلته في العظمة.[2]

ويفسر الإمام الزمخشري قوله تعالى : ﴿ الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾.[3]

مشيرا إلى استخدام القرآن الكريم التعريف ب "ال" التي تفيد تارة الاستغراق يقول (فهي تستخدم

لاستغراق خصائص الجنس، فكأنه قال: ذلك هو الكتاب المستكمل لخصائص جنسه فهو الكتاب

الكامل).[4].

في السياق نفسه والآية نفسها نجد ذكر "الكتاب" وحده بعد (الم)، فالمعلوم أنه تردد لفظ

الكتاب ومشتقات الكتابة في هذه السورة الكريمة سبعة وأربعين مرة في حين لم يرد لفظ القرآن أو أي

[1]- سورة الأنعام، الآية 102.
[2]-ينظر أسرار ابلاغة، عبد القاهر الجرجاني ، ص98.
[3]- سورة البقرة، الآية 2.
[4]- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل الزمخشري ،ج1، ص 112.

مشتق من مشتقات القراءة إلا مرة واحدة وذلك في قول المولى سبحانه: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن).[1]فقد تم الإشارة في آية البقرة إلى الكتاب ثم نفى عنه الريب فأراد يجتنب الريب من الكتاب إذا كان موجودا.[2]

يفسر الإمام الفراء هذه الآية الكريمة من سورة البقرة (ذلك الكتاب)بقوله: (يصلح فيه (ذلك) من جهتين، وتصلح فيه "هذا" من جهة، فأما أحد الوجهين من "ذلك" فعلى معنى: هذه الحروف يا أحمد، ذلك الكتاب الذي وعدتك أو أوحيه إليك والآخر أن يكون "ذلك" على معنى يصلح فيه "هذا" لأن قوله "هذا" و "لذلك" يصلحان في كل الكلام إذا ذكر ثم أتبعته بأحدهما بالإخبار عنه، ألا ترى أنك تقول: قد قدم فلان، فيقول السامع: قد بلغنا ذلك، وقد بلغنا هذا الخبر، فصلحت فيه

[1]- سورة البقرة الاية 84.
[2]- ينظر: التعير القرآني فاضل صالح السامرائي ، ص218.

"هذا"، لأنه قد قرب من جوابه ، فصار كالحاضر الذي تشير اليه، وصلحت فيه "ذلك" لانقضائه والمنقضى كالغائب، ولو كان شيئا قائما يرى لم يجز مكان "ذلك" "هذا" و لا مكان "هذا" "ذلك" وقد قال الله عزوجل: ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق﴾ إلى قوله : " وكل من الأخيار) ثم قال: (هذا اذكر)[1]، وقال جل وعز في موضع آخر "وعندهم قاصرات الطرف أتراب) ثم قال : ﴿ هذا ما توعدون ليوم الحساب ﴾[2] وقال جل ذكره : ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق﴾ ثم قال ﴿ذلك ما كنت منه تحيد﴾[3] ولو قيل في مثل من الكلام في موضع "لك": "هذا" أو في موضع "هذا": "لذلك" لكان صوابا و في قراءة عبد الله بن مسعود (هذا فذوقوه) و في قراءتنا (ذلكم فذوقوه[1]).فأماما لا يجوز فيه "هذا" في موضع "ذلك" ولا "ذلك" في موضع "هذا" فلو رأيت رجلين

[1] - سورة ص الايتان 45 ، 49 .
[2]- سورة ص 52،53.
[3]- سورة ق الاية 19 .

تنك راحدهما لقلت للذي تعرف: من هذا الذي معك؟ولا يجوز هاهنا:من ذلك؟لأنك تراب عينه).[2]

فالفراء يتكلم بوضوح عن المقام المناسب الذي يقتضي ذكر اسم الإشارة "ذلك" أو ذكر "هذا".

و في السياق نفسه يضيف: (وقوله: (ذلك يوعظ به) و لم يقل ذلكم ،وكلاهما صواب وإنما جاز أن يخاطب القوم (بذلك) لأنه حرف قد كثر في الكلام حتى توهم بالكاف أنها من الحرف [3] وليست بخطاب).[4]

ويتحدث الإمام الفراء عن مقام ذكر العدد فقد ورد في القرآن الكريم ذكره مثال ذلك قوله تعالى:

﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم﴾.[5]وقال : وعشرا و لم يقل : عشرة وذلك أن العرب إذا أبهمت العدد من الليالي والأيام غلبوا عليه الليالي حتى إنهم ليقولون: قد صمنا عشرا

[1]- سورة الانفال الاية 14 .
[2]- معاني القران الفراء ، ج1 ، ص11.
[3]- أي جزء من الكلمة التي تلتحق بها وهي اسم الإشارة كذا وفروعها، ولا يريد بالحرف ما قابل الاسم.
[4]- معاني القران للفراء ، ج 1 ، ص149.
[5]- سورة البقرة الاية 240.

من شهر رمضان لكثرة تغليبهم الليالي على الأيام ، فإذا أظهروا مع العدد تفسيره كانت الإناث بطرح الهاء، والذكران بالهاء.

كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما ﴾[1]، (فأدخل الهاء في الأيام حين ظهرت، و لم تدخل في الليالي حين ظهرن، وإن جعلت العدد غير متصل بالأيام كما يتصل الخافض بما بعده غلبت الليالي أيضا على الأيام، فإن اختلطا فكانت ليالي وأيام غلبت التأنيث فقلت: مضى له سبع، ثم تقول بعد: أيام فيها برد شديد).[2]

و في الآية الكريمة ﴿والقناطير المقنطرة. ﴾ [3] يقول (واحد القناطير قنطار، ويقال إنه ملء مسك ثور ذهبا أو فضة ويجوز القناطير[1]في الكلام ، والقناطير ثلاثة والمقنطرة تسعة ، كذلك سمعت و هو

---

[1]- سورة الحاقة ، الاية 7.
[2]- معاني القران الفراء ، ج ، ص 151 .
[3]- سورة ال عمران الاية 14 .

المضاعف).[2]

ومما روي عن الفراء كذلك في تفسير هذه الآية أنه قال: (القناطير جمع القنطار ، والمقنطرة جمع الجمع فيكون تسع قراطير)[3] مناسبة المقام لمقتضى الحال يستعمل القرآن في مكان ما صيغة ثم يعدل في مكان آخر عن تلك الصيغة التي فيحولها إلى صيغة أخرى بحسب ما يقتضيه السياق والمعنى وهذا من صميم البلاغة العربية، من ذلك قوله تعالى:(بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب).[4]

وقوله سبحانه: ﴿ قالت يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب﴾[5].

---

[1]-. يرى الكوفيون أنه يجوز القناطر في الكلام وز حذف الياء في الجمع فيقال القناطر ويجوز أن يقال في العصافير، العصافر.

[2]- معاني القران الفراء ، ج 1 ، ص 195 .

[3] - جامع البيان في تفسير القران الطبري دار المعرفة بيروت لبنان ط 1. 1407 ه ، 1980 م ،ج 4 ،ص 31.

[4]-سورة ص الاية 5 .

4، ص31.

[5]- سورة هود الاية 72.

وقوله عز من قائل في موضع آخر ﴿أجعل الآلهة إليها واحدا إن هذا لشيء عجاب﴾.[1]

من الملاحظ في هذه الآيات الكريمات الاختلاف الحاصل في لفظة "عجيب" ففي سورة "ق"هذا الشيء عجيب) و في سورة هود (أن هذا الشيء عجيب) و في سورة ص (أن هذا الشيء عجاب) فعدل الكلام الإلهي من "عجيب" إلى "عجاب"و ذلك أنه تدرج في العجب بحسب قوته ففي آية سورة (ق) ذكر أنهم عجبوا من أن يجيء منذر منهم فقالوا "هذا شيء عجيب". و في سورة هود كان العجب أكبر لأنه من غير المعتاد أن تلد امرأة عحوز و عقيم وزوجها شيخ بلغ من العمر عتيا، فكل ذلك يدعو إلى الغرابة والتعجب، فالعجوز لا تلد، وإذا كانت عقيما، كانت من المستحيل أن تلد، أما إذا اجتمع إلى ذلك كله هرم زوجها وشيخوخته كان الأمر أكثر من مستحيل ، ولهذا أكد

[1] - سورة ص الاية 5 .

القرآن الكريم في الآية بأن واللام ، فقال "إن هذا الشيء عجيب" بخلاف سورة "ق" فإنه لم يؤكد العجب ، وازدادت حدة هذا العجب عند المشركين في سورة "ص" ، إذ كيف يمكن أن يومنوا بوحدانية الإله ونفي الشرك وهم قوم عريقون فيه ؟ بل إن الإسلام جاء في أوله ليردهم عن الشرك ويدعوهم لتوحيد المولى سبحانه، وقد استحبوا أن يحملوا السيف ويعلنوا الحرب الطويلة على أن يقروا بكلمة التوحيد، ولذا كان العجب عندهم أعظم فجاء بأن والام وعدل من "عجيب" إلى "عجاب" وذلك أن "فعالا" أبلغ من "فعيل" عند العرب فمثلا لفظة "طوال" أبلغ من "طويل" فإذا قلت " هو رجل طويل" فهو الطول يكون مثله فإذا زاد على المعتاد قلت: هو طوال ونحوه: كريم وكرام ، وشجيع وشجاع كيف عدل من صيغة إلى صيغة بحسب ما يقتضيه المقام وانظر كيف يراعي دقة التعبير في

كل موضع وكيف يلحظ كل كلم ويضعها في المكان المناسب على تباعد الأمكنة.[1]

ثم في قوله تعالى على لسان إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قالت ياقوم إني أبريء مما تشركون﴾[2] و قوله في موضع آخر على لسانه أيضا ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطر في فإنه سيهدين﴾.[3]

فأنظر كيف عدل من (بريء) إلى (براء) من الصفة المشهة إلى المصدر وأنت ترى الفرق بين المقامين، ففي آية سورة الأنعام سيدنا إبراهيم عليه السلام في مقام الحيرة والبحث عن الحقيقة فهو لا يعرف ربه على وجه التحقيق، فقد ظن أن الكوكب ربه ثم القمر ثم الشمس ثم أعلن البراءة من كل ذلك. أما في الآية الثانية، فهو عليه السلام في مقام التبليغ، فقد أصبح نبيا مرسلا من ربه أعلن حربه

[1]- ينظر التعبير القراني فاضل صالح السامرائي ، ص 27 ، 28 .
[2]- سورة الانعام ، الاية 87 .
[3]- سورة الزخرف ، الاية 26 .

على الشرك و أعلن البراءة مما يعبد قومه، فهناك فرق بين المقامين والبراءتين، فلفظة "براء" أقوى من لفظة "بريء"، فإنها براءة بصيغة المصدر الذي هو الحدث المجرد، فإن قولك هو "رجل عدل" أبلغ من قوله "هو رجل عادل" وذلك لأن معناه أصبح هو العدل أي لكثرة ممارسته للعدل صار هو العدل نفسه وقولك "هو رجل سوء" أبلغ من قولك "هو رجل سيء" فمعنى رجل سيءأنه اتصف بالسوء ومعنى "رجل سوء" أنه لكثرة ممارسته السوء أصبح صفة السوء به ألصق.

و في آية الزخرف، زاد من قوة البراءة وشدها بتوكيد لفظة براءة فقال "انني براء" و لم يأت بها في آية الأنعام بل قال (إني بريء) وإن النون في مثل هذا المقام تفيد التوكيد، فأنظر كيف أكد براءته في آية الأنعام بالنون وبتحويل الصيغة إلى المصدر.[1]

فهذا التعبير القرآني الدقيق يتمثل أمامنا كلوحة فنية متناسقة.

[1] - ينظر التعبير القرآني ، فاضل صالح السامرائي ، ص 37 .

وفي قوله تعالى ﴿ اني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات﴾[1] (فالعدد المذكور في الآيتين واحد هو "سبع " ولكن استعمل معه "سنبلات" مرة ومرة أخرى "سنابل" وسر ذلك أن السنابل جمع كثرة وسنبلات جمع قلة وقد سبقت الآية الأولى في مقام التكثير ومضاعفة الأجور جيء بها على "سنابل" لبيان التكثير)[2]فجاء لكل موضع ما يقضيه السياق.

ومن تحليلات الفراء أيضا في الآية الكريمة: (من آمن تبغونها عوجا)[3] يقول الفراء (يريد السبيل فأنثها، والمعنى تبغون لها وكذلك ﴿ يبغونكم الفتنة ﴾[4] : يبغون لكم الفتنة والعرب يقولون ، ابغني خادما فارها، يريدون: ابتغه لي، فإذا أرادوا ابتغ معي وأعني على طلبه قالوا أبغني (ففتحوا الألف

[1] - سورة يوسف ، الآية 43 .
[2] - البرهان في علوم القران ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، ج 4 ، ص 22 .
[3] - سورة أل عمران ، الآية 99 .
[4]- سورة التوبة ، الآية 47.

الأولى من بغيت والثانية من أبغيت) و المسني نارا وألمسنى ، واحلبني وأحلبني[1] ، واحملني وأحملني ، واعكمني وأعكمني[2]، فقوله احلبني يريد: حلب لي، أي اكفني الحلب،وأحلبني: أعني عليه وبقيته على مثل هذا).[3]

ومن مقامات أسلوب الذكر والحذف في القرآن الكريم يورد الفراء أمثلة كثيرة وكلها ترجع إلى مراعاة المقام وحسن الاختيار وذكر اللفظة في الوضع الذي يقتضيها وينادي عليها بأبلغ تعبير وأجمل صورة.

يستهل الفراء حديثة في كتابه المعاني عن حذف الألف من بسم الله الرحمن الرحيم وفي فواتح الكتب وإبثائهم الألف في قوله (سبح باسم ربك العظيم) يقول الإمام ميرزا المقام الذي تطلب

[1]- أحلبني معناها : احلب لي وأحلبني : أعني على الحلب .
[2]- العكم : شد المتاع بثوب : فمعنى أعكمني : شد لي المتاع ومعنى أعكمني : أعني على العكم .
[3]- معاني القران الفراء ، ج 1 ، ص 228 .

حذفها أو ذكرها (إنما حذفوها من (بسم الله الرحمن الرحيم) أول السور والكتب سبب وقوعها في

موضع معروف لدى القارىء ولا يحتاج إلى قراءته، فاستخف طرحها لأن من شأن العرب الإيجاز

وتقليل الكثير إذا عرف معناه) أما ثبوتها في قوله (سبح باسم ربك)[1] يقول (لأنها لا تلزم هذا الاسم

ولا تكثر معه ككثرتها مع الله تبارك وتعالى، الا ترى أنك تقول (بسم الله) عند ابتداء كل فعل تأخذ

فيه من مآكل أو مشرب أو ذبحة، فخف عليهم الحذف لمعرفتهم به.[2]

ويعلل من كلام العرب ما كثر في كلامهم ألحذف مثل قولهم: (أيش عندك، فحذفوا إعراب "أي"

وإحدى ياء به وحذفت الهمزة من "شيء" وكسرت السين وكانت مفتوحة في كثير من الكلام لا

---

[1]- سورة الأعلى الآية ، و سورة الحاقة والآية 74 من سورة الواقعة .
[2]- معاني القران الفراء ، ج 1 ، ص2 .

أحصيع)[1]، فنناسب ذلك حف الألف من (بسم الله) لملاءمتها مقام التحقيق والإيجاز وأثبتت في

(سبح باسم ربك).

ومن بديع الأمثلة في القرآن الكريم قول الفراء في قوله جلا وعلا : ﴿ولو شاء الله لذهب

بسمعهم﴾[2] (المعنى والله أعلم- ولو شاء الله لأذهب سمعهم ومن شأن العرب أن تقول : أذهبت

بصره، بالألف إذا أسقطوا الباء، فإذا أظهروا الباء أسقطوا الألف من "أذهبت".

وقد قرأ بعض القراء (يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار)[3]، يضم الياء والباء في الكلام وقرأ بعضهم

(وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن).[4]

فترى- والله أعلم-أن الذين ضموا على معنى الألف شبهوا دخول الباء وخروجها من هذين الحرفين

[1]- المصدر نفسه ، ج1 ، ص 02.
[2]- سورة البقرة ، الآية 20 .
[3] - سورة النور ، الآية 43 .
[4] - سورة المؤمنون ، الاية 20 .

بقولهم: خذ بالخطام وخذ الخطام وتعلقت بزيد، وتعلقت زيدا، فهو كثير في الكلام والشعر و لست

استحب ذلك لقلته، ومنه قوله ﴿آتنا غداءنا﴾ المعنى والله أعلم – ايتنا بغدائنا ، فلما أسقطت الباء

زادوا ألفا في فعلت ومنه قوله عز وجل(قال، آتوني أفرغ عليه قطرا)[1] المعنى – فيما جاء– (ايتوني بقطر

أفرغ عليه ومنه قوله ﴿ فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة﴾[2] المعنى– والله أعلم– فجاء بها المخاض

لجذع النخلة.

وفي قوله تعالى: ﴿واخشوني﴾ [3] يقول الفراء (أثبت فيها الياء و لم تثبت في غيرها وكل ذلك

صواب، وإنما استجازوا حذف الياء لأن كسرة النون تدل عليها وليست تهيب العرب حذف الياء

من آخر الكلام إذا كان ما قبلها مكسورا من ذلك ل (ربي أكرمن وآهانن) في سورة الفجر ، وقوله

[1]- سورة الكهف الاية 96.
[2]- سورة مريم ، الاية 23 .
[3]- سورة البقرة ، الاية 150.

(أتمدونني بمال)[1]، ومن غير النون "المناد"[2] و"الداع"[3]، وهو كثير يكتفي من الياء بالكسرة ماقبلها

و من الواو بضمة ماقبلها مثل قوله ﴿ سندع الزبانية ﴾[4] و (يدع الإنسان)[5] وما أشبهه وقد تسقط

العرب الواو وهي واو جماع، اكتفي بالضمة قبلها فقالوا في ضربوا: قد ضرب و في قالوا: قد قال ذلك

وهي في هوازن وعليا قيس، أنشدني بعضهم .

إذا ما شاء ضروا من أرادوا ولا يألوهم أحد ضرارا[6] وأنشدني بعضهم: فلو أن الأطبا كان عندى

وكان مع الأطباء الأساة[7])[8].

وفي موضع آخر في قوله تعالى: (بئسما اشتروا به أنفسهم)[9] يقول الفراء (معناه–والله أعلم– باعوا به

1- سورة النمل ، الاية 126.
2- سورة ق ، الاية 41 .
3- سورة القمر ، الايتان 6. 8.
4- سورة العلق ، الاية
5- سورة الاسراء ، الاية 11.
6- أوردهى البغدادي شواهد المعنى ، ج2 ، ص859.
7- الاساة جمع اس ، فهو هنا ما يعالج الحرح – ينظر خزانة الادب ج2 ، ص 385.
8- معاني القران الفراء ،ج1 ، ص 91.
9- سورة البقرة ، الاية 90.

أنفسهم، والعرب في شروا واشتروا مذهبان، فالأكثر منهما أن يكون شروا : باعوا ، واشتروا : ابتاعوا

وربما جعلوها جميعا في معنى : باعوا، وكذلك البيع، يقال بعت الثوب ، على معنى أخرجته من يدي

وبعته: اشتريته وهذه اللغة في تميم وبيعة، سمعت أباثروان يقول لرجل:بع لي تمرا بدرهم يريد اشترلي).[1]

ومن الحذف أيضا قوله تعالى: ﴿وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم﴾[2] يقول الفراء (فإنه أراد : حب

العجل ومثل هذا مما تحذفه العرب كثير، قال الله تعالى: ﴿واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا

فيها﴾[3] والمعنى سل أهل القرية وأهل العير ومثله من كتاب الله: ﴿ ولكن البر من آمن بالله ﴾ معناه

والله أعلم: ولكن البر بر من فعل هذه الأفعاعيل التي وصف الله والعرب قد يقول: إذا سرك أن تنظر

إلى السخاء فأنظر إلى هرم أو إلى حاتم).[1]

[1] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص 59.
[2] - سورة البقرة ، الاية 61 .
[3] - سورة يوسف ، الاية 82.

وفي قوله تعالى: ﴿وقالوا لن بدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى﴾[2] يقول الفراء (يريد يهوديا

فحذف الياء الزائدة ورجع إلى الفعل من اليهودية وهي في قراءة أبي وعبد الله: (إلا من كان يهوديا

أو نصرانيا) وقد يكون أن تجعل اليهود جمعا واحده هائد ممدود وهو مثل حائل ممدود[3]) – من

النوق– وحول وعائط[4] وعوط وعيط وعوطط).[5]

و في قوله تعالى: ﴿سل بني إسرائيل ﴾[6] وتعلل الفراء حذف الألف من كلمة (سل) فيقول : (لا

تهمز[7] في شيء من القرآن ، لأنها لو همزت كانت "اسأل ، بألف و إنما ترك همزها في الأمر خاصة

لأنها كثيرة الدور في الكلام فلذلك قالوا: كل وخذ، فلم يهمزوا في الأمر وهمزوه في النهي و ما سواه،

[1] - معاني القران ، ج 1 ، ص 62.
[2] - سورة البقرة ، الاية 109.
[3] - الناقة الحائل : التي حمل عليها الفعل فلم تلقح .
[4] - العائط من النوق : الحائل .
[5] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص 73.
[6] - سورة البقرة ، الاية 211.
[7] - أي الكلمة (سل) .

الفاء أو الواو ، مثل قوله : ﴿ واسأل القرية التي كنا فيها ﴾[1] ومثل قوله : ﴿ فاسأل الدين يقرءون الكتاب﴾[2]، ولست أشتهي ذلك، لأنها لو كانت مهموزة لكتبت فيها الألف كما كتبوها في قوله : (فاضرب لهم طريقا) [3]و (اضرب لهم مثلا)[4] بالألف).[5]

وفي قوله تعالى أيضا: ﴿كم آتيناهم... ﴾[6] يقول الفراء (معناه جئناهم به من آية، والعرب تقول: أتينك بآية ، فإذا القوا الباء قالوا: آتيتك آية، كما جاء في الكهف ﴿ آتنا غداءنا ﴾[7] والمعنى اتينا بغدائنا).[8] وفي قوله سبحانه : ﴿ قل العفو.. ﴾ [9] يقول الفراء (وجه الكلام فيه النصب ، يريد : قل

---

1 - سورة يوسف ، الاية 82 .
2 - سورة يونس ، الاية 94 .
3 - سورة طه 77.
4 - سورة يس ، الاية 13 .
5 - معاني القران الفراء ، ج 1 ، ص 125.
6 - سورة البقرة ، الاية 211.
7 - سورة الكهف ، الاية 62 .
8 - معاني القران ، الفراء ، ج1 ، ص 125.
9 - سورة البقرة ، الاية 219 .

ينفقون العفو، وهو فضل المال قد نسخته الزكاة تقول: قد عفا).[1]

ومن تعليلات الحذف عند الفراء وما يقتضيه مقامها حذف حرف التاء من قوله تعالى ﴿حتّى يطهرن.. ﴾[2] يقول (بالياء وهي في قراءة عبد الله إن شاء الله (يتطهرّن) بالتاء ، والقرّاء بعد يقروؤون (حتى يطهرن ويطهرن) يطهرن: ينقطع عنهن الدم ويتطهرّن: يغتسلن بالماء وهو أحب الوجهين إلينا: يطّهّرن.ويبين مدى ملاءمة ذ"كر حرف من بدل حرف في" في قوله تعالى﴿ فأتوهنّ من حيث أمركم الله﴾ولم يقل: في حيث وهو الفرج، وإنما قال من حيث كما تقول للرّجل : أيت زيدا من مأتاه أي من الوجه الذي يأتى منه، فلو ظهر الفرج ولم يكن عنه قلت في الكلام: ايت المرأة في فرجها(فأتوهن من حيث أمركم الله) يقال ايت الفرج حيث شئت).[3]

[1] - معاني القران الفراء ، ج 1 ، ص 141 .
[2] - سورة البقرة من الاية 222 .
[3] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص143 .

وفي قوله تعالى: ﴿ فإن حاجّوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتّبعن﴾ يقول (ومن اتبعن) للعرب في

الياءات التي في أواخر الحروف –مثل اتبعن وأكرمن، وأهانن، ومثل قوله دعوة الدّاع إذا دعان)[1] وقد

هدان)[2] أن يحذفوا الياء مرة ويثبتوها مرة. فمن حذفها أكتفى بالكسرة التي قبلها دليلا عليها ، وذلك

أنها كالصلة ، إذا سكنت وهي في آخر الحروف واستثقلت فحذفت ومن أتمّها فهو البناء و الأصل

ويفعلون ذلك في الياء. وإن لم يكن قبلها نون، فيقولون هذا غلامي قد جاء وغلام قد جاء، قال الله

تبارك وتعالى: ﴿فبشر عباد الذين﴾في غير نداء بحذف الياء وأكثر ما تحذف بالإضافة في النداء، لأن

النداء مستعمل كثيرا في الكلام فخذف في غير نداء، وقال إبراهيم (ربّنا وتقبل دعاء)[3] بغير ياء، وقال

في سورة الملك(كيف كان نكير)[4]

و (ندر)[1] وذلك أنها رؤوس الآيات.

---

[1] - سورة ال عمران ، الاية 20.
[2] - سورة الانعام ، الاية 80.
[3] - سورة ابراهيم ، الاية 40 .
[4] - سورة الملك من الاية 18.

لم يكن في الايات قبلهن ياء ثانية فأجرينا على ما قبلهن اذ كان ذلك من كلام العرب ، ويفعلون

ذلك في الياء الأصلية، فيقولون ، هذا قاض ورام وداع بغير ياء لا يثبتون الياء في شيء من فاعل

فإذا أدخلوا فيه الألف واللام قالوا بالوجهين فأثبتوا الياء وحذفوها ، وقال الله (من يهد الله فهو

المهتد)[2] وفي كل القران بغير ياء وقال في الاعراف فهو المهتدي [3] وكذلك قال ﴿ يوم ينادي المناد ﴾[4]

و ﴿أحيب دعوة الدّاع﴾[5] وأحبّ ذلك إليّ أن أثبت الياء في الألف واللام لأن طرحها في قاض

ومفتر وما أشبهه بما أتاها من مقارنة نون[6] الإعراب وهي ساكنة واليّاء ساكنة فلم يستقم جمع بين

ساكنين فحذفت الياء لسكونها ، فإذا أدخلت الألف واللام لم يجز إدخال النون ، فلذلك

[1] - السورة نفسها ، من الاية 17 .
[2] - سورة الاسراء ، الاية 97 .
[3] - سورة الاعراف ، من الاية 178.
[4] - سورة ق ، الاية 41.
[5] - سورة البقرة ، من الاية 186.
[6] - يقصد التنوين وجعله نون الاعراب لانه يذخل في المعرب وينكب عن المبني .

أحببت إثبات الياء)[1].

في السياق نفسه ذكر علماؤنا المقامات المناسبة لحذف الحروف من ذلك مثلا حذف الياء في قوله تعالى : ﴿ والليّل إذا يسري ﴾ [2] للتخفيف ورعاية الفاصلة ، وجاء عن الأخفش أن المؤرخ السدوسي سأله عن ذلك فقال: (لاأجيبك حتى تنام على بابي ليلة ، ففعل ، فقال له : إن عادة العرب إذا عدلت بالشيء عن معناه نقصت حروفه والليل لما كان لا يسري وإنّما سيرى فيه نقص منه حرف، كما في قوله تعالى: ﴿ وما كانت أمك بغيا﴾.[3]الأصل بغيّة فلما حول ونقل عن فاعل نقص منه حرف).[4]

والمتأمل في الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿وقل عسى أن يهدين ربّي لأقرب من هذا رشدا ﴾[5] يجد

---

[1] - معاني القران الفراء ج 2 ، ص 201.
[2]- سورة الفجر ، الاية 4 .
[3] - سورة مريم من الاية 28 .
[4] - البرهان في علوم القران الزركشي ، ج3 ، ص 107 .
[5] - سورة الكهف ، الاية 24.

حذف الياء في لفظة(يهدبن) وثبوتها في قوله سبحانه (ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل)[1]. فحذفت الياء وحلّت الكسرة محلها فقال (يهدني) وظهرت الياء في الاية الثانية من سورة القصص فقال يهديني وتعليل ذلك أن السياق والمقام في السورة يستدعي إبراز ياء المتكلم لأن المقام فيها مقام خوف والتجاء وخشية وكلها أمور تدفع بصاحبها إلى التشبث بمن يحميه والاقتراب منه بشدة. فهذا هو موقف سيدنا موسى عليه السلام حيث خرج خائفا مترقبا فارّا من بطش فرعون فالتجا إلى ربه التجاء كاملا، أظهرته ثبوت الياء التي دلت على ذلك.[2]

وفي قوله تعالى: ﴿فلا تخشوهم اخشوني﴾[3] ظهرت الياء في لفظة (اخشوني) لأن السياق في سورة

[1] - سورة القصص ، الاية 22 .
[2] - ينظر التعبير القراني ، فاضل صالح السمرائي ، ص 80 .
[3] - سورة البقرة ، الاية 15.

البقرة يستدعي تحذير المسلمين من خشية الناس وعدم ا لالتفات إلى أراجيفهم كما يستدعي توجيههم إلى مراقبة الله تعالى كل ذلك ارتبط بالسياق العام لسورة البقرة الذي يخبرنا بتبديل قبلة المسلمين من بيت المقدس إلى المسجد الحرام في مكة.

وقد أكثر اليهود والمنافقون القول في هذا الأمر فجاء التوجيه الالهي بعدم الاكتراث بأراجيفهم وعدم الخوف منهم وأن يخشوا الله ربهم ﴿فلا تخشوهم واخشون﴾.

وكانت بداية الآيات بقوله: ﴿ سيقول السفهاء من الناس ما ولاّهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾[1] إلى أن يقول: ﴿ ومن حيث خرجت فولّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوّا وجوكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجّة إلاّ الذين ظلموا فيهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم لعلكم تهتدون﴾.[1]

[1] - سورة البقرة ، الاية 142.

والواضح أن المقام في سورة البقرة مقام خصومة ومحاجّة ومحاربة يستدعي جانبا كبيرا من الخشية

فأظهر الله تعالى نفسه من أجل المراقبة والخشية وعدم إلا كتراث بأراجيفهم الواهية وظهور ضمير

(الياء) واضح في السياق (اخشوني) و (لآتمّ نعمي).(فاذكروني) و (شكروا لي) وغيرها.

وفي أمثلة أخرى من القرآن الكريم يشرح الفراء قوله تعال ى: ﴿ ربّنا ولا تحمل علينا إصرا ﴾

والإصر: العهد كذلك قال في سورة آل عمران ﴿ وأخذتم على ذلكم اصري﴾ [2]والاصر هاهنا الاثم

اثم العقد إذا ضيّعوا كما شدّد على بني إسرائيل.[3]

إن استخدام الصيّغ الاسمية و الفعلية في الكلام له دلالته العميقة فمثلا في قوله تعالى: ﴿ذلك أن

لم يكن ربّك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون﴾[1]،وقوله أيضا سبحانه:﴿وما كان ربك ليهلك القرى

[1] - سورة البقرة ، الاياتان 149 ، 150 .
[2] - سورة ال عمران ، الاية 81 .
[3] - معاني القران ، ج 1 ، ص 189 .

بظلم وأهلها مصلحون﴾ [2] ، فقد جاء في الآية الأولى بالصيغة الاسمية (مهلك) و في المثال الثاني

بالصيغة الفعلية (ليهلك) سبب ذلك أن المقام في الآتيين مختلفين، ففي الأنعام السياق هو مشهد من

مشاهد يوم القيامة وذكر صفة لله تعالى وهو أنه لم يهلك القرى وأهلها غافلون لم يتلقوا الرسل

والأنبياء [3]، فالمقام هنا مقام أمر قد ثبت واسقرّ فالصيغة الاسمية دالة على الثبوت بخلاف الصيغة

الفعلية الدالة على الحركة والتجدد.

ثانيا : مراعاة المستويات اللغوية للآية المفسرة .

يُعد الإعراب عنصرا هاما من عناصر علم النحو الذي تعرف به أحوال التراكيب العربية من إعراب وبناء أو كما يقول السكاكي(ت 626ه) :(يعرف به أحوال كيفية التركيب فيما بين الكلام لتأدية أصل المعنى مطلقا بمقاييس مستنبطة من استفراء كلام العرب و قوانين مبنية عليها ليحترز عن الخطأ في التركيب)[4]

---

[1] -سورة الانعام ، الاية 131 .
[2] - سورة هود ، الاية 117 .
[3] - ينظر التعبير القراني ، فاضل صالح السامرائي ، ص27.
[4] - مفتاح العلوم السكاكي ، ص 63.

كذلك يعرفه ابن جني (ت 392ه) بقوله (النحو هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة الى غير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم ، وإن شذ بعضهم عنها ردّ به إليها)[1]

والملاحظ في هذا التعريف الدقيق للنحو تأكيد ابن جني على دور الإعراب وجعله شرطا من شروط البلاغة والفصاحة، فإذا كانت الفصاحة هي الظهور والبيان،فإن حركات الإعراب هي وسيلة نطق وإبانة المعنى و وجه من وجوه تحسين الكلام وتنميقه وتزيين صورته اللفظية الرامية إلى وضوح الدلالة وتذوق معناهما .

فالواضح أن حركات الإعراب في اللغة العربية هي أحد أقطاب صيغ الجمال وأساليب البيان ووضوح الدلالة وبيان أسرار الفصاحة،كلّ ذلك بقصد وصول معاني المتكلم إلى المتلقي بكلام سليم فصيح حسن الوقع في النفوس، مطابق للمقام.

وكتاب الفراء عدّه العلماء كتاب نحو بالدرجة الأولى ، والمطلع على صفحات الكتاب يرى بوضوح التوجيهات الإعرابية والمستويات اللغوية واضحة في تفسيره للآيات القرآنية ، فيبدأ بالحرف أصغر جزء في الكلمة وهو ما أصبح يسمى اليوم في علم الصوتيات (الفونيم).

ثم إعرب الكلمة وبناؤها الصرفي والصوتي ليصل إلى الجانب الدلالي الذي نحسب أنه من الدرس البلاغي وفيما يلي تفصيل لذلك.

يقول الفراء في قوله تعالى: ﴿غير المغضوب عليهم﴾[1] (بخفض غير لأنها نعت للذين لا للهاء والميم من (عليهم) وإنما جاز أن تكون (غير) نعتا لمعرفة، لأنها قد أضيفت الى اسم فيه آلف ولام وليس بمصمود

[1]-الخصائص ابن جني ، ج1 ، ص .

له[2] ولا الأول أيضا بمصمود له وهي في الكلام بمنزلة قولك: لا أمر إلاّ بالصادق غير الكاذب كانك تريد بمن يصدق ولا يكذب..)[3] فعلل بذلك خفض غير ولورودها نعتا.

وفي موضع آخر يفسر قوله تعالى﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ﴾[4] يشرّح الفراء إعراب هذه الآية الكريمة بقوله: (انقطع معنى الختم عند قوله (وعلى سمعهم) ورفعت "الغشاوة" "بعلى" ولو نصبتها بإضمهار "وجعل" لكان صوابا)

وزغم المفضل[5] (ت 171هـــ)أن عاصم بن أبي النّجود كان ينصبها على مثل قوله في الجاثية ﴿أفرآيت من اتّخذ إلهه هواه وأضلّه الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة﴾[6]،

ومعناهما واحد والله أعلم)[7] وفي قوله تعالى: ﴿صم بكم عمي فهم لا يرجعون﴾[8].

يقول الفراء (رفعت وأسماؤهن[9] في أول الكلام منصوبة لأن الكلام تم وانقضت به آية ثم استؤنفت (صم بكم عمي) في آية أخرى فكان أقوى للاستئناف ولو تم الكلام لم تكن آية لجاز أيضا الاستئناف قال الله تبارك وتعالى ﴿جزاء من ربك عطاء حسابا، رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن ﴾[10]، يرفع ويخفض في الإعراب وليس الذي قبله بآخر آية فأما ما جاء في رؤوس الآيات مستأنفا فكثير، من ذلك قول الله تعالى ﴿ إن الله اشرى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم " إلى قوله" وذلك

---

1 - سورة الفاتحة ، الاية

2- معناها: لم يقصد به قوم بأعيانهم .

3- معاني القرأن الفراء ، ج 1 ، ص 07 .

4- سورة البقرة ، الاية 07 .

5- هو القصل الغبي كان من أكابر علماء الكوفة.

6- سورة الجاثية ، الاية 23 .

7- معاني القران الفراء ، ج 1 ، ص 14.

8- سورة البقرة ، الاية .

9- كأنه يريد الضمير المنصوب في قوله (وتركهم، وجعله أسماءهم، إذا كان ضميرا مجموعا فكأنه عدّة ضمائر كل ضمير إسم أو آراد بالمنصوبة غير المرفوعة.

10- سورة النبأ ، الاية 37 .

هو الفوز العظيم﴾[1]، ثم قال جلّ وجهه "التائبون العابدون الحامدون"[2] بالرفع في قراءتنا وفي حرف[3] ابن مسعود (التائبين العابدين الحامدين).

وقال ﴿أتدعوون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم﴾ يقرأ بالرفع والنصب على ما فسرت لك و في قراءة عبد الله (صما بكما عميا) بالنصب ونصبه على جهتين إن شئت على معنى ، تركهم صما بكما عميا وإن شئت اكتفيت بأن توقع الترك عليهم في الظلمات ثم تستأنف (صما) بالذم لهم والعرب تنصب بالذم وبالمدح ، لأن فيه مع الأسماء مثل معنى قولهم (ويلا له وثوابا له وبعدا وسقيا ورعيا).[4]

نجد من ذلك في قوله تعالى ﴿ والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم، قل أيتم آن آتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعه أغير الله تدعون إن كنتم صادقين﴾ [5]فالوصف هنا متعلق بالذين كذبوا بآيات الله، فنعتم بالصم والبكم وآنهم في الظلمات فاحتاجوا بذلك إلى زيادة في التنبيه والخطاب ليسمعوا وليعوا ماهم فيه.[6]

ويفسر الفراء أيضا موضع النصب في الآية الكريمة: ﴿ يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت﴾فنصب (حدر) على غير وقوع من الفعل عليه، لم ترد يجعلونها حذرا، إنما هو كقولك: "أعطيك خوفا وفرقا، فأنت لا تعطيه الخوف وإنما تعطيه من أجل الخوف، فنصبه على التفسير ليس بالفعل كقوله عز وجل: ﴿يدعوننا رغبا ورهبا﴾[7]، وكقوله ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية﴾.[8]

1- سورة التوبة من الآية 11.
2- سورة
3- معناه: وفي قراءة عبد الله بن مسعود.
4- معاني القران الفراء ، ج1 ، ص16.
5- سورة الأنعام ، الآيتان 39 ، 40.
6- ينظر التعبيرالقراني فاضل صالح السامرائي ، ص93.
7- سورة الأنبياء ، الاية 9.
8- سورة الأعراف ، الاية 55.

والمعرفة والنكرة تفسران في هذا الموضع وليس نصبه على طرح "من" وهو مما يسحل[1] به المبدئ للتعليم)[2].

و في السياق نفسه يفسر الزمخشري موضع النصب من قوله تعالى: ﴿ والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك صدقوا وأولئك هم المتقون﴾[3]، فقد وردت لفظة (الصابرين) منصوبة مع أنها في الظاهر معطوفة على المرفوع لكنها نصبت على المدح وسبب نصبها يقول الزمخشري (على الاختصاص والمدح إظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن الفتال على سائر الأعمال).[4]

وفي قوله تعالى: ﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا: سلاما قال سلام فيما لبث أن جاء بعجل حنيذ﴾.[5]

وقال ﴿ هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما، قال سلام قوم منكرون﴾.[6]

فالملاحظ في الآتيين الكريمتين ورود (السلام) مرة بالنصب وتارة بالرفع ولابد أن في هذا التغاير بين السلامين غرض، فإعراب كلمة (سلام) الأولى مفعول مطلق لفعل المصدر، أي أن التقدير بعد القول تم بجملة فعلية والتي تدل –عادة– على الحدث والحركة والتجدد بينما (سلام) الثانية مرفوع على الابتداء والتقدير في آية الذاريات (السلام عليكم أنتم قوم منكرون) فحذف خير الأولى ومبتدأ الثانية.[7]

---

[1]- يقصد أنه قد يقرب المفعول لأجله للمبتدءا بما يصلح فيه تقدير من.
[2]- معاني القان الفراء ، ج1 ، ص17.
[3]- سورة البقرة ، الاية 176.
[4]- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل الزمخشري ، ج 1 ، ص 331.
[5]- سورة هود ، الاية 28 .
[6]- سورة الذاريات ، الايتان 24 ، 25.
[7]- ينظر المغنى لابن هشام، دار الفكر، بيروت، لبان، ط$_1$، 1992م، 1412هـ، ص 787.

والواضح أن التقدير قد حصل هنا بعد القول بجملة اسمية والتي من شأنها الدلالة على الثبوت إطلاقا وهي التي حملت سلام إبراهيم عليه السلام حتى كأن قوله عليكم سلام للدلالة على تبات السلام كأنه قصد أن يجيبهم بأحسن ما حيوه به أخذا بأدب الله تعالى: ﴿وإذا حيتم بتحية فحبوا بأحسن منها أوردوها﴾[1] وهذا يعد من إكرامه لهم.[2]

ومن بديع أمثلة الإعراب عند الفراء في كتابه أيضا تفسيره موضع النصب من قوله عز من قائل : ﴿يكاد البرق يخطف أبصارهم﴾ [3] يقول (والقراء تقرأ "يخطف أبصارهم" بنصب الياء والخاء والتشديد وبعضهم ينصب الياء ويخفض الخاء ويشدد الطاء فيقول "يخطف" وبعض من قراء المدينة يسكن الخاء والطاء فيجمع بين ساكنين فتقول "يخطف".

فأما من قال" بخطف" فإنه نقل إعراب التاء المدغمة إلى الخاء إذا كانت منجزمة وأما من كسر الخاء فإنه طلب كسرة الألف التي في اختطف والاختطاف وقد قال فيه بعض النحويين : إنما كسرت الخاء لأنها سكنت وأسكنت التاء بعدها فالتقى ساكنان فخفضت الأول، كما قال: ضرب الرجل فخفضت الباء لاستقبالها اللآم ، وليس الذي قالوا بشيء، لأن ذلك لوكان كما قالوا لقالت العرب في "يمد" ، يمد لأن الميم كانت ساكنة وسكنت الأولى من الدالين ولقالوا في يعض، يعض وأما من خفض الياء والخاء فإنه أيضا من طلبه كسرة الآلف لأنها كانت في ابتداء الحروف مكسورة وأما من جمع بين الساكنين فإنه كمن بنى على التبيان.[4] إلا أنه إدعام خفي وفي قوله ﴿أم من لا يهدي إلا أن يهدى[5]﴾[6].

---

[1]- سورة النساء ، الاية 85.
[2]- ينظر الكشاف ، الزمخشري ، ص 17.
[3]- سورة البقرة ، الاية 20.
[4]- التبان يقصد به الإظهار وعدم الادغام.
[5]- سورة يونس، الاية 35.
[6] - معاني القران الفراء، ص18.

وفي موضع آخر من قوله تعالى: ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا ﴾[1] يفسر الفراء قائلا(إن شئت جعلت "فتكونا" جوابا نصبا،إن شئت عطفته على أول الكلام فكان جزما ومعنى الجزم كأنه تكرير الرهي، كقول القائل: لا تذهب ولا تعرض لأحد ومعنى الجواب والنصب لا تفعل هذا فيفعل بك مجازاة فلما عطف حرف على غيرما يشاكله وكان في أوله حادث لا يصلح في الثاني نصب)[2].

ويضف الفراء مفسرا : على ذات المنوال قوله تعالى ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداو والعشي﴾[3] فإن جوابه قوله(فتكون من الظالمين) والفاء التي في قوله(فتطردهم) جواب لقوله(ما عليك من حسابهم من شيء) في قوله (فتكون من الظالمين).

الجزم والنصب لأن الفاء فيها مردودة على محل وهو قوله (ما عليك من حسابهم) و عليك لاتشاكل الفعل فإذا كان ما قبل الفاء اسما لا فعل فيه أو محلا مثل قوله (عندك وعليك وخلفك) أو كان فعلا ماضيا مثل (قام وقعد) لم يكن في الجواب بالفاء إلا النصب).[4]

ويتحدث الفراء عن روعة ودقة القرآن الكريم في استعمال واو الجمع في مواضع والفاء في مواطن آخرى مثال ذلك قصة سيدنا آدم التي وردت في سورتي البقرة والأعراف فجاء بالواو في البقرة قوله تعالى : (وكلا منها رغدا) و في سورة الأعراف (فكلا منها رغدا) جاءت الفاء في (فكلا) .

يشرح الفراء هذا السر الجمالي والدلالي في استعمال كل منهما،(فالواو لمطلق الجمع والفاء تفيد التعقيب والترتيب، والواو أوسع من الفاء لأن من جملة معانيها معنى الفاء فيصبح أن يكون معطوفها مفيدا للتعقيب ولغيره).[1]

---

[1]- سورة البقرة الاية 35.
[2]- معاني القران الفراء ، ج1، ص27.
[3]- سورة الأنعام ، الاية 52.
[4]- معاني القران الفراء ، ج1 ، ص28.

يقول فخز الدين الرازي (ت 606 ه) في ذلك : (قال في سورة البقرة (وكلامنها رغدا) بالواو وقال هاه نا (فكلا) فما السبب ؟ وجوابه من وجهين : الأول أن الواو تفيد الجمع المطلق والفاء تفيد الجمع على سبيل التعقيب فالمفهوم من الفاء نوع داخل تحت المفهوم من الواو ولا منافاة بين النوع والجرس).[2]

والقاعدة أن الواو صالحة لكل زمان بما فيها معنى الفاء، أما الفاء فتفيد معنى التعقيب أي أن يقع المعطوف بعد المعطوف عليه مباشرة ، فالواو جاءت في سورة البقرة للدلالة على السعة في الاختيار وهو المناسب لمقام التكريم.

نتأمل هذين المثالين: لو قلت مثلا لشخص ما (ادخل وكل) كان له الحق في الأكل متى شاء حسب رغبته فمت أكل كان موافقا للأمر وطبقه، ولوقلت (ادخل فكل)، وجب عليه الأكل عقب الدخول مباشرة ولو تأخر لخالف الأمر ويحق لك أن تمنعه منه فالواو أرحب زمنا من الفاء .[3] فلكل حرف مكانه المناسب له.

ودائما في سورة البقرة، يفسر الفراء حالة الإعراب الموجودة في الآية وينبه إلى معانيها ذلك في قول الله عز وجل ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات﴾ .[4]

يقول الفراء (فلآدم مرفوع والكلمات في موضح نصب وقد قرأ بعض القراء: (فتلقى آدم من ربه كلمات) فجعل الفعل للكلمات ، والمعنى والله أعلم – واحد لأن مالقيك فقد لقيته ومانللت فقد نلته و في قراءتنا ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ وفي حرف عبد الله (لا ينال عهدي الظالمون).[1]

1- المصدر نفسه ، ص 28.
2- التفسير الكبير ، فخر الدين الرازي، ج14، ص45.
3- ينظر التعبيرالقراني صالح فاضل السمرائي، ص257.
4- سورةالبقرة ، الاية 37.

و في قوله تعالى ﴿ ما منعك ألا تسجد ﴾ يقول الفراء : (أما) في موضع رفع ولو وضح (ثلها من الكلام جواب مصح كان رفعا وقلت: منغي منك أنك بخيل وهو مما ذكر جوابه على غير بناء أوله فقال﴿أنا خير منه ﴾ و لم يقل : منعني من السجود أني خير منه ، كما تقول في الكلام : كيف بت البارحة ؟ فيقول: صالح، فيرفع أو تقول أنا بخير فستدل به على معنى الجواب ولو صحح الجواب لقال صالحا أي بت صالحا)[2] والجمع يحيلها إلى ضروب من المعاني الدقيقة في استخدام هذه الصيغ من ذلك مثلا تفسيره لقوله تعالى : "وهل أدلك" "وكلامنها" و"لاتقربا" فهناك نوع من الانتقال في هذه الآيات من قصة آدم عليه السلام حيث الخطاب موجه إليه وحواء ، ويبدو أن هذه إشارة الى قوامة الزوج في الحياة الزوجية حيث خص آدم بالخطاب بالإضافة إلى أنه المكلف بالتبليغ ، وفي خطابهما معا فيما يتعلق بالأوامر "وكلامنها" والنواهي "ولا تقربا" إيماء الى المساواة بين الزوجين في الحقوق والواجبات الإنسانية هناك من يحمل التثمية على الجمع والجمع على التثمية في الخطاب الموجه لآدم ومن حوله.[3]

ومن حديث الفراء عن التثنية والجمع والإفراد يحيلها إلى ضروب من المعاني الدقيقة التي تحملها هذه الصيغ ضمن قوله تعالى: ﴿ وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾ .[4] يقول الفراء: (فإنه خاطب آدم وامرأته، ويقال أيضا : آدم وإبليس وقال: "اهبطوا" يعينه ويعني ذريته فكأنه خاطبهم وهو كقوله: ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أوكرها، قالتا أتينا طائعين﴾[5] ومثله قول إبراهيم

---

[1]- معاني القران الفراء، ج1 ، ص28.
[2]- المصدر نفسه ، ج1 ، ص 374.
[3]- ينظر التعبير القراني : فاضل صالح السمرائي ، ص 258.
[4]- سورة البقرة ، الاية 36 .
[5] - سورة فصلت ، الاية 11 .

"ربنا واجعلنا مسلمين لك" ثم قال: "وأرنا مناسكنا"[1]، وفي قراءة عبد الله "وأرهم مناسكهم" فجمع قبل أن تكون ذريته، فهذا ومثله في الكلام مما يتبين به المعنى أن تقول للرجل : قد تزوجت ولذلك فكثرتم وعززتم).[2]

ويرى الزمخشري في لفظة " اهبطوا" من الآية السالفة الذكر، أنه خطاب موجه لآدم وحواء خاصة وعبر عنهما بالجمع لاستتباعهما ذرياتهما.[3]

وفي السياق ذاته لابن القيم الجوزية (ت 751ه) رأي في ذلك فيقول (حيث ورد بصيغة الجمع فهو لأدم وزوجه وإبليس إذ مدار القصة عليهم).[4]

ويضيف قائلا وهذا يدل على أن المخاطب بالإهباط هو آدم وإبليس الذي زين له المعصية ودخلت الزوجة تبعا فإن المقصود إخبار الله تعالى الثقلين بما جرى على أبويهما من شؤم المعصية ومخالفة الأمر ، فذكر أبويهما أبلغ في حصول هذا المعنى من ذكر أبوي الإنسان فقط).[5]

وبهذا التخريج يفهم أن لكل خطاب موضعه ومقامه اللائق به.و في القرآن الكريم الأمر أشد حيث الدقة اللفظية والصحة المعنوية.

كذلك الأمر في قوله تعالى : ﴿ يخرج منهما اللؤلو والمرجان ﴾[6] (حيث يحملونه على المفرد مع صريح المثنى المثنى وعلتهم في هذا أن اللؤلؤ و المرجان إنما خرجان من الماء الملح لامن العذب)[7] وكل من جاء بعد ابن قتيبة(ت276ه)يميل بهذا المثنى إلى المفرد.

[1]- سورة البقرة ، الاية 128.
[2]- معاني القران الفراء ، ج1 ، ص 31.
[3]- ينظر الكشاف ، الزمخشري ، ج1 ، ص 274.
[4]- التفسير القيم، ص135.
[5]- المصدر نفسه ، ص 135 .
[6]- سورة الرحمن ، الاية 20.
[7]- تاويل مشكل القرآنابن قتيبة، ص287.

وفي موضع آخر من كتابه يفسر الفراء قوله الله جل شأنه : ﴿ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير﴾[1] فيقول(نصب لوقوع " حرم عليها " وذلك أن قولك إنما " على وجهين : أحدهما أن تجعل إنما) حرفا واحدا ثم تعمل الأفعال التي تكون بعدها في الأسماء . فإن كانت رافعة رفعت وإن كانت ناصبة نصبت، فقلت: إنما دخلت دارك، وإنما أعجبتني دارك، وإنما مالي مالك فهذا حرف واحد.

أما الوجه الآخر فإن تجعل (ما) منفصلة من (إن) فيكون (ما) على معنى الذي فإذا كانت كذلك وصلتها بما يوصل به الذي ثم يرفع الاسم الذي يأتي بعد الصلة ، قولك إن ما أخذت مالك ، إن ركبت دابتك تريد: إن الذي ركبت داتبك وإن الذي أخذت مالك فاجرهما على هذا).[2]

ونجد الزمخشري(ت 538 ه) يشرح لنا وجها إعرابيا في استعمال الحروف أيضا من ذلك تفسيره لقول الله سبحانه:﴿واذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنّما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾[3].

يقول (آلا تراهم عندما أنكروا الافساد في الأرض والسفاهة آكدوا اتصافهم بها بالا إلاّ وإن وتعريف ركني الجملة المؤذن بالقصر وضمير الفصل ولما كان إقرارهم للمؤمنين بالإيمان بألسنهم مبعثا للشك في نفوس شياطنهم دفعهم ذلك إلى نشأ كيدهم لهم والثبات على مبادئهم وأنهم لا يبغون عنها حولا).[4]

---

[1]- سورة البقرة ، الاية 173.
[2]- معاني القران الفراء ،ج1، ص101.
[3] - سورة البقرة، الايتان 14،11.
[4] - الكشاف الزمخشري ، ج 1 ، ص 181 ، 184 ، 186.

ومن التلونيات الإعرابية ما ما ورد في قول الله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصّارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون﴾.[1]

فقد وردت لفظة "الصابون" مرفوعة في سياق النصب مع العلم أن اللفظة قد وردت في موضعين آخرين شبيهين بهذا لكن دون مخالفة إعرابية ذلك في قوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون﴾[2]

وقوله عز وجل: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد﴾.[3]

(فيرى الكوفيون أن "الصابون" معطوف على محلّ اسم إنّ وذلك أن اسمها إذا كان مبنيا جاز العطف عليه مطلقا عندهم وهو هنا الذين).[4]

في حين ذهب البصريون إلى عدم جواز ذلك مطلقا لأنه يؤدي إلى إعمال "إنّ" وإعمال معنى الابتداء معا في قائمان فيجتمع على المرفوع الواحد رافعان مختلفان وأنّه محال فإذن لفظة "الصابون" مرفوع بالابتداء على نية التأخير.[5]

وهكذا جاءت لفظة "الصابون"جملة معطوفة على الجملة الابتدائية "إن الذين آمنوا"وعلى هذا وجود أسلوب الالتفات هنا غرضه التنبيه على هذا التقديم.

[1] - سورة المائدة ، الاية71.
[2] - سورة البقرة ، الاية 61.
[3] - سورة الحج ، الاية 17.
[4] - ينظر تفسير جامع البيان القرطبي ، ج 6 ، ص 246. و تفسير المنار ، ج6 ، ص 477 .
[5] - ينظر غرائب القران ، ج6 ، ص 131.

يشرح الزمخشري بوضوح فائدته في هذه الآية الكريمة فيقول: (فائدته التنبيه على أن الصائبين يتاب عليهم إن صح منهم ا لإيمان والعمل الصالح فما الظنّ بغيرهم وذلك أن الصائبين أبْين هؤلاء المعدودين ضلالا وأشدهم غيا وماسموا صائبين إلا أنهم صبئوا عن الأديان كلها أي خرجوا).[1]

جاء تفسير الفراء لهذه الآية على النحو الآتي: ﴿إن الذين آمنوا...والصابئون والنصارى﴾.[2]

(فإن رفع الصابئين على أنه عطف على الذين و "الذين" حرف على جهة واحدة في رفعه ونصبه وخفضه، فلما كان إعرابه واحدا وكان نصب "إنّ" نصبا ضعيفا وضعفه أنه يقع على الاسم ولا يقع على خيره، جاز رفع الصابئين ولا أستحبّ أنّ أقول لك إن "عبد الله وزيد قائمان لنبيّن الإعراب في عبد الله وقد كان الكسائي(ت) يجيزه لضعف إن).[3]

كذلك يعلل الفراء الحركات الإعرابية في لفظتي "السارق والسارقة" من قول المولى عز و جل: ﴿ والسّارقُ والسارقة فاقطعوا أيديهما...﴾[4] هما مرفوعتان بما عاد من ذكرهما ويجوز كذلك النّصب، كما يجوز أيضا قولك: أزيد ضربته وأزيدا ضربته وإنما العرب تختار الرفع في لفظي (السارقُ والسارقةُ). لأنهما غير موَقّتين فوجّها توجيه الجزاء، كأن يقول: من سرق فاقطعوا يده،فمن "من" لا يكون إلا رفعا ولو أردت سارقا بعينه أو سارقة بعينها كان النصب وجه الكلام ومثله ﴿واللذان يأتيانها منكم فأذوهما﴾[5]، وفي قراءة عبد الله "والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهما"، وإنما قال أيديهما لأن كل شيء موحد من خلق الإنسان إذا ذكر مضافا إلى اثنين فصاعدا جمع).[6] ومثله في قوله تعالى: ﴿ويلٌ لكل همزة لمزة﴾[7] (حيث رفعت لفظة "ويلٌ"

[1] - الكشاف الزمخشري ، ج1 ، ص632.
[2] - سورة المائدة ، الاية 69.
[3] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص 311.
[4] - سورة المائدة ، الاية 38.
[5]- سورة النساء ، الآية 16 .
[6] - معاني القران الفراء ، ج2 ، ص 207 .
[7] - سورة الهمزة ، الآية 1.

"وبلٌ" و لم يقل "ويلا" بالنصب جملة فعلية وتعليل ذلك أن العذاب دائم لهم لا ينقطع أودعا عليهم به، ولو قال "وبلاً" بالنصب لكان إخبارا بالعذاب غير الدائم. فالمقام في الرفع مقام حدث دائم مستمر .

أما مقام النصب فغير ذلك، والدليل على ذلك ما جاء في آخر السورة الكريمة ﴿إنّها عليهم موصدة في عمد ممدّدة﴾[1] فاخبرنا القرآن الكريم بأن أبواها مغلقة عليهم لا تنفتح إشارة إلى دوام العذاب وخلودهم فيه فكان آخر السورة مناسبا لأولها برفع لفظة "الويل")[2].

فالتناسق الجميل في التعبير والمعنى بين المفتح والختام واضح جليا.

كذلك من فنيّات جماليات الظواهر الإعرابية ما ورد في قوله تعالى: ﴿لكن الرّاسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمعقيمين للصلاة والموتون للزكاة﴾.[3]

فالظاهر أن جملة "المقيمين للصلاة" معطوفة على جملة "الراسخون" والمؤمنون قبلها غير أنها وردت على نحو ينفي عنها العطف، حيث خالفت السياق الإعرابي الواردة فيه.

فجاءت (والمقيمين الصلاة) جملة بعد أن كانت لفظة مفردة[4] .

فاكسبها ذلك جدّة وقوة وأكثر ظهورا لأنها تحوّلت وتغيّرت عن السياق المعتاد فكان هذا الخروج عن المألوف المزية التي جعلتها محلّ تنبيه وإثارة، فكان نصب (المقيمين)على الاختصاص[5] أو المدح تنويها بفضلهم عن سائر المذكورين في السياق ، فالمقيمون للصلاة على أحسن وجه هم أجدر المؤمنين بالرسوخ في الإيمان).[6]

---

1 - السورة نفسها ، الآية .
2 - ينظر التعبير القرآني ، فاضل صالح السامرائي ، ص34.
3 - سورة النساء ، الآية 161.
4 - ينظر أسلوب الالتفات وأسراره ، مصطفى شريقن ، دار الخلدونية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط1 ، 1430 ه ، 2009 ، ص 391.
5 - ينظر ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربي ،ص 113 .
6 - تفسير المنار ،ج6 ، ص 64.

إذن عمل هذا الالتفات على التنبيه إلى أهمية الصلاة في الحياة وأنها مفتاح كل خير.

مثل ذلك في قوله تعالى:﴿والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس،

أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقّون﴾.[1]

على غرار الآية السابقة وردت لفظة "الصابرين" منصوبة مع أنها في ظاهرها معطوفة على المرفوع، لكنها جاءت منصوبة على المدح والعلّة في ذلك – أي في نصبها – كما يقول الزمخشري (على الاختصاص والمدح إظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الأعمال).[2]

ومن الحركات الإعرابية القوّية نجد الكسر، يتحدث الفراء عن دلالتها العميقة من خلال تفسيره لقوله تعالى: ﴿قالوا إنا لله...﴾[3]فيقول مبدعا في تعليله: (لم تكسر العرب (إنّا إلاّ في هذا الموضع مع اللام في التوجّع خاصة، فإذا لم يقولوا "لله" فتحوا فقالوا: إنّا لزيدِ محبُّون، وإنّا لربّنا حامدون عابدون ، وإنّما كسرت في "إنّا لله" لأنها استعملت فصارت كالحرف الواحد فأشير إلى النون بالكسر لكسرة اللام التي في "للّه"، كما قالوا: هالك وكافر، كسرت الكاف من كافر لكسرة الألف لأنه حرف واحد فصارت "إنّ للّه" كالحرف الواحد لكثرة استعمالهم إياها، كما قالوا: الحمد للِّه).[4]

لقد ورد ذكر مصطلح "الحرف" عند الفراء اثناء تفسيره للآيات القرآنية، هذا المصطلح الذي يعدّ في علم اللغة الحديث إشارة إلى شكل الكتابة ويشير الصوت إلى كيفية النطق.

1 - سورة البقرة ، الاية 176.
2 - الكشاف الزمخشري ، ج 1 ، ص331.
3- سورة البقرة ، الاية 156.
4 - معاني القران الفراء، ج1 ، ص95.

وفي اللغة العربية يستخدم مصطلح "الحرف" للدلالة على شكل الكتابة والإشارة إلى الصوت، كما لا تدرس الأصوات من حيث تقسيماتها إلى صامتة وصائتة بل تدرس من حيث مخارجها.

ومن بيع اختلاف الحركات الإعرابية في الكلمة مثل قوله تعالى: ﴿إن يمسسكم قرْحٌ﴾[1] يقول الفراء: (وقُرح، وأكثر القراء على فتح القاف وقد قرأ أصحاب عبد الله: قُرْحٌ، وكأنّ القرح آلم الجراحات وكأنّ القرح الجراح بأعيانها وهو في ذاته مثل قوله: (أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم)[2] ووجدكم (والذين لا يجدون الاّ جهدهمُ)[3] وجهدهم، و (لا يكلّف الله نفسا إلا وسعها)ووسعها).[4]

و في تفسيره لقوله سحانه وتعالى﴿ أمْ نصيب من المُلك فإذا لا يؤتون النّاس نقيرا﴾.[5]

يقول: (النقير النقطة في ظهر النواة و "إذا" إذا استؤنف بها الكلام نصبت الفعل الذي في أوله الياء أو التاء أو النون أو الألف، فيقال: إذا أضْربَكَ إذا أجْزيَك، فإذا كان فيها فاء أو واو أو ثم أو "أو" حرف من حروف النسق،فإن شئت كان معناها معنى الاستئناف فنصبت بها أيضا، وإن شئت جعلت الفاء أو الواو إذا كانتا منها منقولتين عنها إلى غيرها...)[6]

و في موضع النّصب من قوله تعالى: ﴿يا تيني كنتُ معهمْ فأفوز فوزا عظيما﴾[7]

يقول (العرب تنصب ما أجابت بالفاء في ليت، لأنها تمنّ، و في التمنى معنى يسرّني أن تفعل فأفعل فهذا نصب كأنه منسوق، كقولك في الكلام: وددت أن أقوم فيتبّعني النّاس وجواب صحيح يكون لجحد ينوي

[1] - سورة آل عمران ، من الاية 140.
[2] - سورة الطلاق ، الاية 6 .
[3] - سورة التوبة ، الاية 79.
[4] - معاني القران الفراء ، ج2، ص234.
[5] - سورة النساء ، الاية 53.
[6] -معاني القران الفراء ، ج2، ص 273.
[7] - سورة النساء ، الاية 73.

في التمني، لأنّ ما تمنّى، مما قد مضى فكأنّه مجحود، ألا ترى أن قوله (ياليتي كنت معهم فأفوز) فالمعنى: لم أكن معهم فأفوز).[1]

أما في تفسيره الآية الكريمة من سورة الفاتحة ﴿غير المغضوب عليهم﴾[2] يبين الفراء محلّ لفظة "غير" من الإعراب وما صاحبها من معاني دقيقة تزيد المعنى جمالا وجلالا فيقول بخفض (غير) لوقوعها نعتا للذين، لا للهاء والميم من "عليهم" و إنما يجوز أن تكون "غير" نعتا لمعرفة، لأنها قد أضيفت إلى اسم فيه ألف ولام..)[3].

و في قوله تعالى: ﴿لا ستوي القاعدون من المؤمنين غيرُ أولى الضّرر﴾[4] يقول الفرّاء محلّلا محل لفظة (غير) من الإعراب وما صاحبها من معاني دقيقة تزيد المعنى جمالا وجلالا، رفعت "غيرُ" لوقوعها نعتا للفظة "القاعدين"، كما قال: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم غير (المعضنوب)﴾.[5]

وكما قال ﴿أوِ التابعين غير أولي الإربة من الرّجال﴾.[6]

وقد جاء أن (غير) نزلت بعد أن ذكر فضل المجاهد على القاعد، فكان الوجه فيه الاستثناء والنصب[7] إلاّ أن اقتران (غير) بالقاعدين يكاد يوجب الرفع، لأنّ الاستثناء ينبغي يكون بعد التمام، فتقول في الكلام: لا يستوي المحسنون والمسيئون إلا فلانا وفلانا وقد يكون نصبا على أنه حال كما قال : ﴿أُحلّت لكُم بهيمةُ الأنعام إلاّ ما يتلى عليكم غير مُحلّي الصيّد﴾[1] ولو قرنت خفضا لكان وجها: تجعل من من صفة المؤمنين).[2]

---

[1] - معاني القران الفراء ،ج2 ، ص 276.
[2] - سورة الفاتحة ، الاية 07.
[3] - معاني القران الفراء ،ج1 ، ص 07 .
[4] - سورة النساء ، الاية95.
[5] - سورة الفاتحة ، الاية .
[6] - سورة النور ، الاية 31.
[7] - وهي قراءة نافع وابن عامر والكسائي.

وفي السياق نفسه نجد أن الآية الكريمة ﴿صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾.[3] تحمل انتقالا حكيما من المبني للمعلوم في قوله تعالى : ﴿ أنعمت عليهم ﴾ إلى البناء للمجهول في "غير المغضوب" إذ يتجلّى معنى الدّعاء الذي يلهج به المصلون كل يوم.

يقول ابن الأثير(ت 637 ه) مشيرا إلى هذه المعاني الشريفة : (فأنظر إلى هذا الموضع وتناسب هذه المعاني الشريفة التي الأقدام لا تكادُ تطأها ، والأفهام مع قربها صافحة عنها)[4]. فجاء التعبير بإسناد النعمة إلى الله عز وجلّ.

أما الوصف فقد بُني للمجهول مع الغضب كل ذلك جعل من باب التلطف والرأفة في الخطاب كما جعله من باب تعظيم الخطاب وتفخيمة (لأن "مخاطبة الرّب تبارك وتعالى بإسناد النعمة إليه تعظيم لخطابه وكذلك ترك مخاطبته بإسناد الغضب إليه تعظيم لخطابه).[5] ومن روائع البناء للمعلوم و للمجهول في قوله تعالى : ﴿قُل أتدعون من دون الله ما لا بنفعنا ولا يضرنا ونُرَدُّ على أعقابنا بعد إذ هدانا الله﴾.[6]

إنّ السياق في الآية يجري على البناء للمعلوم لكن لفظة "نُرَدُّ" مبنية للمجهول، ويشرح محمد عبده هذا التلوين الدقيق ويحاول استجلاء سرّه فيقول:(التعبير بـــ نُردُّ المبني للمجهول بدل التعبير بـــ نرتدُّ أو نَرْجعُ والنكتة فيه أن هذا التحوّل المذموم ليس من شأنه أن يقع من عاقل، لأن العاقل إذا وصل إلى مرتبة عالية من العلم والكمال فإنه لا يختار الرجوع عنها واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير وأعلى فإذا كانت فطرته وعقله يأبيان عليه هذه الردة والنكوص فكيف يُرَدُّ ولا يريد؟).[7]

---

[1] - سورة المائدة ، الاية 1.
[2] - معاني القران الفراء ، ج2 ، ص 284.
[3] - سورة الفاتحة ، الايتان 6 ، 7.
[4] - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ابن الاثير ، تحقيق د ، أحمد الحوفي ، دار التراث ، القاهرة ، مصر ، 1976،ج2، ص174.
[5] - المصدر نفسه ، ج2، ص174.
[6] - سورة الأنعام ، الاية71.
[7] - تفسير المنار،ج7، ص523.

ومن التحليلات الإعرابية عند الفراء أيضا تفسيره لقوله تعالى : (قُل أغير الله أتّخذُ ولِيًّا فاطر السماواتِ)[1] يقول: (مخفوض في الإعراب تجعله صفة من صفات الله تبارك وتعالى ولو نصبته على المدح كان صوابا وهو معرفة، ولو نويت الفاطر الخالق نصبته على القطع، إذا لم يكن فيه ألف ولام ولو استأنفته فرفعته كان صوابا، كما قال: ﴿ربُّ السماوات والأرض وما بينهما الرحمن﴾.[2]

ولننظر إلى قوله تعالى: ﴿الطلاقُ مرتان فإمساكٌ بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ [3](جاءت الطلقة الثالثة بالرفع وذلك لأنها الطلقة الأخيرة والحكم معها يكون على وجه الدوام أما الإمساك بالمعروف أو التسريح الذي لا رجعة فيه فلم تأتي بالنصب لأن النصب موقوت ، مثل ذلك قول الله تعالى:﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب﴾[4] ، فجاءت لفضة (ضرب) منصوبة وذلك على تقدير الفعل أي فاضربوا ولو ولو يأت به بالرفع وذلك لأنه موقوت بالمعركة والأمر ليس بمستمر.[5]

كذلك من تحليلات الفراء الإعرابية في قول المولى سبحانه: ﴿فأخرجنا به نبات كل شيئ ﴾[6]يقول: (رزق (رزق كل شيء، يريد ما ينبت ويصلح غذاء لكل شيء، وكذا جاء التفسير، وهو وجه الكلام و قد يجوز في العربية أن تضيف النبات إلى كل شيء وأنت تريد بكل شيء النبات أيضا، فيكون مثل قوله ﴿إن هذا لهو حق اليقيين﴾[7] واليقين هو الحق وقوله: (من النّخل من طلعها قنوان دانية) الوجه الرفع في القنوان، لأن المعنى: ومن النخل قنوان دانية، ولو نصب: وأخرج من النخل من طلعها قنوانا دانية

---

[1] - سورة الأنعام ، الاية 14.
[2] - سورة النبأ ، الاية 37.
[3] - سورة البقرة ، الاية 229.
[4] - سورة محمد ، الاية 4.
[5] - ينظر التعبيرالقراني صالح فاضل السامرائي ، ص33.
[6] - سورة الانعام ، الاية 99 .
[7] - سورة الواقعة ، الاية 95.

لجاز في الكلام، ولا يقرأ بها لمكان الكتاب[1]).[2]

وقوله ﴿وجنات من أعناب﴾نصب إلا أن جمع المؤنث بالتاء يخفض في موضع النصب ولو رفعت "الجنات" تتبع[3] القنوان كان صوابا. وقوله: ﴿و في الأرض قطع متجاورات وجناتٌ﴾ (الوجه فيه الرفع تجعلها تابعة للقطع ولو نصبتها وجعلتها تابعة للرواسي والأنهار كان صوابا).[4]

أما في قوله تعالى:﴿هو أعلمُ مَنْ يَضِلُّ﴾.[5] يقول الفراء معلّلا سبب رفع "من"في الآية: ("من" في موضع رفع[6] كقوله: (لتعلمَ أيُّ الحزبين أحصَى)[7]، إذا كانت "من" بعد العلم والنظر والدراية مثل نظرت وعلمت ودريت. كانت في مذهب أي فان كان بعدها فعل لها رفعتها به وان كان بعدها فعل يقع عليها نصبتها كقولك : ما أدري من قام ترفع من بقام وما أدري من ضربت تنصبها بضربت) [8] موضع آخر يفسر الفراء قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِيدِ اللَّهُ أنْ يهْدِيهُ بشْرَحْ صدرهُ للإسلامِ ومنْ يُرِدْ أنْ ويضلَهُ﴾. [9]

يقول:("من" ومن في موضع رفع بالهاء التي عادت عليهما من ذكرهما. وقوله: ﴿يجعلْ صدرهُ ضيّقًا حرجًا﴾. قرأها ابن عباس وعمر "حرجَ"، وقرأها الناس "حَرَجًا" والحرج فيما فسر ابن عباس –الموضع الكثير الشجر الذي لا تصلُ إليه الراعية. قال: فكذلك صدْرُ الكافر لا تصل إليه الحكمة، وهو في كسره وفتحه بمترلة الوحد والوَحِد[10]، والفَردَ والفرِد، والدنَف والدنِف تقوله العرب في معنى واحد).[11]

---

[1] - يقصد بها الكتابة ورسم الملصحف.
[2] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص 347.
[3] - أي في الإعراب لا في حكمه (من النخل) والتقدير لهم جنات أو ثم جنات.
[4] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص346.
[5] - اسورة لأنعام ، الاية 117.
[6] - (من) اسم استفهام، فهو مبتدأ أو خبره جملة (يضل) وجملة المبتدأ والخبر في محلّ نصب علق عنه العامل وهذا مبني على جواز عمل اسم التفضيل في المفعول به وهو مذهب أهل الكوفة والبصريون يرفضونه ويجعلون (من) معمولا لفعل محذوف تقديره (يعلم)
[7] -سورة الكهف ، الاية 12.
[8] - معاني القران الفراء ،ج1 ، ص 352.
[9] - سورة الانعام ، الاية 125.
[10] - يقصد الواحد .
[11] - معاني القران الفراء ،ج1 ، ص354.

وقوله: ﴿كأنَّمَا يصّعدُ في السماء﴾يقول: ضاق عليه المذهب فلم يجد إلا أن يصعد في السماء وليس يقدر، وتقرأ (كأنّما يصّاعد) يريد يتصاعد و (يَصْعد) مخفّفة).[1]

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ إن المتفقين في جنّات النّعيم فاكهين بما أتاهم ربّهم ووقاهم ربّهم عذاب الجحيم﴾[2]وفي موضع آخر من القرآن الكريم: ﴿وإذا انقلبُوا إلى أهلهم انقلبُوا فكِهين﴾.[3]

فجاءت في سورة المطففين لفظة "فاكهين" بمدّ الفاء وفي الموضع الآخر جاءت لفظة "فكهين"بدون مدّ. وفي قوله جلّ جلاله: ﴿فلعلك تاركٌ بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك﴾.[4]

إن الاستعمال الشائع هو لفظة (ضيّق) والآية يحتوي على لفظة (ضائق) فهنا التفات بديع وميل إلى صيغة (فاعل) وهذا مما يثير الانتباه والتأمل.

يتساءل الزمخشري قائلا: (فإن قلت لم عدل عن ضيق إلى ضائق؟).[5]

ويشرح أبو حيان التوحيدي (ت 745هي) هذا الاستعمال بقوله: (وعبر بضائق دون ضيق للمناسبة في اللفظ مع تارك).[6]

أما رأي القرطبي (ت 671هــ) فيحيزه بقوله: (وقال ضائق و لم يقل ضيق يشاكل تارك الذي قبله).[7]

فالاختلاف الوارد بين الصيّغتين (ضيّق وضائق) وغيرها من الصّيغ يدفعنا للبحث عن الفرق الموجود بينهما، وفيها أيضا إشارة إلى حال الموصوفين وحقيقة الموسومين فيها.[8]

---

[1] - المصدر نفسه ، ج1 ، ص354.
[2] - سورة الطور، الايتان 16،15.
[3] - سورة المطففين ، الاية 31.
[4] - سورة هود ، الاية 12 ..
[5] - الكشاف الزمخشري ، ج, ، ص261.
[6] - البحر المحيط الفيروز الابادي ،ج6، ص129.
[7] - الجامع لأحكام القرآن القرطبي ،ج9، ص12.
[8] - ينظر أسلوب الالقات في القران الكريم وأسراره مصطفى شريقن ، ص296.

ومن الأمثلة العديدة للصيغ كلمة "حذِر" و "حاذرون" فصيغة "فعل" تدلّ على ثبات الصفة ولزومها، وعليه و "حذر" صفة لمن كان الحذر لازما له.

أما صيغة (فاعل) دالة على الحدوث والتجديد، فلفظة "حاذر" ليست فيما مضى و لا يزال ، ولكن فيما يستقبل من الزمان، فجاء تفسيرها حذرون في الحال، وحاذرون في المال.[1]

وجلّ النحاة يفرّقون بين صيغتي "حذر وحاذر" منهم الكساتي والفراء، فيذهبون إلى القول بأن (معنى الحذر حذر في خلقته أي متيقّظ متنبّه. فإذا كان هكذا لم يتعد ومعنى حاذر مستعدّ وبهذا جاء التفسير عن المتقدّمين).[2]

أما سبويه(ت 180 ه) فذهب إلى أن "حذر" ينصب المفعول به.[3]

*مثل ذلك قول الفراء في تفسير الآية الكريمة:﴿إنّ الذينَ فرَّقُوا دِينهم﴾[4] يقول (قرأها عليّ فارقوا وقال: والله ما فرّقُوهُ، لكن فارقوه، وهم اليهود والنصارى، وقرأها الناس (فرّقوا دينهم) وكلّ وجه).[5]

والخلاصة مما سبق أن الحركات الإعرابية لها ضرورة لغوية في توجيه المعنى وإبراز جمالياته، فهي سمة بارزة في اللغة العربية وبفقدانها تفقد شطر الحسن لذا يمكن القول إن الإعراب مظهر جمالي وصورة دلالية في آن واحد، يقول ابن قتيبة (ت 276 ه) ملخّصا وظيفة الحركة الإعرابية : (ولها الإعراب الذي جعله الله وشيّا لكلامها وحلية لنظامها، وفارقا في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين والمعنيين المختلفين كالفاعل

[1] - البحر المحيط الفيروز الابادي ،ج8، ص157.
[2]- الجامع لأحكام القران ، القرطبي ،ج13، ص102
[3] - الجامع لأحكام القران ، القرطبي ، ج13 ، ص 101.
[4] - سورة الأنعام ، الاية 159.
[5] - معاني القران الفراء ، ج1، ص366.

فالحركة ميزان المعنى توجه العربي سليقة إلى المعنى المراد[2] وامثلة الفراء مليئة بالتحليلات الإعرابية الدقيقة والتي يبيّن من خلالها مساهمة الظواهر الإعرابية في جمال ودقة المعنى والتعبير وبالتالي تحقيق عنصر من أهم عناصر الدرس البلاغي وهو الجانب الدلالي.

2) الجانب الثقافي للآية المفسرة:

مما لا شك فيه أن تناول الجانب الثقافي والمعرفي للآية القرآنية أثناء تفسيرها أمر تطرّق إليه العلماء المفسرون وحظي لديهم بالعناية والاهتمام، ذلك أن الاطلاع على سياق العام للآية القرانية من أحداث تاريخية، و قصص الأنبياء و غيرها من الوقائع التاريخية، واستيعابه كفيل بتسهيل عملية التوضيح والتأثير اللذان يعدّان من أهداف البلاغة العربية.

ومن بديع الأمثلة الواردة في كتاب الفراء نستهلها بقوله في تفسير الله عز وجل: ﴿فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون﴾.[3]

(قد كانوا في شغل من أن ينظروا مستورين بما اكتنفهم من البحر أو يروا فرعون وغرقه، ولكنه في الكلام كقولك: قد ضُربت وأهلك ينظرون فما أتوك ولا أغاثوك: يقول: فهم قريبٌ بمرأًى ومسمَع ومثله في القرآن﴿ألم ترَ إلى ربك كيف مدّ الظلّ﴾.[4] وليس هاهنا رؤية إنّما هو علم فرأيت أن يكون على مذهبين:

1 - تأويل مشكل القران ابن قتيبة ، ص14.
2 - ينظر أسلوب الالتفات في القران الكريم وأسراره مصطفى شريقن ، ص384.
3 - سورة البقرة ، الاية 50.
4 - سورة الفرقان ، الاية45.

رُؤية العلم ورؤية العين، كما تقول: رأيت فرعون أعتى الخلق وأخبثة، و لم تره إنما هو بلغك، ففي هذا

[1]

فمعرفة قصة فرعون وغرقه في البحر ساعدت في استجلاء معاني الاية وشرح قوله تعالى (وانتم تنظرون

.

كذلك في قوله تعالى: ﴿وإذْ آتيْنَا مُوسى الكتابَ والفرقانَ لعلّكم تهتدون﴾[2]

فيه حديث عن نبي الله موسى عليه السلام فيشرح الفراء مفسرا معاني الآية بالاعتماد على الجانب التاريخي لها فيقول: (أن يكون أراد "وإذ آتينا موسى الكتاب" يعني التوراة، ومحمدا صلى الله عليه وسلم "الفرقان"، "لعلكم تهتدون"، وقوله: "وإذ آتينا موسى الكتاب" كأنّه خاطبهم فقال: قد آتيناكم علم موسى ومحمد عليهما السلام "لعلكم تهتدون"، لأن التوراة أنزلت جُملة و لم تنزل مفرقة كما فرق القرآن، فهذا وجه. والوجه الآخر أن تجعل التوراة هدًى والفرقان كمثله، فيكون: ولقد آتينا موسى الهدى كما آتينا محمّد صلى الله عليه وسلّم الهدى، وكلّ ما جاءت به الأنبياء فهو هدًى ونور وإن العرب لتجمع بين الحرفين وإنّهما لواحد إذا اختلف لفظاهما...قال بعض المفسرين: الكتابُ التوراةُ والفرقان انفراق البحر لبني إسرائيل وقال بعضهم: الفرقان الحلال والحرام الذي في التوراة).[3]

جاء في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿المنَّ والسلوى﴾[4] (بلغنا أن المنّ هذا الذي يسقط على الثُّمام[5]

[1]- معاني القران الفراء ، ج1 ،ص36.

[2] - سورة البقرة ، الاية 53.

[3] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص37.

[4] - سورة البقرة من الاية 57.

[5] - الثمام: نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص.

والعُشر[1]، وهو حلو كالعسل، وكان بعض المفسرين يسمّيه التَّرَنْجبين[2] الذي نعرف، وبلغنا أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: :"الكمأة من المنّ وماؤها شفاء للعين"[3]. وأما السلوى فطائر كان يسقط عليهم لما

ومن بديع ما فسره الفرّاء وأوضح معناه بالارتكاز على حدث تاريخي وذلك في الآية الكريمة : ﴿قد علم كلّ أناس مشربهم﴾[6].

يخبرنا الفراء فيقول: (فإن القائل يقول: وما حاجة القوم إلى أن يعلموا مشاربهم ونحن نرى الأنهار قد أُجريت لقوم بالمنّ من الله والتفضّل على عباده. : قد علم كلّ أُناسٍ مشربهم، لغيرهم؟ وإنّما كان ذلك –والله أعلم– لأنه حجر انفجرت منه اثنتا عشرة عين على عدد الأسباط لكل بسط عين، فإذا ارتحل القوم أو شربُوا ما يكفيهم عاد الحجرُ كما كان وذهبت العيون فإذا احتاجوا انفجرت العيون من تلك المواضع فأتى كل سبط عينهم التي كانوا يشربون منها)[7]

ويتجلّى أيضا الجانب الثقافي للآية من خلال تفسير الفراء لقوله تعالى:﴿إلاّ أيّاما معدودةً﴾[8] يقول: (كيف جاز في الكلام:لآتينك أياما معدودة، و لم يبيّن عددها؟)[9] ويواصل الفراء قوله مبررا جزءا من قصة العجل(وذلك أنّهم نوَوا الأيام التي عبدوا فيها العجل، فقالوا: لن تعذّب في النار إلا تلك الأربعين ليلة التي

---

[1] - العشر: شجر من العضاه كبار الشجر وله صمغ حلو.
[2] - الترنجبين: تأويلة عسل الندى، وهو طل يقع من السماء نذي شبيه بالعسل جامد متحبب يقع على بعض الأشجار بالشام وخراسان.
[3] - حديث رواه الشخان وغيرهما وينظر الجامع الصغير في حرف الكاف.
[4] - أجم الطعام واللبن وغيرها: كرهه وملّه من المداومة عليه.
[5] - معاني القران الفراء ، ج1، ص38.
[6] - سورة البقرة ، الاية 60.
[7] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص41.
[8] - سورة البقرة من الاية 80.
[9] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص50.

عبدنا فيها العجل، فلما كان معناها مؤقتا معلوما عندهم وصفوه بمعدودة ومعدودات، فقال الله: قل يا

وفي السياق نفسه يفسر قول اليهود في الاية الكريمة : ﴿ اتحدّثونهم بما فتح الله عليكم﴾[2] يقول الفراء: (هذا من قول اليهود لبعضهم، أي لا تحدّثوا المسلمين بأنكم تجدون صفة محمد صلّى الله عليه وسلّم في التوراة وأنتم لا تؤمنون به، فتكون لهم الحجّة عليكم)[3].

فبمعرفتنا لحيثيات مناسبة الآية علمنا الأمر الذي كره اليهود اطلاع المسلمين عليه فبان المعنى العميق واتضح و في موضع آخر قوّل المولى عز وجل ﴿قلْ إن كانت لكم الدارُ الآخرة عند الله خالصة من دون النّاس فتمنّوُا الموت﴾[4]. يقول الفراء: (إن كان الأمر على ما تقولون من أن الجنة لا يدخلها إلا من كان يهوديا أو نصرانيا (فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) فأَبَوا)[5] ويذكر الفراء حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي قاله فيهم والله لا يقوله أحدٌ إلا غصّ بريقه)[6]، ثم إنه وصفهم فقال: (ولتجدّنّهم أحرص من الذين أشركوا على الحياة).[7]

أيضا تفسير الفراء لقوله تعالى: ﴿قُلْ من كان عدوّا لجبريل فإنّه نزّله على قلبك﴾.[8]

("يعني القرآن" "على قلبك"، هذا أمر الله أمر به محمدا صلى الله عليه وسلّم فقال: قل لهم لما قالوا عدوّنا جبريل وأخبره الله بذلك ، فقال: (قل من كان عدوّا لجبريل فإنّه نزّله على قلبك) يعني قلب محمد صلى الله عليه وسلّم فلو كان في هذا الموضع "على قلبي" وهو يعني محمّد صلى الله عليه وسلّم لكان صوابا، ومثله في

[1]- المصدر نفسه ، ج1 ، ص50
[2] - سورة البقرة ، الاية 76.
[3] - معاني القران الفراء ،ج1، ص50.
[4] - سورة البقرة ، الاية 94.
[5] - معاني القران الفراء ،ج1، ص62.
[6] - هكذا نص الحديث في كل الأصول.
[7] - معاني القران الفراء ،ج1 ، ص62.
[8] - سورة البقرة ، الاية 97.

الكلام: لا نقل للقوم ان الخير عندي وعندك، أمّا عندك فجاز، لأنه كالخطاب ، وأمّا عندي فهو قول المتكلم بعينه. يأتي هذا من تأويل قوله (ستغلبون) و (سُيغْلبُون) [1] بالتاء و بالباء).[2]

أما في قوله تعالى:﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا﴾[3]

يشرح الفراء الآية بقوله: (هو من الإرعاء والمراعاة و في قراءة عبد الله "لا تقولوا راعُونا".[4]

ويستأنف الفراء موضحا الجانب التاريخي أومناسبة نزول الآية الكريمة فيقول(وذلك أنها كلمة باليهودية شتم، فلما سمعت اليهودُ أصحاب محمد صلى اله عليه وسلّم يقولون: يانبي الله راعنا، اغتنموها فقالوا: قد كنّا نسبّه في أنفسنا فنحن الآن قد أمكننا أن نظهر له السبّ، فجعلوا يقولون لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم: راعنا، ويضحك بعضهم إلى بعض ففطن لها رجل من الأنصار[5] ، فقال لهم: والله لا تقولوا راعنا) ينهى المسلمين عنها، إذ كانت سبّا عند اليهود...).[6]

ويتحدّث الفراء في موضع آخر من تفسيره معاني القرآن عن حدث تاريخي قول الله عز و جل ﴿أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلاّ خائفين﴾.[7]

يقول: (هذه الروم كانوا غزوا بين المقدس فقتلوا وحرّقوا وخرّبوا المسجد، وإنما أظهر الله عليهم المسلمين في زمن عمر –رحمه الله–فبنوه، و لم تكن الروم تدخله إلاّ مستحقين، لو عُلم بهم لقتلوا).[8]

و في قوله تعالى: ﴿وإذا جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا﴾، يفسر الفراء قوله تعالى: "وأمنا" بقوله: (إن من جنى جناية أو أصاب حدّا ثم عاد بالحرم لم يُقم عليه حدّه حتّى يخرج من الحرم ويؤمر بألاّ يخالط ولا يبايعَ،

---

[1] - سورة آل عمران ، الاية 12.
[2] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص63.
[3] - سورة البقرة ، الاية 104 .
[4] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص 69.
[5] - هو سعد بن معاذ الأنصاري الأوسي رضي الله عنه وكان يعرف لغتهم، توفي سنة خمس من الهجرة.
[6] - معاني القران الفراء ، ج1، ص69 ،70.
[7] - سورة البقرة الاية 114.
[8] - معاني، القران الفراء ج1 ص74.

وأن بضيّق عليه حتى يخرج ليقام عليه الحدّ، فذلك أمنه، ومن جنى من أهل الحرم جناية أو أصاب حدّا أقيم عليه في الحرم).[1]

ويذكر الفراء في تفسيره لقول المولى عز وجل: ﴿صبغة الله﴾[2] موضوع الختانة في ذلك العهد فيقول: (نصب، مردودة على الملّه، وإنما قبل "صيغة الله" لأن بعض النصارى كانوا إذا وُلد مولود جعلوه في ماء لهم يجعلون ذلك تطهيرا له كالختانة وكذلك هي في إحدى القرائتين، قل "صبغة الله" وهي الختانة، اختتن إبراهيم صلى الله عليه وسلّم فقال: قل: "صبغة الله" يأمر بها محمدا صلى الله عليه وسلّم فجرت الصبغة على الختانة لصبغهم الغلمان في الماء ولو رفعت الصبغة والملة لكان صوابا).[3]

و في قوله عز وجل: ﴿ وما كان ليضيع إيمانكم﴾.[4]

يقول الفراء معناها أسند الإيمان إلى الأحياء من المؤمنين والمعنى فمن مات من المسلمين قبل أن تحوّل القبلة فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: كيف بصلاة إخواننا الذين ماتوا على القبلة الأولى؟ فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿و ما كان الله لضيع إيمانكم﴾ يريد إيمانهم لأنهم داخلون معهم في الملّة، وهو كقولك لقوم: قد قتلناكم وهزمناكم تريد: قتلنا منكم، فنواجههم بالقتل وهم أحياء).[5]

ويشرح الفراء معنى قوله تعالى : ﴿ وإن تُصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك﴾[6] (وذلك أن اليهود لمّا أتاهم النبي صلى الله عليه وسلّم بالمدينة قالوا: ما رأينا رجلا أعظم

[1] - المصدر نفسه ،ج1 ، ص77.
[2] - سورة البقرة من الاية 138.
[3] - معاني القران الفراء ، ج1، ص83.
[4] - سورة البقرة ، الاية 143.
[5] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص84.
[6] - سورة النساء ، الاية 78.

شؤما من هذا، نقصت ثمارنا وغلت أسعارنا، فقال الله تبارك وتعالى: إن أمطروا وأخصبوا قالوا: هذه من عند الله، وإن غلت أسعارهم قالوا: هذا من قبل محمد صلى الله عليه و سلّم).[1]

وعلى هذا المنوال من التفسير المرتبط بذكر مناسبة الآية واحداثها، فسرّ علمؤنا آيات القرآن الكريم من ذلك مثلا تفسير قوله تعالى﴿قل فمن يملك لكم من الهن شيئا إن أراد بكم ضرّا أو أراد بكم نفعا﴾.[2]

وقوله سبحانه: ﴿قُل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا﴾.[3]

يقول: (فزاد "لكم" في آية الفتح و لم يذكر مثل ذلك في المائدة والسبب أن الخطاب في سورة الفتح مختص بالمخلفين من الأعراب قال تعالى: ﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفرلنا﴾ فلما كان الخطاب مختصا بهؤلاء زاد "لكم" لأن المخاطب موجه لهم. أما الخطاب في سورة المائدة فعام وليس منغلقا بجماعة معيّنة.

قال تعالى: ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله سيئا إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا﴾. فغابت لفظة "لكم" في الخطاب ليكون عاما.

و في السياق نفسه نرى أن جلّ مفسري القرآن الكريم يعتمدون على الجانب الثقافي المحيط بالآية أو سبب نزولها من ذلك مثلا ما ورد في تفسير "درة التتريل" عن هاتين الآتين (نزلت في قوم تخلفّوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم من غير عذر وتأخروا عن الجهاد وقالوا شغلتنا أموالنا وأهلونا ثم سألوه صلى الله عليه وسلّم أن يستغفر لهم يكتمون بذلك نفاقهم ويظهرون وفاقهم وقصدهم و استمالته كيلا تضرهم

---

[1] - معاني القران الفراء ، ج1، ص278.
[2] - سورة الفتح ، الاية 11.
[3] - سورة المائدة ، الاية 17.

عداوته فقال عز وجل: ﴿قل فمن يملك لكم من الله شيئا أن أرادبكم ضرّا أو أرادبكم نفعا﴾.[1] فلما كان في مقام التخصيص ذكر لفظة "لكم" للتوضيح والإبانة، أما في سورة المائدة فنزلت في عموم القوم دليله أنه أراد أن يُهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا، فلّما سبقت الآية إلى العموم لم تحتج إلى "لكم" التي للخصوص).[2]

وفي موضع آخر، جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا بواري سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير﴾.[3]

جاء في تفسير هذه الآية: (إنه تعالى لما ذكر واقعة آدم في انكشاف العورة أنه كان يخصف الورق عليها اتبعه بأن بيّن أنه خلق اللّباس للخلق ليستّروا بها عورتهم ونبه به على المنة العظيمة على الخلق بسبب أنه أقدرهم على التستر).[4]

وفي سورة التين: ﴿والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين..﴾[5]،يطلعنا المفسرون على جانب معرفي دقيق لهذه السورة والمقصود بها فقد قيل: (المقصود بالتين والزيتون جبلان من الأرض المقدسة يُقال لهما بالسريانية طورتينا وطور زيتا لأنهما منبتا التين والزيتون).[6]

ويشرح ابن كثير في تفسيره زخمًا معرفيا دقيقا يطلعنا عليه في الآية الكريمة فيقول : (هذه محالٌّ ثلاثة بعث الله في كل واحد منها نبيا مرسلا من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار، فالأول محلة التين والزيتون وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى ابن مريم عليه السلام، والثاني طور سنين وهو طور سيناء الذي

---

[1] - سورة الفتح ، الاية 11.
[2] - درة التنزيل وعزة، التأويل، الخطيب الاسكافي منشوّرات دار الآفاق الجديدة، بيروت،ط$_1$، 1393هـ، 1973م، ص94.
[3] - سورة الأعراف من الآية 26.
[4] - التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، المطبعة البيهية، مصر ط1، دت ج14، ص51.
[5] - سورة التين الايتان1-2.
[6] - التفسير الكبير، فخرالدين الرازي ج 32، ص9.

كلم الهص عليه موسى بن عمران، والثالث مكة وهو البلد الامين الذي من دخله كان امنا وهو الذي ارسل فيه محمدا صلّى الله عليه وسلم).[1]

من ناحية أخرى، نجد أن المولى سبحانه في سورة التين، وضع "طورسنين" بجوار "الزيتون" لا بجوار التين، وقد جاء ذكر الزيتون بهذا الوضع – أي بجوار الطور – في موطن آخر من التتريل العزيز[2]

في قوله تعالى : ﴿وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالده ن وصبغ للآكلين)[3]وقد أجمع المفسرون على أن الشجرة المقصودة هنا هي شجرة الزيتون، (فالمسفرون كلهم يقولون إن المراد بهذه الشجرة شجرة الزيتون﴾.[4]

أما في قوله تعالى: ﴿قال ربّ السّجن أحبّ إليّ مما يدعو نني إليه وإلاّ تصرف عني كيد هن أصب إليهن وأكن من الجاهلين﴾[5] .

يعلّق المفسرون هذه على هذه الآية وتحديدا في قوله تعالى: "ممّا يدعونني إليه" (فيه إيماء إلى أنهنّ خوّ فنه مخالفتها، وزيّن له مطاوعتها فقلن له: أطع مولاتك وأنلها ما تهوى لتكفي شرها، وتأمن عقوبتها).[6]

ويفسر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور الآية الكريمة مبرزا سبب إسناد ضمير النسوة إلى الفعل مع أن الداعية امرأة واحدة يقول: (إما لأن تلك الدعوة من رغبات صنف النساء، وإما لأن النسوة اللاتي جمعتهن

---

[1] - تفسير ابن كثير عسي البابي الحلبي ،دار اجياء الكتب العربية ، بيروت ، ط1 ،د ت ، ج$_4$، ص526.

[2] - ينظر في ظلال القرآن، سيد قطب،ط$_1$، ص30 ، 193.

[3]- سورة المؤمنون ، الاية 20.

[4]- فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر ، ط1 ، 1349هـ،ج3، ص 463 وينظر:روح المعاني في تفسير القرآن الكريم، لشهاب الدين السيّد محمود الألوسي، دار اجياء التراث العربي،ط 1– د ت، ج30، ص173.

[5]- سورة يوسف ، الاية 33.

[6]- تفسير المراغي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1 ،د ت ،ج12، ص141.

إمرأة العزيز لما سمعن كلامها لأن على لوم يوسف عليه السلام وتحريضه على إجابة الداعية وتحذيره من وعيدها بالسجن).[1]

ويطلعنا الزمخشري في تفسيره على الجانب المعرفي المعتمد في شرح الآية: ﴿ ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين وتلك النعمة تمنها علىّ أن عبدت بني إسرائيل﴾.[2]

فالملاحظ أن الضمير في منكم وخفتكم جاء على صيغة الجمع وأفرد في لفظتي "تمنها" و "عبدت" يقول الزمخشري (ذلك لأن الخوف والفرار لم يكونا من فرعون وحده ولكنه منه ومن ملئه المؤتمرين بقتله بدليل قوله(إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك)[3]، وأما الامتنان فهو من فرعون وحده وكذلك التعبيد).[4]

جاء في تفسير قول المولى سبحانه: ﴿لو لا نُزلت سورة﴾[5] وقوله أيضا﴿فإذا أنزلت سورة﴾[6] (فإنما ذكر ذكر في الأوّل نزّل والثاني "أنزل"، تنبيها أن المنافقين يقترحون أن ينزل شي فشيء من الحث على القتال ليتولّوه وإذا أمروا بذلك دفعة واحدة تحاشوا عنه فلم يفعلوه، فهم يقترحون الكثير ولا يفون منه بالقليل).[7]

ومما جاء في تفسير الفراء لقوله تعالى: ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف﴾[8] من ابراز قصة الآية وجوّها العام الذي ساهم في وضوح المعاني، وعمق دلالاتها فيقول: (هذا نزل في سرايا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها، فإذا غلبوا أو غلبوا بادر المنافقون إلى الاستخبار عن حال السرايا، ثم أفشوه قبل

---

[1]- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر –تونس- ط 1 ،1984، ج12، ص266.
[2]- سورة الشعراء ، الايتان 20 ، 21.
[3]- سورة القصص ، الاية 19.
[4]- الكشاف الزمخشري، ج3، ص 456.
[5]- سورة محمد من الآية 21 .
[6]- نفس السورة والاية 21.
[7]- معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق نديم مرعشلي،دار الكتاب العربي، ط 1 ،1392هـ ، 1972م، ص510.
[8]- سورة النساء ، الاية 83.

أن يفشيه رسول الله صلىّ الله عليه وسلم أو يحدثه، فقال "أذاعوا به"، يقول أفشوه ولو لم يفعلوا حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يخبر به لكان خيرا لهم أو ردوه إلى أمراء السرايا، فذلك قوله ﴿ ولوردوه إلى الرسول ولى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾.[1]

ومن مواطن ذكر الجانب المعرفي الثقافي أيضا في تفسير الفراء للآيات القرآنية، مما يجعل المعاني تجلو أمامنا وتكشف عن أسرارها، وتغوص بنا في جماليات وبدائع المعاني، يقول الفراء في قوله تعالى:﴿ فما لكم في المنافقين فئتين﴾.[2]

(إنما كانوا تكلموا في قوم هاجروا إلى المدينة من مكة، ثم ضجروا منها واستوخموها، فرجعوا سرا إلى مكة،فقال بعض المسلمين: إن لقيناهم قتلناهم وسلبناهم، وقال بعض المسلمين، أتقتلون قوما على دينكم أن استوخموا المدينة، فجعلهم الله منافقين فقال الله فما لكم مختلفين في المنافقين، فذلك قوله "فئتين"..) إلى آخر تفسير الآية الكريمة، فمعرفتنا بجو الآية ومناسبتها وأحداثها كفيل بتوضيح دلالة الألفاظ ومقاصدها مما يسمح بترسيخ المعنى في الذهن وولوجه الى النفس وتأثيره فيها.

و من بديع مافسره الفراء كذلك قول المولى جل شأنه﴿إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾[3] يقول الفراء: (إذا واثق القوم النبي صلى الله عليه وسلم ألا يقاتلوه ولا يعينوا عليه، فكسبوا صلحا لم يحل قتاله، فذلك قوله "يصلون" معناه: يتصلون بهم...).[4]

وفي قوله تعالى ﴿فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن﴾ يقول (كان الرجل يسلم في قومه وهم كفار فيكتم إسلامه، فمن قتل وهو غير معلوم إسلامه من هؤلاء أعتق قاتله رقبة ولم تدفع ديته إلى الكفار فيقووا

[1]-معاني، القران ،الفراء ج1 ص279.
[2]- سورة النساء الاية 88.
[3]- سورة النساء الاية.90
[4]- معاني، القران الفراء ج1 ص281.

بها على أهل الإسلام، وذلك إذا لم يكن بين قومه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فإن كان عهد جرى مجرى المسلم).[1]

وفي موضع آخر يذكر الفراء تفسيره لقول الله عز وجل:﴿ ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا﴾ (ذكروا أنه رجل سلم على بعض سرايا المسلمين، فظنوا أنه عائذ بالإسلام وليس بمسلم فقتل وقرأه العامة: السلم والسلم: الاستلام والإعطاء بيده).[2]

وفي قول الله عز وجل: ﴿إذ جعل فيكم أنبياء﴾ [3] يقول الفراء(يعني السبعين الذين اختارهم موسى ليذهبوا معه إلى الجبل، سماهم أنبياء لهذا)[4]

ولنتأمل أيضا تفسيره وهو يخبرنا عن حادثه وقعت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت سببا لنزول قوله تعالى: ﴿لاتنسآلوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾.[5]، يقول الفراء (خطب النبي صلى الله عليه وسلم الناس،وأخبرهم أن الله تبارك وتعالى قد فرض عليهم الحج، فقام رجل فقال: يارسول الله أوفي كل عام؟ فأعرض عنه، ثم عاد فقال، أي كل عام؟ فأعرض عنه ثم عاد، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (ما يؤمنك أن أقول نعم فيجيب عليكم ثم لا تفعلوا فتكفروا؟ أتركوني ماتركتم)[6] ويكمل الفراء بقية تفسيره للآية من الجانب النحوي.

و في قوله تعالى ﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام﴾[7]ويكمل الفراء المقصود بالسائبة والوصلة والحام المذكورين في الآية انطلاقا مما هو متداول عند العرب آنذاك فيقول(قد اختلف في

معاني القران الفراء ج1، ص283.
[2]- المصدر نفسه ج1 ص283
[3]- سورة المائدة الاية 2
[4]- معاني، القران الفراء ج1 ص303.
[5]- سورة المائدة ، الاية 101 .
[6]- معاني القران،الفراء ج1 ص321
[7]- سورة المائدة ، الاية 103.

السائبة، فقيل: كان الرجل يسيب ماله ما شاء، يذهب به إلى الذين يقومون على خدمة آلهتهم، قال بعضهم: السائبة إذا ولدت الناقة عشرة أبطن كلهن إناث سيبت فلم تركب و لم يجز لها وبر، و لم يشرب لبنها إلا ولدها أو ضيق حتى تموت، فإذا ماتت آكلها الرجال والنساء وبحرت أذن ابن ابنتها، يريد – خرقت– فالبحيرة ابنة السائبة، وهي بمنزلة أمها، وأما الوصيلة فمن الشاة، إذا ولدت الشاة سبعة أبطن عناقين[1]، فولدت في سابعها عناقا وجديا قيل: وصلت آخاها فلا يشرب لبنها النساء وكان للرجال، وجرت مجرى السائبة، وأما الحامي فالفحل من الإبل، كان إذا لقح ولد ولده حمى ظهره، فلا يركب ولا يجز وبره ولا يملح من مرعى).[2]

ويعرفنا الفراء بالمقصود من قوله تعالى: ﴿ يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾[3] بسرد مناسبة هذه الآية يقول في ذلك (ذكر أن عمر بن الخطاب قال لعبد الله بن سلام : ما هذه المعرفة التي تعرفون بها محمدا صلى الله عليه وسلم؟ قال: والله لأنابه إذا رأيته أعرف مني بإبني وهو يلعب مع الصبيان، لأني لا أشك فيه أنه محمد صلى الله عليه وسلم، ولست أدري ما صنع النساء في الابن، فهذه المعرفة لصفته في كتابهم).[4]

ومن الأحداث التاريخية الواقعة في عهد الإسلام يروي لنا الفراء من خلال تفسيره المقصود من قوله تعالى: ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم﴾[5] يقول موضحا دلالة الآية الكريمة:(يقول القائل: وكيف يطرد رسول الله الله صلى الله عليه وسلم من يدعو ربه حتى ينهى عن ذلك؟، فإنه بلغنا أن عيينة بن حصن الفزاري دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده سلمان وبلال وصهيب وأشباههم، فقال عيينا: يارسول الله لونحيت

[1]- العناقين مفردها، العناق: الأنثى من ولد المعز.
[2]- معاني القران الفراء ، ج1، ص322.
[3]- سورة الأنعام ، الاية 20.
[4]- معاني القران الفراء ، ج1، ص329.
[5]- سورة الأنعام ، الاية 52.

هولاء عنك لأتاك أشراف قومك فأسلموا، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾.[1]

وفي قول المولى سبحانه قل ﴿ هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم﴾.[2]

يقول الفراء قائلا: (كما فعل بقوم نوح: المطر والحجارة والطوفان "أو من تحت أرجلكم": الخسف أو يلبسكم شيعا: يخلطكم شيعا ذوي أهواء)[3]

ويضع الفراء أمامنا مناسبة نزول قوله تعالى: ﴿يدعونه إلى الهدى ائتنا﴾[4] فيقول: (كان أبوبكر الصديق وامرأته يدعوان عبد الرحمن ابنهما إلى الإسلام، فهو قوله: "إلى الهدى ائتنا" أي أطعنا ولو كانت (إلى الهدى أن ائتنا) لكان صوابا، كما قال ﴿إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك﴾[5] في كثير من أشباهه يجيء بأن ويطرحها).[6]

ولنتأمل شرحه وتحليله لقول المولى سبحانه: ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر﴾[7] وهو يطلعنا عن سبب خفض لفظة "آزر": (آزر في موضع خفض ولا يجرى لأنه أعجميّ وقد أجمع أهل النسب على أنه ابن تارح، فكأنّ آزر لقب له، وقد بلغني أن معنى "آزر" في كلامهم معوّج. كأنه عابه بزيغه وبعوجه عن الحق..).[8]

ويضيف الفراء مفسرا قول الله عز وجل﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه﴾[1] يقول موضحا

1- معاني القران الفراء ، ج1 ، ص336.
2- سورة الأنعام ، الاية 65.
3-معاني القران الفراء ، ج1 ، ص338.
4- سورة الأنعام من الاية 71.
5- سورة نوح ، الاية 1.
6- معاني القران الفراء ، ج1 ، ص339.
7 - سورة الأنعام ، الاية 74.
8 - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص340.

معاني الآية من خلال ذكر مناسبة الآية فقول(وذلك أنهم قالوا له: أما تخاف أن تخبلك آلهتنا لسبّك إياها؟ فقال لهم: أفلا تخافون أنتم ذلك منها إذ سوّيتم بين الصغير والكبير والذكّر والأنثى أن يغضب الكبير إذ سوّيتم به الصغير ثم قال لهم: أمن يعبد إلها واحدا أحق أن يأمن أم من يعبد آلهة شتّى؟ فقالوا: من يعبد إلها واحدا، فغضبوا على أنفسهم، فذلك قوله: (وتلك حجّتنا آتيناها إبراهيم على قومه).[2]

ومن الأمثلة القرآنية كذلك قول الله سبحانه: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾[3]، يوضح الفراء دلالات الآية القرآنية من خلال إطلاعنا على الحدث الذي أدى إلى نزولها فيقول: (المقسمون الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بالآية التي نزلت في الشعراء ﴿ إن نشأ نترّل عليهم

---

[1] - سورة الأنعام ، الاية 83

[2] - معاني القران الفراء ، ج1، ص341.

[3] - سورة الانعام ا، الاية 109.

من السمّاء آية فظلّت أعناقهم لها خاضعين﴾.[1]

فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزلها وحلفوا ليؤمنن، فقال المؤمنون: يارسول الله سلْ ربك

ينزلها عليهم حتى يؤمنوا، فأنزل الله تبارك وتعالى: قل للذين آمنوا: وما يشعركم أنهم يؤمنون، فهذا

وجه النصب في أنّ).[2]

ومن بديع تفسيرات الفراء وهو يخبرنا عن معنى قوله سبحانه: ﴿ يامعشر الجنّ قد استكثرتم﴾.[3]

يقول: (قد أضللتم كثيرا. وقوله: وقال أولياؤهم من الإنس ربّنا استمتع بعضها ببعض فالاستمتاع من

الإنس بالجن أن الرجل كان إذا فارق[4] فاستوحش أو قتل صيدا من صيدهم فحلف قال: أعوذ بسيّد

هذا الوادي، فيبيت آمنا في نفسه، وأما استمتاع الجن بالإنس فما نالوا بهم من تعظيم الإنس إياهم،

[1] - سورة الشعراء ، الاية 4.
[2] - معاني القران الفراء ، ج1، ص350.
[3] - سورة الأنعام ، الاية 128.
[4] - بمعنى فارق حيّه أو رفقته.

فكان الجن يقولون[1] سُدْنا الجن والإنس).[2]

و في معنى قوله تعالى: ﴿ وكذلك زيّن لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم﴾.[3]

يخبرنا الفراء من خلال في تفسيره لهذه الآية عن عادات جاهلية كانت شائعة آنذاك يقول: (وهم قوم كانوا يخدمون الهتهم ، فزينوا لهم دفن البنات وهن أحياء وكان ايضا أحدهم يقول : لئن ولد لي كذا وكذا من الذكور لأنحرن واحدا فذلك قتل أولادهم) [4] ليواصل الفراء تفسير بقية الاية من الناحية الإعرابية .

ويعرض الفراء في صفحة من صفحات كتابه معاني القران تفسير قوله تعالى : ﴿ دينا قيما﴾

ويوجهنا إلى معانيها العميقة من خلال ذكر الحدث المتعلق بنزولها فيقول : (وقيما حدثنا محمد [5]

[1] - أي سادتهم وكبراؤهم الذين يستعاذ بهم.
[2] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص354.
[3] - سورة الأنعام ، الاية 137.
[4] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص 357.
[5] - يعني محمد ابن الجهم السمري راوي كتاب معاني القران للفراء الذي نحن بصدد دراسته .

قال حدثنا الفراء قال حدثني عمرو بن أبي المقدام عن رجل عن عمران بن حديفة قال : راني أبي

حديفة راكعا قد صوبت رأسي ، قال ارفع رأسك ، دينا قيما) [1].

فهذا بيان للجانب الأخر من الآية القرآنية و هو معنى قوله "دينا قيما".

ويوضح الفراء في تفسيره لقوله تعالى:﴿ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم﴾.[2]

والمقصود "بالأعراف" في الآية الكريمة: (وذلك أنهم على سور بين الجنة والنار يقال له الأعراف يرون

أهل الجنة فيعرفونهم ببياض وجوههم، ويعرفون أهل النار بسواد وجوههم، فذلك قوله: " يعرفون كلا بسيماهم")[3].

ويضيف الفراء قائلا: (وأصحاب الأعراف أقوام اعتدلت حسناتهم وسيئاتهم فقصّرت بهم الحسنات

[1] - المصدر السابق ، ج1 ، ص 367 .
[2] - سورة الاعراف ، الاية 48 .
[3] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص 379.

عن الجنة، و لم تبلغ بهم سيئاتهم النار، كانوا موقوفين ثم أدخلهم الله الجنة بفضل رحمته).[1]

ويحدّد المقصود من لفظة "إصلاحها" من قوله تعالى: ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾ فيقول: (إصلاحها بعثة الشيء صلى الله عليه وسلّم يأمر بالحلال وينهى عن الحرام، فذلك صلاحها وفساد العمل – قبل أن يبعث النبي –بالمعاصي[2]).[3]

ويضيف الفراء قائلا: (وقول شعيب ﴿قد جئنكم ببيّنة من ربكم﴾ لم يكن له آية إلا النبوة وكان لثمود الناقة، ولعيسى إحياء الموتى وشبهه).[4]

وفي موضع آخر يفسر الفراء قوله تعالى: ﴿و لا تقعدوا بكلّ صراط توعدون﴾[5]، فيبدأ الفراء شرح الآية بإطلاعنا على جانب معرفي لها وهو قوله (كانوا يقعدون لمن آمن بالنبي على طرفهم يتوعدّونهم

[1] - المصدر نفسه ، ج1 ، ص 380.
[2] - وهذا متعلق بقوله "العمل" .
[3] - المصدر السابق ، ج1 ، ص 385.
[4] - المصدر السابق ، ج1 ، ص 385.
[5] - سورة الاعراف ، الاية 86 .

بالقتل وهو الإيعاد والوعيد، إذا كان مبهما فهو بألف)[1] آخر ويكمل شرح الجزء الثاني من تفسير

الآية ببيان الجانب الإعرابي للآية وهو الجزء الذي وضحناه في عنصر الإعراب.

ويعلّق الفراء تعليقا دقيقا يختصر فيه تفسير الآية ويخبرنا عن معلومة معرفية حولها تسهل عملية

الفهم فيقول في قوله تعالى: ﴿ربّنا افتح بينا﴾[2].

(يريد اقض بيننا وأهل عمان يسمون القاضي الفاتح والفتاح)[3].

إذن فالفاتح اسم للقاضي ، فشّرح الآية دون أن يذكر الجانب النحوي والإعرابي لها أو الجانب

البلاغي فيها.

ومثل ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿فإذا هي ثعبان﴾[1]يقول الفراء: (هو الذّكر، وهو أعظم الحيات).[2]

---

[1] - معاني القران الفراء ،ج1 ، ص 385.
[2] - سورة الاعراف من الاية 89.
[3] - معاني القران الفراء ،ج1 ، ص 386.

ويوضح لنا الفراء المعنى المراد من قوله جل جلاله في قصة موسى عليه السلام مع السحرة: ﴿فوقع الحق﴾[3]، يقول: (معناه أن السحرة قالوا: لو كان ماصنع موسى سحرا العادت حبالنا وعصّينا إلى حالها الأولى، ولكنها فقدت، فذلك قوله: " فوقع الحق": فتبيّن الحقّ من السحر).[4].

و في السياق نفسه، يفسر قوله تعالى: ﴿أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا﴾[5] فيقول: (قال: فأمّا الأذى الأوّل فقتله الأبناء واستحياؤه النساء، ثم لما قالوا له: أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض قال: أُعيد على أبنائهم القتل وأستحيي النساء كما كان فعل وهو أذى بعد مجيء موسى).[6]

فمعاني الآية تمتدّ إلى الأعماق، تأخذنا إلى قصة موسى عليه السلام مع فرعون الذي طغى وبلغ به

---

[1] - سورة الاعراف من الاية 107.
[2] - معاني القران الفراء ،ج1 ، ص 387.
[3] - سورة الاعراف من الاية 118.
[4] - معاني القران الفراء ،ج1 ، ص 391.
[5] - سورة الاعراف ، الاية 129.
[6] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص 319.

الأذى إلى الأبناء والنساء.

و في موضع آخر يفسر قوله سبحانه: ﴿فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه﴾.[1]

يشرح الفراء معنى قوله "لنا هذه" يقول: (وقوله "لنا هذه" يقولون: نستحقها " وإن تصبهم سيئة"يعني

الجدوبة "يطّيّروا" يتشاءموا "بموسى" كما تشاءت من اليهود بالنبيّ صلى الله عليه وسلّم بالمدينة

فقالوا: غلت أسعارنا وقلّت أمطارنا مذ أتانا).[2]

ويتوسع الفراء في تحليله لمعاني قوله تعالى: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان﴾.[3]

فتفسير الفراء تحديدا قوله تعالى: "فأرسلنا" وما انطوت عليه اللفظة من مقاصد بديعة ودقيقة تأخذنا

إلى ذلك العهد الذي وقعت فيه أحداثها فيقول الفراء: (أرسل الله عليهم السماء سبتاً[4] فلم تقلع ليلا

[1] - سورة الاعراف ، الاية 131.
[2] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص 392.
[3] - سورة الاعراف من الاية 133.
[4] - أي أسبوعا من السبت الى السبت .

ونهارا، فضاقت بهم الأرض من تهدم بيوتهم وشغلهم عن ضياعهم، فسألوه أن يرفع عنهم، فرفع فلم

يتوبوا، فأرسل الله عليهم "الجراد" فأكل ما آنبتت الأرض في تلك السنة، وذاك أنهم رأوا من غبّ

ذلك المطر خصبا لم يروا مثله قطٌّ، فقالوا: إنّما كان هذا رحمة لنا و لم يكن عذابا، وضاقوا بالجراد

فكان قدر ذراع في الأرض، فسألوه أن يكشف عنهم ويؤمنوا، فكشف الله عنهم وبقي لهم ما

يأكلون، فطغوا به وقالوا "لن نؤمن لك" فأرسل الله عليهم "القمل" وهو الدبّى[1] الذي لا آجنحة له،

فأكل كلّ ما كان أبقى الجراد، فلم يؤمنوا فأرسل الله "الضفادع" فكان أحدهم يصج وهو على فراشه

متراكب، فضاقوا بذلك، فلّما كشف عنهم لم يؤمنوا، فأرسل الله عليهم "الدم" فتحوّلت عيونهم

وأنهارهم دما حتّى موّتت الأبكار، فضاقوا بذلك، وسألوه أن يكشفه عنهم فيؤمنوا، فلم يفعلوا، وكان

العذاب يمكث عليهم سبتا).[1]

[1] ـ الدبى : واحده دباة ، وهو الجراد قبل أن يطير .

فلننظر ماحملته لفظة "فأرسلنا" من معاني عظيمة فظاهر الآية فأرسلنا عليهم "الطوفان" أن الله تعالى أرسل طوفان من المياه الجارفة التي اهلكت الحرث والنسل ولكن معرفتنا بحثييات الآية وسياقها العام ومجموع أخبارها أوضح لنا المعنى بشكل دقيق يبهر العقول.

ومن بديع مافسره الفراء في كتابه معاني القران: قول المولى عز وجل :﴿حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت﴾[2] .فيقول: "حملت حملا خفيقا" المقصود: الماء خفيف على المرأة إذا حملت.

وفي قوله تعالى: " فمرّت به" فاستمرّت به: قامت وقعدت.

أما في قوله تعالى: "فلما أثقلت" فتجلو معاني الآية في صورة فنية دقيقة وجليلة من خلال ذكره لقصة الآية فيقول: ("فلما أثقلت"، دنت ولادهما أتاها إبليس فقال: ماذا في بطنك؟ فقالت: لا أدري

[1] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص 392، 393.
[2] - سورة الاعراف من الاية 189.

قال: فلعله بهيمة، فما تصنعين لي إن دعوت الله لك حتى يجعله إنسانا؟ قالت: قل، قال: تسمّينه باسمي، قالت: وما اسمك؟ قال: الحرث فسمّته عبد الحارث، و لم تعرف أنّه إبليس).[1]

إن قصة هذه الآية تجعل معانيها تشعّ قوة وجلالا وعمقا لتصل إلى ذهن المتلقي بأبلغ صورة فيكون لها الأثر البالغ والوقع الجميل في النفس.

وفي قوله:﴿و إذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا﴾.[2]

يقول الفراء في معنى الآية: (كان الناس يتكلمون في الصلاة المكتوبة فيأتي الرجل القوم فيقول: كم صليتم؟ فيقول:كذا وكذا، فنهوا عن ذلك، فحرم الكلام في الصلاة لما أنزلت هذه الآية).[3]

ومن الأمثلة القرآنية كذلك، تفسيره لقول المولى سبحانه ﴿يسألونك عن الأنفال﴾[1] فيوضّح معنى

---

[1] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص 400.
[2] - سورة الاعراف ، الاية 204.
[3] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص 402.

"الأنفال" وهو يروى الحادثة الداعية لترولها فيقول: (نزلت في أنفال أهل بدر، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لمّا رأى قلة الناس وكراهيتهم للقتال قال:من قتل قتيلا فله كذا،ومن أسر أسيرا فله كذا.فلما فرغ من أهل بدر قام سعد بن معاذ [2] فقال: يارسول الله إن نفّلت هؤلاء ما سمّيت لهم بقي كثير من المسلمين بغير شيء فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ قل الأنقال لله والرسول ﴾ يصنع فيها ما يشاء، فسكتوا و في أنفسهم من ذلك كراهية).[3]

وضمن السياق نفسه بواصل الفراء تفسير الآية ﴿كما أخرجك ربّك من يتك بالحقّ﴾[4] يقول: (على كره منهم، كارهون ويقال فيها: يسألونك عن الأنفال كما جادلوك يوم بدر فقالوا: أخرجتنا للغنيمة و لم تعلمنا قتالا فنستعدّ له، فذلك).[1]

[1] - سورة الانفال من الاية 1.
[2] - هو سيد الاوس ، شهد بذرا واحد واستشهد زمن الخندق فقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم (اهتز العرش لموت سعد بن معاذ) .
[3] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص 403.
[4] - سورة الانفال ، الاية 5.

ويوجّهنا الفراء إلى مقاصد الآية الكريمة: ﴿إذ يغشيكم النّعاس أمنة منّه﴾ فيخبرنا عن واقعة

حدثت للمسلمين في معركة بدر، يقول الفراء موضحا: (بات المسلمون ليلة بدر على غير ماء،

فأصبحوا مجنبين، فوسوس إليهم الشيطان فقال: تزعمون أنكم على دين الله وأنتم على غير الماء

وعدوّكم على الماء تصلّون مجنبين، فأرسل الله عليهم السماء وشربوا واغتسلوا، وأذهب الله عنهم رجز

الشيطان يعني وسوسته.).[2]

ويفسر الفراء قول الله عز وجل: ﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة أنّي معكم فتبتوا الذين آمنوا﴾[3]

يقول الفراء موضحا مناسبة نزول الآية: ﴿كان الملك يأتي الرجل من أصحاب محمد صلى الله عليه

وسلم فيقول: سمعت هؤلاء القوم – يعني أبا سفيان وأصحابه-يقولون، والله لئن حملوا علينا لننكشفنّ

---

[1] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص 403.
[2] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص 404.
[3] - أمنوا سورة الانفال ، الاية 13.

فيحدّث المسلمون بعضهم بعضا بذلك، فتقوى أنفسهم، فذلك وحيه للملائكة﴾.[1]

اتضح معنى الوحي للملائكة لما علمنا تفاصيل ما جرى للنفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي سفيان وأصحابه.

ومن الأمثلة كذلك يفسّر الفراء المعنى المراد من قوله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾[2] أنّ النبي صلى الله عليه وسلم دعا يوم معركة بدر (بكفّ من تراب فحثاه في وجوه القوم وقال: "شاهت الوجوه "أي قبحت فكان ذلك أيضا سبب هزمهم).[3]

وللآية الكريمة:﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك﴾[4] تفسير يبيّن الفراء من خلاله حادثة نزول هذه الآية فيقول: (اجتمع نفر من قريش فقالوا: ما ترون في محمد صلى الله عليه

[1] - المصدر السابق ، ج1 ، ص 405.
[2] - سورة الانفال ، الاية 17.
[3] - المصدر السابق ، ج1 ، ص 406.
[4] - سورة الانفال ، الاية 30.

وسلم ويدخل إبليس عليهم في صورة رجل من أهل نجد فقال عمرو بن هشام[1]: آرى أن تحسبوه في بيت وتطيّنوه عليه وتفتحوا له كوّة وتضيّقوا عليه حتى يموت فأبى ذلك إبليس وقال: بئس الرأي رأيك، وقال أبو اليختريّ بن هشام: أرى أن يحمل على بعير ثم يطرد به حتى يهلك أو يكفيكموه بعض العرب، فقال إبليس: بئس الرأي ، أتخرجون عنكم رجلا قد أفسد عامتكم فتقع إلى غيركم فعلة يغزوكم بهم. قال الفاسق أبو جهل: أرى أن نمشي إليه برجل من كلّ فخذ من قريش فنظربه بأسيافنا، فقال إبليس: الرأي ما رأى هذا الفتى، وأتى جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالخبر، فخرج من مكة هو وأبو بكر، فقوله "ليثبتوك" ليحسبوك في البيت، "أو يخرجوك" على البعير أو "يقتلوك")[2].

---

[1] - هو أبو جهل .
[2] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص 408 ، 409.

جاء قول الفراء في الآية الكريمة: ﴿وإذ زيّن لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من النّاس واني جار لكم﴾.[1]

يوضح الفراء مفسرا معنى الآية القرآنية أنّ الشيطان وإبليس تمثل في صورة رجل من بني كنانة يقال له سراقة بن جُعْشُم، وقوله: "إنّي جار لكم" من قومي بني كنانة ألا يعرضوا لكم، وأن يكونوا معهم على محمد صلى الله عليه وسلم فلما عاين الملائكة عرفهم ف "نكص على عقبيه"، فقال له الحرث بن هشام[2] يا سراقة أفرارا من غير قتال! فقال "إني أرى ما لا ترون").

ويبّين الفراء معنى قوله تعالى وهو يخاطب نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم: قائلا ﴿فإمّا تثقفنّهم في الحرب فشرّد بهم من خلفهم﴾.[3]

---

[1] - سورة الانفال ، الاية 4 .
[2] - هو أخو أبو جهل أسلم يوم فتح مكة واستشهد يوم اليرموك وقيل في طاعون عمولس .
[3] - معاني القران الفراء ،ج1 ، ص 413.

(يريد: إن أسرهم يا محمد فنكل بهم من خلفهم ممن تخاف نقضه للعهد "فشرّد بهم" "لعلهم يذكرون" فلا ينقضون العهد).[1]

أما في من قوله تعالى: ﴿والف بين قلوبهم﴾[2] يفسر الفراء مقاصد الآية معتمدا على ما ورد في تاريخ المسلمين من أحداث فيقول: (بين قلوب الأنصار من الأوس والخزرج، كانت بينهم حرب، فلما دخل المدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم أصلح الله به وبالإسلام ذات بينهم).[3]

وفي معنى قوله تعالى: ﴿ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾[4] يشرح الفراء المعنى المراد في الاية فيقول : (فكان البني صلّى الله عليه وسلم يغزي أصحابه على أن العشرة للمائة والواحد للعشرة، فكانوا كذلك، ثم شق عليهم أن يقرن[1] الواحد للعشرة).[2]

[1] - المصدر نفسه ، ج1 ، ص 414 .
[2] - سورة الانفال ،الاية ، ص 63.
[3] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص 417.
[4] - سورة الانفال ، الاية 65.

ومن الأمثلة الواردة في كتاب المعاني أيضا تفسير الفراء لسورة التوبة مستهلا ذلك بقول الله عز وجل: ﴿براءة من الله ورسوله﴾.[3] فبعد أن يشرح الفراء في البداية الآية شرحا إعرابيا يعرجّ بعد ذلك على توضيح معنى كلمة "براءة" ومقاصدها الشريفة فيقول: "والمعنى في قوله "براءة" أن العرب كانوا قد أخذوا ينقضون عهودا كانت بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم، فنزلت عليه آيات من أول براءة، أمر فيها بنبذ عهودهم إليهم، وأن يجعل الأجل بينه وبينهم أربعة أشهر، فمن كانت مدته أقل من أربعة أشهر رفعه إلى أربعة، وبعث في ذلك أبا بكر وعليا رحمها الله، فقرأها علي على الناس).[4]

وفي موضع آخر يفسر الفراء قوله تعالى: ﴿وهم بدؤكم أول مرّة﴾[5] المقصود من الآية (أن خزاعة

---

[1] - يقرن : أقرن الشيء : أطاقه وأقدر عليه .
[2] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص 414.
[3] - سورة التوبة من الاية 1.
[4] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص 420.
[5] - سورة التوبة من الاية 13.

كانوا حلفاء للنبي صلى الله عليه وسلم وكانت الديل بن بكر حلفاء لبني عبد شمس، فاقتتلت الديل وخزاعة، فأعانت قريش الديل على خزاعة فذلك قوله: "بدؤكم" أي قاتلوا حلفاءكم"[1].

وفي مثال آخر يوضح الفراء قوله تعالى: ﴿و إن خفتم عيلة﴾[2] يقول: (يعني نقرا وذلك لما نزلت: (إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا)[3]، خاف أهل مكة أن تنقطع عنهم الميرة والتجارة، فأنزل الله عز وجل﴿وإن خفتم عيلة﴾ فذكروا أن تبالة[4] وجرش أخصبتا، فأغناهم الله بهما وأطعمهم من جوع وآمنهم من خوف).[5]

ويتحدث الفراء عن سبب قول اليهود في الآية الكريمة:﴿وقالت اليهود عزير بن الله﴾[6] وذلك بعد أن يعلّل موضع التنوين في كلمة "عزير"، فيقول عن سبب قول اليهود في الآية: (وكان سبب قول

1 - المصدر السابق ، ج1 ، ص 425.
2 - سورة التوبة من الاية 28.
3 - السورة نفسها ، الاية 28.
4 - تبالة : بلدة من أرض تهامة في طريق اليمن و جرش : مخلاف أي اقليم من مخاليف اليمن .
5 - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص 431.
6 - سورة التوبة ، الاية 30.

اليهود: عزير بن الله أن بخت نصّر قتل كل من كان يقرأ التوراة فأتي بعزير فاستصغره فتركه، فلمّا أحياه الله أتته اليهود، فأملى عليهم التوراة عن ظهر لسانه ثم إن رجلا من اليهود قال: إن ربي ذكر أن التوراة مدفونة في بستان له، فاستخرجت وقوبل بها ما أملى عزير فلم يغادر منها حرفا، فقالت اليهود: ما جمع الله التوراة في صدر عزير وهو غلام إلا وهو ابنه تعالى الله عما يقولون علوّا كبيرا)[1].

فكانت هذه قصة حادثة سبب نزول هذه الآية الكريمة.

وعندما يتحدّث الفراء عن تفسير لفظة _النسىء)ودلالاتها في قوله تعالى: ﴿ إنّما النسىء زيادة في الكفر﴾فيتطرّق إلى الجانب المعرفي للآية وسياقها العام فيقول: (كانت العرب في الجاهلية إذا أرادوا الصدر عن منى قام رجل من بني كنانة يقال له (نعيم بن ثعلبة) وكان رئيس الموسم، فيقول: أنا

[1] - المصدر السابق ، ج 1 ، ص 432.

الذي لا أعاب ولا أجاب ولا يرّد لي قضاء، فيقولون: صدقت أنسئنا شهرا، بريدون: أخّر عنّا حرمة المحرم وأجعلها في صفرا وأحلّ المحرم، فيفعل ذلك).[1]

ويروي الفراء مناسبة نزول قول الله عز وجل: (وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجدّ بن قيس[2]: هل لك في جلاد بن الأصفر؟ - يعني الروم – وهي غزوة تبوك فقال جدّ: لا، بل تأذن لي فأتخلّف، فإني رجل كلف بالنساء أخاف فتنة بنات الأصفر، وإنما سمّي الأصفر لأن حبشيا[3] غلب على ناحية الروم وكان له بنات قد أخذن من بياظ الروم وسواد الحبشة فكنّ صفرا لعسا[4]، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿ألا في الفتنة سقطوا﴾[5] في التخلّف عنك، وقد عذل المسلمون في غزوة تبوك وثقل عليهم الخروج لبعد المشقة وكان أيضا زمان عسرة وأدرك الثمار وطاب الظل، فأحبّوا الإقامة فوبّخهم

[1] - المصدر نفسه ، ج1 ، ص 436 ، 437.
[2] - كان سيد بن سلمة من الانصار ، وكان ممن يرمى بالنفاق ومات في خلافة عتمان .
[3] - أي جيشا .
[4] - لعسا جمع لعساء ، وهي التي في لونها سواد وتكون مشربة بحمرة .
[5] - سورة .

الله).[1]

وفي قوله تعالى: ﴿إنّما الصّدقات للفقراء﴾[2]، يشرح الفراء المقصود من "الفقراء" في الآية، فليس هم فقط المحتاجون من الناس ذووا قلة اليّد، بل معنى الآية يتعدى ما هو ظاهر للعيان، فيخبرنا الفراء أن الفقراء في الآية (هم أهل صفّة [3]رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانوا لا عشائر لهم كانوا يلتمسون الفضل بالنهار، ثم يأوون إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهؤلاء الفقراء.

ويضيف الفراء مفسرا من معنى الآية قوله تعالى: ﴿والمساكين والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب﴾ فالمقصود بالمساكين: (الطوّافين على الأبواب ﴿والعاملين عليها﴾ وهم السّعاة، أما "المؤلفة قلوبهم" (فهم إشراف العرب، كان رسول صلى الله عليه وسلم يعطيهم ليجترّ به إسلام قومهم، "و في الرقاب" يعني المكاتبين)[1]، فتلك هي معانيها.

---

[1] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص 440.
[2] - سورة التوبة من الاية 60.
[3] - معناه موضع مظلل من المسجد .

وجاء في تفسيره لقول المولى عز وجل: ﴿ومنهم الذين يؤذون النبيّ﴾[2] موضحا كيفية الأذى المراد إلحاقه بالنبي صلى الله عليه وسلم فيقول: (اجتمع قوم على غيب النبي صلى الله عليه وسلم، فيقول رجل منهم: إن هذا يبّلغ محمدا صلى الله عليه وسلم فيقع بنا، ف"يقولون": إنما "هو أذن" سامعة إذا أتيناه صدّقنا، فقولوا ما شئتم، فأنزل الله عز وجل ﴿قل أذن خير لكم أي كما تقولون، ولكنه لا يصدّقكم، إنما يصدّق المؤمنين﴾[3] هذا هو معنى الإذاية المقصودة في الآية القرآنية ليواصل الفراء تفسير بقية الآية تفسيرا نحويا.

وفي قوله عز وجل: ﴿إن نعف عن طائفة منكم نعذّب طائفة﴾[4]لنتأمل دقة المعنى ودلالاته البعيدة حينما نعلم المقصود من قوله:(طائفة) ليخبرنا الفراء بالحادثة المتعلقة بنزول الآية فيقول: (والطائفة

[1] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص443.
[2] - سورة التوبة من الاية 61.
[3] - معاني القران الفراء ، ج1 ن ص 440 .
[4] - سورة التوبة من الاية 66 .

واحد واثنان، وإنما نزل في ثلاثة نفر استهزأ رجلان برسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن وضحك إليهما آخر، فترل (إن نعف عن طائفة) يعني الواحد الضاحك نعذب طائفة يعني المستهزئين، وقد جاء (وليشهد عذابهما طائفة).[1] يعني واحدا..)[2].

كما جاء في تفسيره لقول الله عز وجل: ﴿وما نقموا إلاّ أن أغناهم الله﴾[3].يقول الفراء في معنى الآية: (هذا تغيير لهم، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم على أهل المدينة وهم محتاجون، فأثروا من الغنائم ...).[4]

كذلك، يضعنا الفراء أمام صورة حيّة من الأحداث الماضية يستحضرها لنا وهو يفسّر قوله تعالى: ﴿الذين يلمزون المطوّعين﴾[1]. فيدّقق لنا المعنى المقصود من كلمة "يلمزون" ويفسرها استنادا لواقعة

---

[1] - سورة النور من الاية 2.
[2] - معاني القران الفراء ، ص 445.
[3] - سورة التوبة ، الاية 74.
[4] - المصدر السابق ، ج1 ، ص 446.

فيقول: (ولمزهم إياها: تنقّصهم، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم حثّ الناس على الصدقة، فجاء عمر بصدقة، وعثمان بن عفان بصدقة عظيمة وبعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء رجل يقال له أبو عقيل بصاع من تمر، فقال له المنافقون، ما أخرج هؤلاء صدقائهم إلاّ رياء، وأما أبو عقيل فإنما جاء بصاعه ليذكر بنفسه فأنزل الله تبارك وتعالى:﴿الذين يلمزون المطوّعين من المؤمنين في الصدقات﴾يعني المهاجرين والذين لا يجدون إلاّ جهدهم يعني أبا عقيل، والجهد لغة أهل الحجاز و الوجد، ولغة غيرهم الجهد والوجّد).[2]

ويفسر أيضا قوله تعالى:﴿خلطو علما صاحا﴾[3] فيقول: (خرجوا إلى بدر فشهدوها، ويقال: العمل الصالح توتبهم من تخلّفهم عن غزوة تبوك)[1].

[1] - سورة التوبة من الاية 79.
[2] - المصدر السابق ، ص 447.
[3] - سورة التوبة من الاية 102.

ويضيف قائلا في قوله تعالى: ﴿وآخر سيئا﴾المقصود (تخلّفهم يوم تبوك عسى من الله واجب إن شاء الله، وكان هؤلاء قد أوثقوا أنفسهم بسواري المسجد وحلفوا ألاّ يفارقوا ذلك حتى تنزل توبتهم، فلما نزلت قالوا: يارسول الله خذ أموالنا شكرا لتوبتنا، فقال: لاأفعل حتى ينزل بذلك عليّ قرآن فأنزل الله عز وجل قوله: ﴿خذ من أموالهم صدّقة﴾.[2]فأخذ بعضا ثم قال: (تطهّرهم وتزكيهم بها وصلّ عليهم: استغفر لهم، فإن استغفارك لهم تسكن إليه قلوبهم وتطمئن بأن قد تاب الله عليهم...).[3]

وفي معنى قوله تعالى: ﴿وآخرون مرجون لأمر الله﴾[4] يقول الفراء مبيّنا المقصود في الآية الكريمة: ﴿هم ثلاثة نفر مسمّون، تخلفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، فلما رجع قال: ما عذركم) ؟قالوا: لا عذرلنا إلا الخطيئة، فكانوا موقوفين حتى نزلت توبتهم في قوله:(لقد تاب الله على

---

[1] - المصدر السابق ج1 ، ص 450.
[2] - سورة التوبة من الاية 103.
[3] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص 451.
[4] - سورة التوبة ، الاية 106.

النبي والمهاجرين والأنصار).[1] وفي قوله: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلّفوا﴾[2] يقول الفراء: (وهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية ومرارة).[3]

ومما جاء به الفراء تفسيره معنى "المسجد" وإحاطتنا بالسياق العام للآية وذلك في قول الله تعالى:﴿والذين اتخذوا مسجدا ضررا﴾[4] يقول : (هو بنو عمرو بن عوف من الأنصار، بنوا مسجدا ضرارا لمسجد قباء، ومسجد قباء أول مسجد بني على التقوى، فلمّا قدم النبي صلى اله عليه وسلم من غزوة تبوك أمر بإحراق مسجد الشقاق وهدمه).[5]

ويأخذ نا الفراء في موضع آخر من القرآن الكريم إلى معاني لفظة "الذرية" من قوله تعالى: ﴿فما

---

[1] - السورة نفسها ، الاية 117.
[2] - السورة نفسها ، الاية 118.
[3] - معاني القران الفراء ، ج1 ، 451.
[4] - سورة التوبة من الاية 107.
[5] - المصدر السابق ، ج1 ، ص 452.

آمن لموسى إلاّ ذرية من قومه﴾[1] فيقول: (ففسّر المفسرون الذرية القليل وكانوا -فيما بلغنا- سبعين أهل بيت وإنما سمّوا الذرية لأن آباءهم كانوا من القبط وأمّهاتهم كنّ من بني إسرائيل، فسمّوا ذراريّهم الأبناء، لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم...).[2]

فهذه المعلومة التاريخية تعدّ إضافة لرصيد المتلقي المعرفي وكذلك عامل أساسي في فهم سياق الآية الكريمة والغوص في معانيها.

وفي مثال آخر يقول الفراء مفسرا قوله تعالى: ﴿ واجعلوا بيوتكم قبلة ﴾[3](كان فرعون قد أمر بتهديم المساجد، فأمر موسى وأخوه أن يتّخذ المساجد في جوف الدّور لتخفى من فرعون، وقوله (واجعلوا بيوتكم قبلة" إلى الكعبة).[4]

---

[1] - سورة يونس ، الاية 83 .
[2] - المصدر السابق ، ج1 ، ص 476.
[3] - سورة يونس من الاية 87.
[4] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص 477.

ويذكر الفراء سبب نزول الآية الكريمة:﴿ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم﴾[1] أن المقصود بنوا إسرائيل فقد كانوا مجتمعين على الإيمان بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث، فلما بعث كذّبه بعض وآمن به البعض الآخر، فذلك، اختلافهم، أما "العلم" فيعي محمد صلى الله عليه وسلم وصفته.[2]

مما لا شك فيه، أن علماء التفسير أيضا تناولوا هذا الجانب المهمّ في الآية القرآنية وشرحوا مناسبّها وأحداثها المحيطة بها، ولنا في هذا أمثلة عديدة.

ففي قوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما﴾.[3]

[1] - سورة يونس ، الاية 93.
[2] - ينظر معاني القران الفراء ، ج2 ، ص 478.
[3] - سورة النساء ، الاية 48.

يختم الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿ ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالا بعيدا﴾[1]، فالآية الأولى نزلت في

اليهود وهم مطلعون من كتبهم على ما لا يشكوّن في صحته من أمر الرسول صلى الله عليه وسلم

ووجوب اتباع شريعته، وما يدعوا إليه من الإيمان بالله تعالى ومع ذلك أشركوا، وكفروا، فصار ذلك

افتراء واختلافا وجراءة عظيمة على الله تعالى.

أما الآية الثانية، نزلت في المشركين وهم أناس لم يعلموا كتابا ولا عرفوا وحيا، ولم يأتهم سوى رسول

الله–صلّى الله عليه وسلم– بالهدى ودين الحق، فأشركوا بالله عز وجل وكفروا مع وضوح الحجّة وقوّة

البرهان، فضلوّا ضلالا بعيدا.[2]

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ولا تحزن عليهم ولاتك في ضيق ممّا يمكرون﴾[3]، الملاحظ أن السياق

---

[1] - السورة نفسها الاية 116
[2] - ينظر الكشاف الزمخشري ، ج2 ، ص 532. و ينظر الاتقان في علوم القران السيوطي ، ج3 ، ص 351.
[3] - سورة النحل ، الاية 127.

مختلف في السورتين، فالآية الأولى نزلت حين مثل المشركون بالمسلمين يوم أحد (بقروا بطونهم وقطعوا

مذاكيرهم، فوقف رسول الله صلّى اللّه عليه وسلم على حمزة وقد مثل به فرآه مبقور البطن، فقال: أما

والذي أحلف به لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك.

فترل قوله تعالى: ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين، وإصبر

و ما صبرك إلاّ بالله ولا تحزن عليهم ولاتك في ضيق ممّا يمكرون، إن الله مع الذين اتقو والذين هم

محسنون ﴾ فكّفر عن يمينه وكف عما أراده).[1]

ثالثا : عنصر المجاز:

نسعى في هذا الجزء من البحث إلى تسليط الضوء على مواطن المجاز في تفسير الفراء للقرآن الكريم

من أجل رصد مختلف الصور البيانية مع التركيز على ىتتبع المصطلحات، البلاغية وهل وردت

[1] - الكشاف الزمخشري ، ص 222. و تفسير بن كثير ، ج2 ، ص 592.

بمسمياتها التي نعرفها اليوم كالاستعارة والكناية والتشبية وغيرها،و التي مثلت إرهاصات الدرس البلاغي.

استهل أمثلة الفراء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ﴾[1] وكذا في قوله تعالى: ﴿ آفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة﴾[2] يقول: (ومعنا هما واحد والله أعلم، وإنما يحسن الإضمار في الكلام الذي يجتمع ويدل أوله على آخره، كقولك: قد أصاب فلان المال فبنى الدور والعبيد والإماء واللباس الحسن، فقد ترى البناء لا يقع على العبيد والإماء ولا على الدواب ولا على الثياب، ولكنه من صفات اليسار، فحسن الإضمار لما عرف).[3]

[1] - سورة البقرة ، الاية 13.
[2] - سورة الجاثية ، الاية 23.
[3] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص 13.

ويضيف قائلا: (ومثله في سورة الواقعة: ﴿يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين ﴾[1] ثم قال : ﴿وفاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشهون، وحور عين﴾فقيل: الفاكهة واللحم يطاف بهما إنما يطاف بالخمر وحدها –والله علم–ثم أتبع آخر الكلام أوله –وهو كثير في كلام العرب وأشعارهم..)[2]

والواضح من هذا التفسير، أن الفراء ذكر لفظة "الإضمار" في الكلام، و لم يصرح بمصطلح الكناية ومما دل على ذلك قوله: (فقد ترى البناء لا يقع على السور والبيد والإماء واللباس الحسن) وأيضا في قوله:الفاكهة واللحم لايطاف بهما إنما يطاف بالمر وحدها.فهو يشير بالكلمة إلى معنى غير حقيقي وهذا من البلاغة.

[1] - سورة الواقعة الاية 22.
[2] - المصدر السابق ، ص 14.

وفي السياق نفسه، يفسر قوله تعالى: ﴿ فما ربحت تجارتهم﴾[1] يقول: (ربما قال القائل:كيف تربح التجارة وإنما يربح الرجل التاجر؟. وذلك من كلام العرب: ربح بيعك وخسر بيعك ، فحسن القول بذلك لأن الربح والخسران إنما يكونان في التجارة، فعلم معناه ومثله من كلام العرب، هذا ليل نائم ومثله من كتاب الله: ﴿ فإذا عزم الأمر﴾[2] وإنما العزيمة للرجل، ولا يجوز الضمير[3] إلا في مثل هذا...).[4]

إن الآية الكريمة "فماربحت تجارتهم" تنطوي على نوع من الصور الفنية المعروفة الآن في علم البلاغة العربية بعد تأسيسه، وهي الاستعارة، والفراء لم يذكر المصطلح كما نعرفه اليوم بل أشار إليه إشارة دقيقة ودلل عليه بالأمثلة الموضحة، ووجهنا إلى أن الكلمة استعملت في غير معناها الحقيقي

---

[1] - سورة البقرة من الاية 16.
[2] - سورة محمد،الاية 21
[3] - يقصد الصمير المحذوف
[4] - معاني القران،الفراء ج1 ص15،14

(فكيف تربح التجارة وإنما يربح الرجل التاجر) كما قال، وهذا من صميم البلاغة العربية.

ولنتأمل تفسير الفراء لقوله تعالى: ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد نارا﴾[1]و في قوله تعالى أيضا: (تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت)[2]وقوله: ﴿ما خلقكم و لا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾[3] يقول الفراء(فالمعنى – والله أعلم-إلا كبعث نفس واحدة ولو كان التشبيه للرجل لكان مجموعا، كما قال ﴿كأنهم خشب مسندة﴾[4]، أراد القيم والأجسام[5]، وقال: ﴿كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾[6] فكان مجموعا إذا أراد تشبيه أعيان الرجال، فأجر الكلام على هذا، وإن جاءك تشبيه جمع الرجال موحدا في شعر فأجزه، وإن جاءك التشبيه للواحد مجموعا في شعر فهو أيضا يرادبه الفعل فأجزه فقولك: ما فعلك إلا كفعل الحمير، ما أفعالكم إلا كفعل الذئب، فابن على هذا، ثم تلقى الفعل فتقول: ما

---

[1] - سورة البقرة الاية 15.
[2] - سورة الاحزاب ، الاية 19.
[3] - سورة لقمان ، الاية 28 .
[4] - سورة المنافقون من الاية 4.
[5] - المقصود : القيم : جمع قام أو قيم وهي قوام الانسان وقده وحسن طوله .
[6] - سورة الحاقة ، الاية 7.

فعلك إلا كالحمير وكالذئب).[1]

تضمنت الآيات الواردة في تحليل الفراء، مصطلح التشبيه بشكل واضح للعيان، وقد لاحظ أن أسلوب التشبيه لا يشترط فيه التناسق بين الطرفين من حيث العدد أو الكمية إذا كان المقصود هو الفعل وليس أعيان الرجال، ولابد من هذا التناسق والمماثلة بين طرفي التشبيه، إذا كان الهدف وقصد منه الأعيان والعدد، إنما يكون القصد خصوصا المعنى والمغزى ولعل الفراء قد انفرد بالتنبيه على هذه النقطة الجوهرية في مجال التشبيه، (فهي لم تترد في كتب البلاغة رغم أن البلاغين قد أحاطوا بالتشبيه من كافة أقطاره ولمسوا دقائقه صغيرها وكبيرها دون أن نلحظ ذكرا لهذه المسألة).[2]

ومن أمثلة التشبيه عنده، تفسيره لقوله تعالى: ﴿أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق﴾

---

[1]- معاني القران الفراء ،ج1 ، ص 15.
[2] - أثر النحاة في البحث البلاغي د عبد القادر حسين ، ص 156 ، 157 .

يقول الفراء: (فشبة الظلمات بكفرهم، والبرق إذا أضاء لهم فمشوا فيه بإيمانهم، والرعد ما أتى في القرآن من التخويف)[1]، فالتشبيه واضح في هذا المثال لكن الفراء عكس التشبيه وهو بذلك يقع في خلط بين المشبه والمشبه به فذكر أحد هما في موضع الآخر و لم يكن ذلك على سبيل العكس كما نعرفه من التشبيه المعكوس[2]،وكان الأولى عكس التشبيه،فالكفر مشبه بالظلمات والإيمان مشبهبالبرق.

وعلى الرغم من هذا الخلط إلا أن الفراء وجهنا إلى صور بلاغية هامة وهي التشبيه الذي يعد عنصرا من علم البيان خاصة وعلم البلاغة عامة.

أما في قول المولى عز وجل﴿فأتوا بسورة من مثله[3]﴾ورد مصطلح "الكنايّة" في تفسير الفراء لهذه

[1] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص 17.
[2] - ينظر أثر النحاة في البحث البلاغي د عبد القادر حسين ،ص 155 ، 156 .
[3] - سورة البقرة من الاية 23.

الاية الكريمة حيث يقول: (الهاء كناية عن القران، فاتوا بسورة من مثل القران "وادعوا شهداءكم" يريد آلهتكم، يقول: استغيثوا بهم وهو كقولك للرجل: إذا لقيت العدو خاليا فادع المسلمين ومعناه فاستغث واستعن بالمسلمين).[1]

ويذكر الكناية أيضا في قوله تعالى: ﴿ وهو محرم عليكم إخراجهم﴾[2] يقول الفراء: (إن شئت جعلت "هو" كناية عن الإخراج "وتخرجون فريقا منكم من ديارهم" أي وهو محرم عليكم، يريد إخراجهم محرم عليكم، ثم أعاد الإخراج مرة أخرى تكريرا على "هو" لما حال بين الإخراج وبين ما هو كلام...).[3] وفي حديث للفراء عن المجاز بالحذف، يقول الفراء في قوله تعالى: ﴿ وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم﴾[4](فإنه أراد: حب العجل، ومثل هذا ما تحذفه العرب كثير، قال الله: ﴿وإسأل

---

[1] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص 19.
[2] - سورة البقرة ، الاية 85 .
[3]- معاني القران الفراء ج1 ص51
[4] - سورة البقرة الاية 93.

القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها﴾[1] . والمعنى سل أهل القرية وأهل العير).[2]

ولا بد لنا في هذا المقام أن نشير إلى قضية هامة، الى أن سيويه (ت 180هـــ) إمام نحاة البصرة

رأى في أسلوب المجاز بالحذف أغراضا عدة منها الاتساع في الكلام وإرادة الاختصار والتحقيق.

في حين أن الفراء لم ير فيه اتساعا أو اختصارا وإنما رأى فيه نوعا من التقدير لم يبين لناسببه، غير أن

المعنى لا يستقيم بدون هذا التقدير.[3]

كذلك ذكر الكناية في قوله تعالى: ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات ﴾[4] يقول الفراء: (رفع

ملكني من أسمائهم كقولك: لا تقولوا هم أموات بل هم أحياء). فصرح بلفظ الكتاية ومعناها في الآية

الكريمة. ومن الأمثلة القرآنية التي ذكر فيها الفراء مصطلح التشبيه ومعناه قول المولى سبحانه ﴿ومثل

---

[1] - سورة يوسف ، الاية 82.
[2]- معاني القران الفراء ، ج1 ، ص 61.
[3] - ينظر أثر النحاة في البحث البلاغي . د عبد القادر حسين ، ص 157.
[4] - سورة البقرة الاية 154 .

الذين كفروا كمثل الذي ينعق﴾[1] يقول محللا هذا التشبيه (أضاف المثل إلى الذين كفروا ثم شبههم بالراعي و لم يقل كالغنم والمعنى، -والله أعلم- مثل الذين كفروا "كمثل البهائم" التي لا تفقه ما يقول الراعي أكثر من الصوت، فلو قال لها: أرعي أو اشربي، لم تدر ما يقول لها، فكذلك مثل الذين كفروا فيما يأتيهم من القرآن وانذار الرسول، فأضيف التشبيه إلى الراعي).[2]

وفي موضع آخر من قوله تعالى: ﴿و لا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم﴾[3] يقول الفراء: (ف "هو"كناية عن البخل...).

ويضيف في تفسير قول الله عزوجل: ﴿يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون﴾ يقول الفراء (السجود في هذا الموضع اسم للصلاة لا للسجود لأن التلاوة لا تكون في السجود ولا في الركوع)[4]

[1] - السورة نفسها ، الاية 171.
[2] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص 99.
[3] - سورة ال عمران ، الاية 180.
[4] - المصدر السابق ، ج1 ، ص 231.

فالمعنى المراد من السجود هو الصلاة فجاء لفظة السجود كناية عن الصلاة، رغم عدم تصريحه بلفظ

الكناية، مما يسهل عملية، إدراك المعنى واستيعابه.

كذلك يفسر الفراء قوله تعالى: ﴿ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا ﴾[1] بقول: (كيف قال

"به" وقد ذكر الخطيئة و "الإثم"؟، وذلك جائز أن يكنى عن الفعلين وأحدهما مؤنث بالتذكير

والتوحيد، ولو كثر لجاز الكناية عنه بالتوحيد لأن الأفاعيل تقع عليها فعل واحد، لذلك جاز..).[2]

وفي موضع آخر، يقول الفراء مفسرا قوله تعالى: ﴿فآمنوا خيرا لكم﴾[3]، يقول: "خيرا" منصوب

باتصاله يالأمر، لأنه من صفة الأمر، وقد سيتدل على ذلك، ألم تر الكناية عن الأمر تصلح قبل

الخير، فتقول للرحل اتق الله هو خير لك، أي: الاتقاء خير لك...).[4]

[1] - سورة النساء ، الاية 112.
[2] - المصدر السابق ، ج1 ، ص 286.
[3] - سورة النساء من الاية 180.
[4] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص 291 ، 292 .

وفي قوله تعالى: ﴿ياتيكم به﴾[1] يقول الفراء: (كناية عن ذهاب السمع والبصر والختم على الافئدة، وإذا كنيت عن الأفاعيل وإن كثرت وحدت الكناية، كقولك للرجل: إقبالك وإدبارك يؤذيني، وقد يقال: إن الهاء التي في "به" كناية عن الهدى وهو كالوجه الأول).[2]

وعن المجاز يورد الفراء مثالا في قوله تعالى: ﴿والزيتون والرمان﴾ يقول: (يريد شجرة الزيتون وشجر الرمان، كما قال "واسأل القرية يريد أهل القرية")[3] فهذا من نوع مجاز الحذف.

وفي قوله الله عز وجل ﴿وإنه لفسق[4]﴾يفسر الفراء الآية الكريمة متحدثا عن مكان الكناية منها: (يقول: أكلكم ما لم يذكر اسم الله عليه فسق أي كفر، وكنى عن الأكل، كما قال: فزادهم إيمانا)[5] يريد فزادهم قول الناس إيمانا).[6]

---

[1] - سورة الانعام من الاية 46.
[2] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص 353.
[3] - المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 348.
[4] - سورة الانعام من الاية 121.
[5] - سورة ال عمران من الاية 173.
[6] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص 352.

والملاحظ جليا في تفسير الفراء وذكره موضع الكناية من الآيات الكريمة، أن بعضها تختص بكناية الحروف من ذلك أيضا ذكره كناية الحرف في قول المولى عز وجل: ﴿وإن جنبوا للسلم فاجنح لها﴾.[1] يقول الفراء: (إن شئت جعلته للفعلة، كما قال: ﴿إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾[2] و لم يذكر قبله إلا فعلا، فالهاء للفعلة).[3]

وفي الحديث عن أسلوب التشبه فالفراء بكتفي في بعض المواضع بذكر الطرفين فقط كما في قوله تعالى: "موج كالظلل" حيث قال: (فشبهه بالظلل اكتفى بذلك).[4] أو في قوله: ﴿فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى﴾ كما أخرجنا الثمار من الأرض الميتة.[5]

---

[1] - سورة الانفال ، الاية 61.
[2]- سورة الاعراف من الاية 153.
[3]- معاني القران الفراء ، ج1 ، ص 416.
[4]- المصدر نفسه ، ج2 ، ص 330.
[5] - معاني القران الفراء ، ج1 ، ص 382.

وجاء في تفسير الزمخشري قول المولى عز وجل: ﴿وإن كنتم حبا فاطهروا﴾[1] .

قال الإمام الزمخشري (طهر وطهر واطهر وتطهر وقد طهرت طهورا وطهورا وما عندي طهورا أتطهر به أي وضوءا أتوضأ به وأطلب لي ماء طهورا بليغا بالطهارة ومن المجاز تطهر من الإثم : تتره منه وطهره الله وهو طاهر الثياب نازها من مدانس الأخلاق والتوبة طهور المذنب)[2].

وفي قوله تعالى ﴿ أو جاء أحد منكم من الغائط ﴾ يقصد بالغائط المكان المنخفض من الأرض حيث يقضي الإنسان حاجة قال الإمام الطبرسي مفسرا الآية الكريمة (والغائط أصله المطمئن من الأرض وكانوا يتبرزون هناك ليغيبوا عن أنظار الناس فكثر ذلك حتى قالوا للحدث غائط وكنوا بالتغوط عن الحدث في الغائط وقيل أنهم كانوا يلقون النجوى في هذا المكان وسمي باسمه على سبيل

[1] - سورة المائدة ، الآيتان 5 ، 6 .
[2] - أساس البلاغة الزمخشري ، دار المعرفة بيروت ، ص 285.

المجاز)[1].

ويضيف قائلا (وهو كناية عن قضاء الحاجة وقيل أن أو هنا بمعنى الواو لان المجيء من الغائط ليس من جنس المرض والسفر حتى يصح عطفه جليا)[2].

جاء مصطلح الكناية واضحا في معجم الراغب الأصفهاني فيقول مفسرا قوله تعالى:﴿ أو لامستم النساء﴾ يقول (اللمس إدراك بظاهر البشرة كالمس ويعبر به عن الطلب كقول الشاعر " وألمسه فلا أجده " وقال تعالى: ﴿وأن لمسنا السماء ﴾[3]ويكنى به وبالملامسة في الجماع وقرئ لامستم ، ولمستم حملا على المس وعلى الجماع) [4].

ويضيف في قوله تعالى: ﴿ إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن ﴾ [5]وقرئ " ما لم تمسوهن " وقال ﴿

---

[1] - مجمع البيان في تفسير القران الإمام الطبرسي ، دار الحياة ، بيروت ، لبنان ، ج2 ، ص 110.
[2] - المصدر نفسه ، ج2 ، ص 113.
[3] - سورة الجن من الآية 8.
[4] - معجم مفردات ألفاظ القران الراغب الأصفهاني ، ص 475.
[5] - سورة البقرة من الآية 237.

يكون لي غلام و لم يمسسني ﴾[1]والمسيس اناية عن النكاح وكنى عن الجنون قال : ﴿كما يقوم الذي

يتخبطه الشيطان من المس ﴾[2])[3].

لقد كانت الاستعارة الهدف الرئيسي والمادة الأساسية في الدراسات البلاغية فهي تدل على تناسي

التشبيه ، مما يحملنا عمدا على تمثل صورة جديدة تنسينا روعتها ما تضمنه الكلام من تشبه خفي

مستور . ومن بين صورة الاستعارة الموحية في القران الكريم :قاوله تعالى : ﴿ وفي عاد إذ أرسلنا عليهم

الريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ﴾[4].

يقول أبو هلال العسكري (ت 395 ه) (سمي الريح عقيما لأنها لم تأت بمطر ينتفع به ويبقى

له أثر من نبات وغيره كما أن العقيم من النساء لا تأت بولد يرجى . وفضل الاستعارة على الحقيقة

[1] - سورة مريم من الآية 21.
[2] - سورة البقرة ، الآية 285.
[3] - معجم مفردات القران الراغب الاصفهاني ، ص 487.
[4] - سورة الذاريات ، الايتان 41 ، 42.

في هذا أن حال العقيم في هذا أظهر قبحا من حال الريح التي لا تأت بمطر وليست العادة في النساء أن يكون أكثرهن عقيما)[1].

وفي هذه الاية الكريمة حال الريح التي لا تأت بمطر بحال العقيم بجامع عدم الانتفاع في كل منهما ثم أهمل التشبيه وادعي أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ثم استعير المشبه به على طريق الاستعارة التبعية لان كلمة عقيم هي اللفظ المستعار الذي وقع اسما مشتقا[2].

وللجمال الفني في الاستعارة حضور في قوله تعالى : ﴿ ربنا أفرغ علينا صبرا ﴾[3]. ذكر علي بن عيسى الرماني (ت 386 ه) الاستعارة في هذه الاية الكريمة فقال محللا اياها (فكلمة أفرغ مستعارة وحقيقته أفعل بنا صبرا لكن أفرغ أبلغ منه لأن في الافراغ اتساعا مع بيان) [1]

---

[1] - الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، ص 279.
[2] - المصدر نفسه ، ص 279.
[3] - سورة البقرة من الاية 250.

فنلاحظ أن القران الكريم يستخدم الالفاظ المستعارة بدقة متناهية لا نظير لها فلفظة أفرغ توحي باللين والترفق وبعتت الطمأنينة في النفس فأهمية الاستعارة تكمن في ابراز المعاني والكشف عنها بطريقة مؤثرة .

ومن أمثلة القران الكريم قوله تعالى : ﴿ وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ﴾[2] لقد عبر سبحانه وتعالى عن ارادته في الكينونة المطلقة على سبيل المجاز قيل وانما هي يا أرض ، يا سماء اذ هو ليس مما يعي الخطاب أو يدرك الامتثال فكان ذلك قرينة لفظية في دلالة هذا المجاز العقلي وذلك أن تقول أن الله قادر على ان يخاطب الجماد ويجيب ذلك الجماد فيكون ذلك على سبيل الحقيقة وحتى لو حصل هذا على سبيل الإعجاز فلا مانع منه ويبقى المدرك مجازا لأنه في العموم خطاب لمن لا

[1] - النكت في اعجاز القران أبو بكر الباقلاني ، ص 82.
[2] - صورة هود من الاية 44.

يعقل ولا يجيب ولا يسمع ولا يتكلم وان سمع وأجاب وامتثل كان على سبيل الإعجاز)[1] .

ومن الشواهد القرانية الحافلة بالمجاز قوله تعالى : ﴿ انه كان وعده مأتيا﴾[2] .

ففي الآية الكريمة نجد أن كلمة مأتيا جائت بدل كلمة أتيا وذلك توسعا واستعمل اسم المفعول مأتيا

وأريد اسم الفاعل اتيا [3]، فالمجاز بذلك عقلي علاقته الفاعلية .

وفي قوله تعالى : ﴿خلق من ماء دافق ﴾[4](أي من ماء "مدفوق" ومنه قول العرب سر كاتم بمعنى

مكتوم ومكان عامر بمعنى معمور فعلاقة المجاز العقلي هي علاقة المفعولية [5] .

وقد ورد المجاز بالحذف عند ابن قتيبة (ت 276ه) وأفرد له بابين خاصين في كتابه تأويل مشكل

---

[1] - أثر النحاة في البحث البلاغي د عبد القادر حسين ،ص 96.
[2] - سورة مريم ، الاية 61.
[3] - تأويل مشكل القران ابن قتيبة ، ص 298.
[4] - سورة الطارق ، الاية 6.
[5] - الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية ، ابن فارس ، ص 220 ، 221.

القران : الاول سماه باب الحذف والاختصار [1] والأخر عنونه بباب تكرار الكلام والزيادة فيه [2].

ومن أمثلة هذا النوع من المجاز قول الله عزوجل :﴿ واسال القرية التي كنا فيها﴾ [3] أي سل أهلها[4].

فحكم القرية في الأصل هو الجر والنصب مجاز باعتبار إن المضاف محذوف وأعطي للمضاف إليه

حكم المضاف فأصبح منصوبا وحقه الجر أصلا .

ذكر ابو عبيدة (ت210ه) المجاز القران في كتابه وذلك في تفسيره لقول الله عزوجل : ﴿ والنهار

مبصرا ﴾ [5] يقول (مجازه مجاز مكان العمل والفعل فيه لغيره أي يبصر فيه إلا ترى إن البصر إنما هو

في النهار والنهار لا يبصر كما إن النوم في الليل ولا ينام الليل فإذا نيم فيه قالوا ليلهى قائم ونهاره

صائم)[6] و قال أيضا (إن العرب وضعوا أشياء من كلامهم في موضع الفاعل والمعنى أنه مفعول)[7].

---

[1] - تأويل مشكل القران ابن قتيبة ،ص 210.
[2] - المصدر نفسه ، ص 241.
[3] - سورة يسف من الاية 82.
[4] - المصدر السابق ، ص 20.
[5] - سورة النمل من الاية 86.
[6] - مجاز القران ابو عبيدة ج2 ص96
[7] - المصدر نفسه ، ج1 ، ص 279.

وفي قوله تعالى : ﴿ فهو في عيشة راضية ﴾[1]يقول في تفسيرها : (مجاز مرضية فخرج مخرج لفظ

صفتها والعرب تفعل ذلك إذا كان من السبب في شيء يقال : نام ليله وإنما ينام هو فيه)[2]

وفي التشبيه قول المولى عزوجل : ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع ﴾[3].

يفسر أبو عيدة التشبيه التمثيلي الوارد في الآية بقوله(وإنما الذي ينعق الراعي ووقع المعنى على المنعوق

به وهي الغنم تقول كالغنم التي لا تسمع والتي ينعق بها راعيها والعرب تريد الشيء فتحوله الى شيء

من سببه فيقولون أعرض الحوض على الناقة وإنما تعرض الناقة على الحوض ويقولون هذا القميص لا

يقطعني)[4].

---

[1] - سورة الحاقة ، الاية 21.
[2] - المصدر السابق ، ج1 ، ص 286.
[3] - سورة البقرة ، الاية 171.
[4] - مجاز القران ابو عبيدة ج1 ، ص 63 ، 64.

خـــاتـــمـــــــــة

الثابت في الدراسات اللغوية والأدبية هو تحليل الكلام واستجلاء معانيه وجماله ومن المؤكد أن علماء العرب القدماء والمحدثين وقفوا عند كلام الله تعالى وقفات تأمل ودراسة قصد استخراج درره ومكنوناته.

والواضح من دراستنا لبعض النماذج من كتاب " معاني القرآن" للفراء أنه يتضمن جانبا كبيرا من آرائه النحوية، التي دلّت على استقلاله في وضع الأحكام النحوية. أمّا التخريجات البلاغية فنجدها قد تخلّلت تفسيراته القرآنية و التي نحسب انها مؤسسة للدرس البلاغي فيما بعد .

ومن أبرز ما يمكن أن نستخلصه من هذه الدراسة النتائج التالية

– تتحقق قوة الصلّة بين التفسير وعلوم البلاغة "المعاني والبيان والبديع"في ضوء الدراسة اللغوية جميعا.

– احتوى كتاب "معاني القرآن" على كثير من المباحث البلاغية التي يدخل بعضها في علم المعاني وبعضها في علم البيان وأخرى في علم البديع.

–تطرق الفراء إلى السرّ البلاغي لبعض الأساليب البلاغية وتنحى عن ذكر البعض

و على رأسها الإعراب حفاظا على السياق العام للتراكيب العربية، التي تطبعها أسرار

متداخلة نظرا لتداخل الدراسات العربية و " ولما كان القرآن الكريم هو الحافز الأكبر لنشأة الدراسات العربية عموما، كان من الطبيعي أيضا ان يكون من أوائل المتصدين لهذه الدراسات ذوي اختصاصات متعددة و مختلفة.[1]

– تناول الفراء لألوان البديع ينمّ عن أصالة فنية في تذوق موسيقي الفواصل وملاحظتها عند رؤوس الآيات وتغليبه قراءة على قراءة أخرى، إذا اتسمت بالإيقاع المنسجم مع غيرها و لم يكن في ذلك مقلدا ولا تابعا وإنما كان رائدا في هذا الفن وصاحب نظرة جديدة حملها العلماء من بعده.

–اعتمد الفراء طريقة الضبط والتقعيد فهو بعد أن يعرض المسائل الجزئية يضع لها القاعدة الكلية

– استشهد الفراء بالقراءات القرآنية في المسائل اللغوية والنحوية وكانت له جهود حثيثة في مضمار القراءات القرآنية حيث استشهد بها ورجحّ بعضها على بعض ووجها توجيها نحويّا وهو يدافع عن القراءات التي خطّأها غيره كما كان يضعّف القراءات التي يراها مخالفة لسنن العربية وأقيستها.

[1] – الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، محمد حسيني آل ياسين منشورات دار مكتبة، بيروت،ط1 1400هـ، 1980م، ص78.

- اعتمد الفراء على القرّاء العشرة في توجيهه النحوي وأكثر من الاستشهاد بقراءات أبّي بن كعب وعبد الله بن مسعود وابن عباس – رضي الله عنهم – لترجيح قراءة على أخرى وهو دليل على تبحّرّه في هذا العلم.

- كان الفراء أمينا ودقيقا في نقله النصوص عن النحاة وهو ينقل عن الكوفيين وكذلك عن البصريين، ومن كتب القراءات.

- اعتمد الفراء على القياس متشهدا بالآيات القرآنية والروايات العربية بغرض توضيح وإجلاء المعاني و المسائل المبهمة.

- جمع الفراء بين التطبيق والتنظير والتكافؤ ما بين النظري والعملي من حيث الأهمية والفائدة، فيشرح ويعلل الجزء ويضع له القاعدة النظرية.

- تناول الفراء في تفسيره لبعض الايات القرانية مناسبة نزولها والتي غلبت في بعض الايات على جانب التحليل اللغوي ولعل القصد من ذلك أن ذكر مناسبة الاية يهدف الى توضيح المعنى وتقريبه للاذهان .

- وفي حالات أخرى يكثر من التحليل اللغوي على حساب مناسبة الاية ولعل ذلك دليل على أنها لا تشفي الغليل في عملية تحديد المعنى وتوضيحه .

و تبقى كل النتائج الجزئية السابقة مؤشر يوحي بالعملية التأسيسية للبلاغة فيما بعد من جميع مستويتها المعاني البيان البديع .

كانت هذه أهم النتائج التي توصلت إليها خلال البحث وتبقى المصادر التي يزخر بها كتاب معاني القران للفراء في دراسته للقران الكريم تحقيقا ومنهجا تحتاج الى الكشف عنها وتحديد طبيعتها والوقوف على العلاقة التي تربطها بكتاب الله عزوجل وعليه فالبحث المستقبلي يمكن أن يندرج ضمن العنوان التالي " مصادر الفراء في كتاب "معاني القران " و الله أسأل التوفيق والسداد.

قائمة

المصادر و المراجع

القران الكريم برواية ورش عن نافع .

01- الأضداد، أبوبكر الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان 1987.

02- الاقتراح في علم أصول النحو، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق أحمد قاسم، القاهرة، ط 1، 1976 م.

03- الأدب في عصر العباسيين، محمد زغلول.

04- الادب في العصر العباسي الأول، محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط 2، 1401 هـ-1981 م.

05- الايضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985 م.

06- أثر النحاة في البحث البلاغي، د. عبد القادر حسين، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ط 1، 1998.

07- أساليب بلاغية، أحمد مطلوب، دار غريب للطباعة، ط1، 1980م.

08- إعراب القرآن، الزجاجي، المؤسسة المصرية للتأليف و الترجمة، ط1، 1963م.

09- أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى أخر القرن الرابع الهجري، د. محمد زغلول سلام، قدم الأستاذ محمد خلف الله.

10- أغراض الشعر و خصائصه في التفسير، د. زياد أبو شريعة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 1، 1428 هـ، 2008 م.

11- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، صححه و علق عليه حواشيه السيد محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1409 هـ، 1987 م.

12- أسلوب الالتفات في القرآن الكريم وأسراره مصطفى شريقن ، دار الخلدونية ، ط1 ، 143 ه ،2009 م.

13- الإعجاز البياني في القرآن الكريم (دراسة نظرية تطبيقية في الآيات المحكمات)، د. عمار ساسي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2007 م.

14- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمان بن أحمد جلال الدين السيوطي، المكتبة الثقافية، بيروت، ط1، 1973 م

15- أساس البلاغة، الزمخشري، دار المعرفة، بيروت، لبنان،ط1،د ت .

16- ابن مضاء و موقفه من أصول النحو العربي.

17- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، دت، ج3.

18- البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن 4 هـــ، د. رابح دوب، دار الفجر للنشر و التوزيع، القاهرة، ط 1، 1997.

19- البيان و التبيين، أبو عثمان عمرو بن الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة الخانجي، مصر، ط 3، ج1، 1968 م.

20- البلاغة العالية، علم المعاني، عبد المتعال الصعيدي، قدم له و راجعه و أعد فهارسه، د. عبد القادر حسين، مكتبة الأدب، القاهرة، ط3، 1429 هـــ، 2003 م.

21- البلاغة العالية، عاطف فضل

22- البلاغة عند السكاكي، أحمد مطلوب، دار التضامن، بغداد، دمشق، ط1، 1348 هـــ، 1964 م.

23- البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية و مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه، ط1، 1957 م.

24- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، مطبعة الخانجي، ط1، د ت ج1.

25- تهذيب اللغة، الأزهري، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب، القاهرة، ط1، 1967 م، ج1.

26 - التفكير البلاغي عند العرب، حمادي صمود، منشورات الجامعة التونسية، ط1، 1981.

27- التفسير و المفسرون، محمد حسين الذهبي، مكتبة مصعب بن عمير، القاهرة، مصر، ط1، 2004.

28- التفسير و النص، د. السيد أحمد عبد الغفار، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ط 1، 2002.

29- تطور النحو في مدرستي البصرة و الكوفة، د. طلال علامة، دار الفكر، لبنان، بيروت، ط1، 1993.

63 أحمد، مكتبة الشباب، ط1، 1982 م.

30- التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية عند الفراء في معاني القرآن، د. طه صالح، أمين أغا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1428 هـــ، 2007 م.

31- التعليل اللغوي عند الكوفيين مع مقارنته بنظيره عند البصريين (دراسة ابستمولوجية) جمال شمس الدين مؤسسة الثقافة الجامعية الاسكندرية ، ط1 ، 1994.

32- التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، أحمد سعد محمد، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، د.ت.

33- التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، بين الحكمة، بغداد، ط1، 1986، 1987.

37- تفسير ابن كثير، عيسى البابي الحلبي، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، لبنان، ط1، د ت، ج4

35- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة شرحه ونشره أحمد صقر ، دار الثرات ، القاهرة ، ط1 ، 1393 ه ، 1973م.

36- التفسير الكبير، محمد بن عمر بن الحسين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، د ت، ج14

37- تفسير القرآن الحكيم المسمى بتفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، د ت، ج6

38- تفسير المراغي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط1 ن د ت ، ج12.

39- تفسير التحرير و التنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1، 1984 م، ج12.

40- الجمل في النحو، الزجاجي، تحقيق د. علي توفيق الحمد، الأردن، ط1، 1985 م.

41- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، تحقيق أبي إسحاق ابراهيم أطعنيش، ط 2، 1987 م، ج8.

42- جامع البيان عند تأويل آي القرآن، تحقيق محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، ط1، دت.

43- الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، دار الكتب المصرية، مصر، ط2، ج6، 1954 م.

44- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1985 م، ج 13.

45- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1405 هـــ.

46- الخصائص، أبو الفتح عثمان ابن جني، ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1957 م.

47- ديوان زهير بن أبي سلمى ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1408ه ، 1989م.

48- ديوان أبو العتاهية دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، د ت .

49- الدلالة الصوتية في اللغة العربية، صالح يسلم، عبد القادر الفاخري، مؤسسة الثقافة الجامعية، ط 1، دت.

50- دلائل الاعجاز في علم المعاني، عبد القادر الجرجاني، تحقيق محمود شاكر الخانجي، ط 2، 1989.

51- الدراسات اللغوية في القرآن الكريم في أوائل القرن 3 هجري، د. عيسى شحاتة، دار قباء للطباعة و النشر، القاهرة، ط1، 2001 م.

52- ديوان امرؤ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار صادر، بيروت، ط 1، 1377 هـــ - 1958 م.

53- دروس في المذاهب النحوية، د. عبده الراجحي، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 1980 م.

54- درة التنزيل و عزة التأويل، الخطيب الإسكافي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط 1، 1393 هـــ، 1973 م.

55-سر صناعة الإعراب، ابن جني، مصطفى الحلبي، دار المعارف ، مصر ، ط 1 ، دت .

56- الرسالة الشافية ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم، تحقيق محمد خلف الله و محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط2، 1968.

57- روح المعاني في تفسير القرآن الكريم، لشهاب الدين السيد محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي، ط 1، د ت، ج 30.

58- شروح التلخيص، سعد الدين التفتزاني، شرع السعد علي، التلخيص عيسى الحلبي، ط 1، دت.

59- شرح الهداية، المهدوي أبو العباس أحمد بن عمار، تحقيق حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط1، 1415 هـ، ج1.

60- شرح المفصل، لابن يعيش، المطبعة المنبرية، القاهرة، ط1، د ت.

61- شرح المفصل، ابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، و مكتبة المتنبي، القاهرة، ط1، د ت.

62- الصناعتين، أبو هلال العسكري، دار النشر، الجزائر، ط1، دت.

63- الصاحبي في فقه اللغة و سنن العربية، المؤيد، ط1، 1910 م.

64- الصحاح في علوم اللغة و فنونها، الإمام الجوهري، دار الحضارة العربية، بيروت، ط1، د ت.

65- طبقات النحويين و اللغويين، الزبيدي، تحقيق عبد السلام هارون الخانجي، القاهرة، ط1، 1976 م.

66- ضحى الاسلام، أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1961م، ج1.

67- عيون البصائر، محمد البشير الابراهيمي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط1، دت.

68- العمدة في محاسن الشرع و آدابه، ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد القرقزان، دار المعرفة، بيروت، ط 1، دت، ج1.

69- علم المعاني، درويش الجندي، مطبعة النهضة، مصر، ط1، 1962 م.

70-علم المعاني و دلالات الأمر في القرآن الكريم، دراسة بلاغية، د. مختار عطية، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، مصر، ط1، 2004م.

71- علم المعاني، عبد العزيز عتيق، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، د ت، 2004.

71- العربية معناها و مبناها، د. تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، دت.

72- في اللغة عند الكوفيين

73- فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، مصر، 1349 هـ، ج3.

74- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط1، د ت.

75- غرائب القرآن

76- الفهرست، ابن النديم، تأليف محمد ابن اسحاق الندين المعروف بأبي يعقوب الوراقـــ ج 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ط1، 1427 هـــ 2006 م.

77- لسان العرب، ابن منظور، عالم الكتب، بيروت، ط1، دت.

78- الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، طبعة مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1979.

79- الكشاف عن حقائق التريل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت، لبنان، ط1،1433 هـــ، 2012

80- المحبط، الفيروز أبادي، طبع بولاق، شركة الطباعة، مصر 1272 هـــ 1954 م.

81- معاني القرآن، الفراء، تحقيق محمد علي النجار و آخرون، الهيئة العامة للكتاب ط1، 1966 م-1980

81- معجم ألقاب الشعراء، د. سامي مكي العاني، مكتبة الفلاح، ط1، 1982.

82- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، دت، ج7، ج20.

83- مظاهر المجتمع و ملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الأول، د. مصطفى بيطام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1995م.

83- المختصر في تاريخ البلاغة، د. عبد القادر حسين، دار الشروق، بيروت، ط1، 1402 هـــ، 1982 م.

84- الموجز في تاريخ البلاغة، د. مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، ط1، 1401 هـــ، 2004م.

85- المباحث البلاغية في ضوء قضية الاعجاز القرآني، (نشأتها و تطورها حتى نهاية القرن السابع الهجري)، د. أحمد جمال العمري، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1410 هـــ، 1995 م.

86- معجم المصطلحات البلاغية و تطورها، أحمد مطلوب، المجمع العلمي، العراق، ط1، 1987 م، ج3.

87- معاني القرآن،الأخفش، تحقيق د. فائز فارس، الكويت، ط1، ج1، 1974 م.

88- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي، ضبط وتعليق، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987 م.

89- المرتجل في شرح الجمل، أحمد الخشاب، تحقيق علي حيدر، دمشق، سوريا، ط1، 1972 م.

90- منهاج البلغاء و سراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ط2، 1981.

91- مجاز القرآن أبو عبيدة، تحقيق محمد فؤاد سزكين، بيروت، ط2، 1981، ج1.

92- المحتسب، ابن جني، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية.

93- المعاني في علم الأسلوب

94- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد و التعطيل في توجيه متشابه اللفظ من آي التنزيل أبي جعفر أحمد بن الزبير الغرناطي، تحقيق الدكتور محمد كامل أحمد، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1405 هـ، 1985 م.

95- معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق ندين مرعشلي، دار الكتاب العربي، ط 1، 1392 هـ، 1972 م.

96- مجمع البيان في تفسير القرآن، الإمام الطبرسي، دار الحياة، بيروت، لبنان، ج2.

97- المغني لابن هشام، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1412 هـ، 1992 م.

98- المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، ابن الأثير، مكتبة النهضة، مصر، ط1، 1959 م.

99- معاني القرآن، الفراء، تحقيق ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1423 هـ، 2002 م. و الجزء الثاني، بيروت، 1980 م، و الجزء الثالث، تحقيق د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي و مراجعة الأستاذ علي النجدي ناصف، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972 م.

100- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، ياقوت الحموي، مطبعة دار المأمون.

96- معاني القرآن الجزء الأول، تحقيق أحمد يوسف نجاتي و محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 2، 1980.

97- نظرية المعنى في الدراسات النحوية، د. كريم حسن ناصح الخالدي، دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان، الاردن، ط1، 1427 هـ 2006 م.

98- نظرات في التراث اللغوي العربي، د. عبد القادر المهيري، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1993 م.

99- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات ابن الأنباري، تحقيق إبراهيم السامرائي، بغداد، ط1، 1959 م.

100- النكت في إعجاز القرآن

-وقيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان لابن خلكان تحقيق محمد محي الدين، مطبعة السعادة، ط 1، 1948 م و تحقيق د. احسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، دت، ج6.

فهـــرس
الموضوعات

إهداء
مقدمة ....أ
مدخل : عصر الفراء 02
أولا : مولده ونشأته 03
ثانيا : الحياة السياسية 10
ثالثا : الحياة الاجتماعية 19
رابعا : الحياة العقلية 26
الفصل الأول : علم المعاني 26
أولا : نشاة علم المعاني.....................................36
ثانيا : مظاهر وصور علم المعاني.............................. 70
الفصل الثاني : كتاب المعاني وعلاقته بالدرس البلاغي 95
أولا : التعريف بالكتاب 95
ثانيا : مظاهر البلاغة في الكتاب...............................107
أ – علم المعاني 108
ب – علم البيان 137
ج – علم البديع 153
الفصل الثالث : آليات التوجيه البلاغي في كتاب معاني القران للفراء 162
أولا : مراعاة مقام الآية المفسرة 162
ثانيا : مراعاة المستويات اللغوية للآية المفسرة 189
ثالثا : مراعاة الجانب الثقافي والمعرفي العام للآية القرآنية.....................211
رابعا : علاقة بعض المفردات اللغوية بالدرس البلاغي فيما بعد 246
خاتمة :...261
قائمة المصادر والمراجع : 272
فهرس الموضوعات: 273

Summary:
This work ain to-speak about rhetorical aspects in the book of "maani el Coraan" (rhetoric of Quran) to 'Abu Zakaria Ziad Al Faraa" (d207AH), as it was the book came first.
It was registrered in the era of writing betueen the end of the 2nd century of Hijra and the beginning of the 3 rd one.
It give a direct expalanation of the Quran, that's why ne find in it different aspects of eloquence, rhetoric and meanings.

Key words:
The Quran- rhetoric- neanings – metaphor eloquence.

Résumé:
Cette étude est un essai sur les différentes recherches Rhétorique et linguistiques contenues dans le livre (sens du Coran) (FIRA 207) qui présente un livre de grammaire en premier lieu.
Cet essai expose aussi une orientation rhétorique sur les versets coraniques présentés dans le livre.

Mots clés:
Rhétorique –Orientation –Grammaire -Versets coranique

ملخص:
يحاول هذا البحث الوقوف على مختلف المباحث البلاغية الموجودة في كتاب (معاني القرآن للفراءت 207) الذي يعد كتاب نحو بالدرجة الأولى .
كما يعرض البحث أمامنا التوجيهات البلاغية للآيات القرآنية المذكورة في الكتاب.

الكلمات المفتاحية:
البلاغة– التوجيه–الآيات القرآنية– المعاني